The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Theology
Master of faith and contemporary doctrines



الجامعـــــــــة الإســــلاميــة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كـليــــــــــــــة أصـــــول الـــــدين
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت

Faith Issues Through Surratt Spider

إِعدَادُ البَاحِثِ

حسين أحمد عبدالرؤوف عبد الغفور

إِشرَافُ

الأستاذ الدُكتُور

جابر زايد عيد السميري

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي العقيدة والمذاهب المعاصرة بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

إبريل/2016م –شعبان /1437هـ

إقرار

أنا الموقعةُ أدنَاه مقدمةُ الرسالةِ التي تحملُ العنوان:

قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت

Faith Issues Through Surratt Spider

أقرُّ بأنَّ مَا اشتملتْ عليه هذه الرسالةُ إنَّما هو نتاجُ جهدِي الخَاص، باستثناءِ مَا تمَّت الإشارةُ إليه حيثمَا ورَد، وأنَّ هذه الرسالةَ كَكلّ أو أي جزءٍ منهَا لمْ يقدمْ من قبلِ الآخرين لِنيلِ درجةٍ أو لقبٍ علميٍّ أو بحثيٍّ لَدَى أيّ مؤسسةٍ تعليميّةٍ أو بحثيّةٍ أُخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this. The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	حسين أحمد عبد الغفور	اسم الطالب:
Signature:	حسين أحمد عبد الغفور	التوقيع:
Date:	2016/07/20	التاريخ:

نتيجة حكم على أطروحة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على افضل المرسلين؛ نبينا محمد ﷺ، وبعد...

إنّ العقيدة الإسلامية هي اساس الدين الإسلامي العظيم، ولتقريره أرسل الله- سبحانه- الأنبياء- عليهم السلام- وأوحى إليهم الآيات الحكيمة، وإن المتأمل في سيرة النبي ﷺيجد أن الآيات التي نزلت عليه في بداية الدعوة كانت تركز على العقيدة، وتدعو إلى توحيد الله تعالى والتبرؤ مما سواه من الأصنام والآلهة الباطلة من هذا المنطلق جاء هذا البحث ليسلط الضوء على قضايا العقيدة من خلال سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة العنكبوت، وقد سميته" **قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت**".

هدف الدراسة: بيان قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت

منهج الدراسة: المنهج الوصفي والاستقرائي

أهم نتائج الدراسة:

1. التوحيد الذي ركز عليه الأنبياء هو توحيد الألوهية، حيث أن أكثر الأمم أقرت بتوحيد الربوبية؛ وإنما ضلالها كان في باب الألوهية.
2. اشتمال السورة على آيات عظيمة وهي آيات الخلق التي تدعو الإنسان إلى التفكر في خلق الله وأن وراء هذا الخلق خالق عظيم.
3. الإيمان بالله تعالى حقيقة ليس كلمة باللسان، ويظهر في المحن والابتلاءات.

أهم توصيات الدراسة:

1. ضرورة توعية المسلمين بأهمية العقيدة ووجوب تعلمها وتعليمها.
2. الاهتمام بسور القرآن الكريم بالدراسة والبحث واستنباط المضامين العقدية منها إذ لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من المفاهيم العقدية التي جاءت لترسيخها في نفوس الناس.
3. ربط ذهاب النعم من أمن ورغد العيش، بعدم شكر الله حق شكره باتباع تعاليم هذا الدين العظيم.

Abstract

Study Objectiv

Praise be to Allah, peace and blessings be upon the best messenger; our Prophet Muhammad, peace be upon him.

The Islamic faith is the foundation of the great religion of Islam, for this ,Allah has sent the prophets and inspired them wise verses, though the meditator in the biography of the Prophet, peace be upon him find the verses that came dow r the unification of God and repudiating what else idols n in the beginning of the call was focused on faith, and calls fo and false gods of this spirit came to this research sheds light on matters of faith through the Surah of the Holy Qur'an Surah a spider has detoxified **"faith issues through Surratt Spider."e:** To clarify the matters of Islamic Aqidah (creed) through Surah Al Ankabut

Methodology: Inductive and Descriptive Approaches

Study Results:

1- The type of tawheed on which the Prophets focused was that of al Uloohiyyah since most of the nations believed in al Ruboobiyyah; the nations' misguidance was because of disbelieving in al Uloohiyyah.

2- Surah Al Ankabut includes great verses that speak about creation; they call humans to think of God's creation thus come to the conclusion that there is a Creator.

3- Believing in Allah is shown in times of trial and distress, not in words.

Study Recommendations:

1- The importance of raising Muslims' awareness about the importance of Aqidah, and the necessity of learning and teaching it.

2- The need to take extra care of the verses of the Holy Quran through studying, researching and deducing the creed matters in them; there is not one surah in the Quran that does not include one of the concepts of creed whose purpose is to reinforce belief in people's hearts.

3- The need to connect between the absence of blessings, security and good living and not thanking Allah properly through following the regulations of the religion.

بسم الله الرحمن الرحيم

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ" [التوبة:١٠٥]

الإهـــداء

إلى والديَّ العزيزين... وإخوتي الكرام ...

إلى رفيقة عمري وشريكة حياتي التي تحملت معي عقبات الدراسة ومشقاتها ...

إلى الذين ابتلــوا فصبروا وصابروا وثبتوا فما وهنوا وما استكانوا...

إلى المجاهدين في سبيل الله في كل مكان حفظهم الله ونصرهم وثبت أقدامهم...

إلى الأسود الرابضين في معتقلات بني صهيون

إلى العلماء العاملين والدعاة المخلصين ...

إلى ابنتي الغالية جوان ...

شكر وتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله الطيبين، وأمهات المؤمنين وبعد:

الشكر ابتداءً وانتهاءً لله المعطي الكريم، فنعمه باطنه وظاهرة، ومننه عليَ وفيرة باهرة سابغة ، وعونه لي كبير، وتوفيقي به عظيم، فله الحمد والشكر على فضائله عليَّ التي لا يعدها ويحصيها أحد ولو تفرغ لعدها الخلق.

وامتثالاً لقول نبينا ﷺ (مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ)(1) فإني اتقدم بالشكر والثناء والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور: **جابر زايد السميري**–حفظه الله– الذي أشرف على هذه الرسالة؛ فكان له الفضل بعد الله تعالى على إتمامها؛ فإنه لم يدخر جهداً في نصحي وتوجيهي لما فيه الصواب في دقيق المسائل وجليلها، فقد أفادني بتوجهاته النافعة وآرائه الصائبة؛ فكان له الأثر الكبير في تقويم الرسالة وإخراجها على هذه الصورة، والله تعالى اسأل أن يضاعف حسناته، ويسدد خطواته، ويبارك في وقته وعلمه، ويجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لمن كانوا سبباً بفضل الله في وصولي إلى ما وصلت إليه من علم وحال إلى من صبروا على تقصيري، إلى والديَّ العزيزين وأشقائي الكرماء لدعمهم لي في مواصلة الدراسة والبحث ، وأنا لم أوفهم حقهم، وأخص بالذكر شقيقي **الأستاذ ياسر، والأستاذ محمد**، فجزاكم الله خير الجزاء.

كما أنني أتقدم بالشكر إلى زوجتي التي شجعتني على مواصلة الدراسة، والشكر موصول إلى أصهاري فهم نعم الأهل والأصهار.

والشكر الوفير لمن ساعدني في إخراج هذه الرسالة بهذه الصورة الطيبة، وكان نعم العون لي أخي **عبد الله سليمان عبد الغفور**.

كما أتقدم بفائق الشكر والإمتنان لكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية، ممثلة بأساتذتها الذين حببوا إلينا طلب العلم، وزودونا من العلم النافع الشيء الكثير، فأسأل الله لهم التوفيق والسداد.

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، البر وصلة الرحم/ ما جاء في الشكر لمن أحسن إليه، 339/4 رقم الحديث: 1954]

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن من أعظم نعم الله ﷻ على هذه الأمة أن أنزل إليها خير كتبه، وأرسل إليها أفضل خلقه، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، كما تكفل لها بحفظ دينها الذي ارتضاه لها، وكلّفها حمل هذه الرسالة، والجهاد في سبيلها، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

ومما لا شك فيه أن موضوع العقيدة هو الأصل الذي يقام عليه بناء الإسلام الشامخ العظيم، ومن هنا فإن ترسيخ العقيدة في القلوب أول من قام به الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- فقد قضى الرسول ﷺ العهد المكي من الدعوة في ترسيخ العقيدة وتصحيحها وتثبيتها.

من أجل ذلك فإني أحببت أن أقدم شيئا لديني وعقيدتي، فاخترت هذا البحث المتواضع الذي أتناول فيه ما يتعلق بأشرف كتاب على الإطلاق وهو القرآن الكريم، وأفضل علم من علوم الدين وهو العقيدة ، راجياً من الله أن يجعله لي صدقه جارية بعد وفاتي .

واليوم نقف مع سورة من سور القرآن الكريم، نقف مع قضاياها العقدية، مستشهداً بالأحاديث الصحيحة التي وردت، وإلى أقوال المفسرين فيها متبعين منهج السلف- رضوان الله عليهم- .

وقد سميت هذا البحث:" **قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت**" سائلاً المولى سبحانه التوفيق والسداد.

ثانياً: أهمية البحث

تظهر أهمية البحث من خلال ما يلي:

- تكمن أهمية دراسته في كونه يتعلق بالشق الأول من مصدر التشريع الأول "الوحي" وهو "القرآن".
- ومما يزيد الموضوع أهمية أنه يأتي في أعظم علم من علوم هذا الدين وأهمها وهو العقيدة الإسلامية.
- إظهار ما اختصت به السور المكية في تقرير العقيدة.
- القصص القرآني وما فيها من دلالات عقدية .

ثالثاً: الدافع لاختيار الموضوع:

- استنباط المضامين العقائدية من نبعها الأصلي " القرآن الكريم ".
- التشابه الكبير بين أحداث سورة العنكبوت وواقعنا المعاصر الذي نعيش هذه الأيام.
- كون سورة العنكبوت تضرب لنا مثالاً واضحاً لانتصار العقيدة على الشرك.

رابعاً: طريقة البحث ومنهجية الباحث:

أولاً: منهجية الباحث

اتبع الباحث في كتابة البحث المنهج الوصفي والاستقرائي، القائم على جمع الآيات الدالة على موضوعات العقيدة الإسلامية في السورة، وبعد ذلك دراسة الآيات التي تم جمعها بالرجوع إلى كتب ومراجع تفسير القرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقيدة الإسلامية.

ثانياً: طريقة الباحث

1- عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وتمييز الآيات القرآنية بوضعها بين هلالين بهذا الشكل﴿ ﴾.

2- تخريج الأحاديث النبوية والآثار الأخرى وذلك بعزوها إلى مظانها من كتب السنة، وذلك ببيان اسم الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث إن وجد، ونقل حكم العلماء عليها ما أمكن، باستثناء ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما أو أحدهما وتمييزها بوضعها بين هلالين بهذا الشكل ().

3- توثيق المعلومات في الحاشية علي النحو التالي:-

ذكر اسم عائلة المؤلف أو اسم الشهرة ثم اسم الكتاب.

4- عند الاقتباس من المرجع أكثر من مرة فإنه يتم اختصار التوثيق بذكر اسم الكتاب ورقم الصفحة.

5- في حالة تطابق بين المصدر أو المرجع والذي يليه في الحاشية، يتم التعبير عن المصدر أو المرجع التالي بعبارة(المصدر السابق)أو (المرجع السابق) مع ذكر رقم الجزء والصفحة فقط إذا كان اختلاف بين المصدرين .

6- حين الاقتباس من الشبكة العنكبوتية أذكر اسم الموقع، ثم تاريخ الاقتباس، ثم الرابط، فإن تكرر الاقتباس من نفس الموقع اذكر اسم الموقع، وتاريخ الاقتباس فقط.

7- شرح المفردات الغريبة الواردة في البحث.

8- التعريف ببعض الأعلام المغمورين.

9- استخدام بعض الرموز للاختصار وهي:

- (ج): الجزء .
- (مج): مجلد.
- (ص): رقم الصفحة .
- (ت): اسم المحقق .
- (ط): رقم الطبعة .
- (ح): رقم الحديث .

10- إعداد الفهارس اللازمة، وترتيبها على النحو التالي، الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية الشريفة، ثم فهرس الأعلام، وأخيراً المصادر والمراجع والموضوعات.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد البحث عن دراسات سابقة من هذا النوع تبين – على حد علم الباحث – لا يوجد بحث بنفس هذا العنوان إلا إنه يوجد بعض الدراسات المشابهة لهذا البحث بشكل عام التي تبحث عن مسائل عقدية من خلال القرآن بشتى موضوعاتها، كالتوحيد، والقدر، والبعث، وهي كثيرة ومنها:-

- القضايا العقدية في سورة النحل- رباب حمد سليم أبو عمرة- إشراف الدكتور- نسيم شحدة ياسين- 2013.
- القضايا العقدية في سورة البقرة- أسماء أحمد عبد الرحمن الملفوح- إشراف الدكتور- نسيم شحدة ياسين- 2013.

ولم يتبين للباحث أي أبحاث أخرى كتبت في قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت.

سادساً : خطة البحث:

يتكون البحث من تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، موزعة على النحو التالي:

التمهيد

وفيه: أربعة مباحث:-

أولاً: تعريف عام بسورة العنكبوت.

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة.

ثالثا: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها.

رابعاً: موضوعات السورة الرئيسية ومقاصدها.

الفصل الأول

الإلـهيات

وفيه: أربعة مباحث:-

المبحث الأول: الإيمان بالله وحقيقته من خلال سورة العنكبوت.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالله.

المطلب الثاني: سنة الابتلاء والمحن للذين يختارون طريق الإيمان.

المطلب الثالث: الحكمة من المحن والابتلاءات.

المبحث الثاني: دلالة السورة على توحيد الربوبية.

المطلب الأول: تعريف التوحيد.

المطلب الثاني: تعريف توحيد الربوبية.

المطلب الثالث: دلائل توحيد الربوبية من خلال سورة العنكبوت.

المبحث الثالث: دلالة السورة على توحيد الألوهية.

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: دلالة السورة على توحيد الألوهية.

المطلب الثالث: الأوثان التي عبدت من دون الله

المطلب الرابع: تشبيه حال عبدة الأصنام بحال العنكبوت.

المبحث الرابع: دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات.

المطلب الثاني: دعوة القرآن للتأمل يدل على أسمائه وصفاته.

المطلب الثالث: دلائل توحيد الأسماء والصفات من خلال سورة العنكبوت.

الفصل الثاني

النبوات

وفيه: ثلاثة مباحث:-

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول ﷺ والفرق بينهما.

المطلب الأول: تعريف النبي لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول.

المبحث الرابع: وجوب الإيمان بالرسل.

المبحث الثاني: الأنبياء المذكورين في سورة العنكبوت.

المطلب الأول: محمد ﷺ من خلال السورة.

المطلب الثاني: نوح عليه السلام من خلال السورة.

المطلب الثالث: إبراهيم عليه السلام من خلال السورة.

المطلب الرابع: لوط عليه السلام من خلال السورة.

المطلب الخامس: شعيب عليه السلام من خلال السورة.

المطلب السادس: هود عليه السلام من خلال السورة.

المطلب السابع: صالح عليه السلام من خلال السورة.

المطلب الثامن: موسى عليه السلام من خلال السورة.

المبحث الثالث: الجزاء من جنس العمل وعقوبات إهلاك الأمم المكذبة بالرسل.

المطلب الأول: أنواع عقوبات الأمم المكذبة بالرسل.

المطلب الثاني: إغراق قوم نوح عليه السلام بالطوفان.

المطلب الثالث: عقاب قوم لوط عليه السلام بالحاصبة والإمطار بالحجارة.

المطلب الرابع: أخذ قوم شعيب عليه السلام بالرجفة.

المطلب الخامس: إهلاك قوم هود عليه السلام بالريح الصرصر.

المطلب السادس: أخذ قوم صالح عليه السلام بالصاعقة.

المطلب السابع: إغراق فرعون وقومه.

الفصل الثالث

الغيبيات

وفيه: مبحثان:-

التمهيد

أولاً: تعريف عام بسورة العنكبوت

1- اسم السورة وسبب التسمية:

سميت هذه السورة بسورة العنكبوت، واشتهرت بهذا الاسم منذ عهد النبي ﷺلأن الله تعالى ضرب بالعنكبوت فيها مثلاً .

وفي بيان سبب تسميتها بسورة العنكبوت؛ قال الصابوني : " سميت سورة العنكبوت لأنّ الله تعالى ضرب العنكبوت فيها مثلاً للأصنام المنحوتة "[1] قال تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

2- مكية السورة أو مدنيتها:

اخْتُلِفَ فِي كَوْنِهَا مَكِّيَّةً، أَوْ مَدَنِيَّةً، أَوْ بَعْضِهَا مَكِّيًّا، وَبَعْضِهَا مَدَنِيًّا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

1. الْأَوَّلُ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا، أَخْرَجَهُ ابْنُ الضُّرَيْسِ، وَالنَّحَّاسُ، وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنِ ابْنِ عباس، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَعَطَاءٌ، وَجَابِرُ بْنُ زَيْدٍ.
2. الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ كُلُّهَا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ[2]: وَهُوَ أَحَدُ قَوْلَيِ، ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةَ.
3. الْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهَا مكية إلا عشر آيات من أوّلها، وَهُوَ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ. وَحُكِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَهَذَا قَوْلٌ رَابِعٌ[3]، وَأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي السُّنَنِ عَنْ عَائِشَةُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يُصَلِّي فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الأولى: بالعنكبوت، أو الروم، وفي الثانية: بيس[4].

---

(1) الصابوني، صفوة التفاسير (ج 2 /451).

(2) القرطبي هو: أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، المفسر المعروف، كان بحراً في العلم، ومؤلفاته تدل على ذلك، ومن هذه المؤلفات: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأحوال الموتى والأخرة، توفي سنة 671هـ بمصر . انظر: الوافي بالوافيات، صلاح الدين الصفدي(ج87/2)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام-الذهبي(ج229/15).

(3) انظر: الشوكاني، فتح القدير (4ج / 221).

(4) [الدار قطني: سنن الدار قطني، العيدين/ صفة صلاة الخسوف والكسوف وهيئتهما، 2/ 418: رقم الحديث 1792]

وبعد استعراض أقوال المفسرين في بيان كونها مكية أو مدنية، فإنني أتفق مع القول بمكية السورة، كونها من السور التي تقرر (الوحدانية – الرسالة – البعث)

3- عدد آياتها وترتيبها في النزول :

❖ **عدد آياتها:** وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَسِتُّونَ بِاتِّفَاقِ أَصْحَابِ الْعَدَدِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ.

❖ **ترتيب نزولها:** هي السورة التاسعة والعشرون في ترتيب سور المصحف، وهي بين سورة القصص وسورة الروم، والخامسة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الروم وقبل سورة المطففين، ونزلت في أواخر سنة إحدى عشرة قبل الهجرة فهي من أخر ما نزل في مكة. [1]

4- محور السورة الرئيسي :

يدور محور السورة الرئيس عن الإيمان والابتلاء وعن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف عن معدنه في النفوس، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان، إنّما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف.

ويكاد هذا أن يكون محور السورة، فإن سياق السورة يمضي بعد ذلك المطلع يستعرض قصص نوح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام، وقصص عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان، استعراضا سريعا يصور ألوانا من العقبات والفتن في طريق الدعوة إلى الإيمان، على امتداد الأجيال، وكيفية الثبات على دين الله في ظل المحن والابتلاءات .

ثم يبين حال ومصير من يقف في وجه الحق، وذلك بالتصغير من قيمة هذه القوى والتهوين من شأنها، وقد أخذها الله جميعا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ﴾[العنكبوت: ٤٠] ويضرب لهذه القوى كلها مثلا مصورًا يجسم وهنها وتفاهتها:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

---

(1) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج 20 /200).

ويربط بعد ذلك بين الحق الذي في تلك الدعوات، والحق الذي في خلق السماوات والأرض ثمّ يوحد بين تلك الدعوات جميعا ودعوة محمدﷺ فكلها من عند الله، وكلها دعوة واحدة إلى الله، ومن ثمّ يمضي في الحديث عن الكتاب الأخير، وعن استقبال المشركين له وهم يطلبون الخوارق غير مكتفين بهذا الكتاب وما فيه من رحمة وذكرى لقوم يؤمنون، ويستعجلون بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، ويتناقضون في منطقهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ولكنهم مع هذا كله يشركون بالله ويفتنون المؤمنين.

ومن خلال ذلك يدعو المؤمنين إلى الهجرة فرارًا بدينهم من الفتنة، غير خائفين من الموت، إذ أن الموت مكتوب على كل إنسان لا مفر من ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]غير خائفين من فوات الرزق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

ويختم السورة بالثناء على المجاهدين في سبيل الله وطمأنتهم على الهدى وتثبيتهم: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وبذلك يرتبط الختام مع المطلع وتتضح حكمة السياق في السورة، وتماسك حلقاتها بين المطلع والختام، حول محورها الأول وموضوعها الأصيل ألا وهو التوحيد، البعث والجزاء، الرسالة، سنة الابتلاء للمؤمنين ووعد الله لهم بالنصر المبين [1].

ثانياً: الجو الذي نزلت فيه السورة:

في وقت كان المسلمون يتعرضون في مكة لأقصى أنواع المحنة والشدّة، فكان لا بد من تسلية للمؤمنين مما يشد من أزرهم؛ فنزلت سورة العنكبوت لتبين؛ لهم حقيقة الإيمان الصادق فهو ليس كما يظن انه كلمة تقال باللسان، فجاءت السورة وفيها قصص الأنبياء السابقين، وتعرضهم

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2718).

للفتن والمحن، ما يقوى من عزيمتهم على الصبر على الفتن والشدائد، فالإنسان معرّض لأن يفتن في كثير من الأمور كفتنة المال، والبنين، والدنيا، والسلطة، والشهوات، والصحة، والأهل، وهذا من تدبير الله تعالى ليبلوا الناس أيهم أحسن عملا؛ وليعلم صدق العباد وليختبرهم في إيمانهم. [(1)]

ثالثاً: مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها

- **مناسبة السورة لما قبلها (سورة القصص):**

تظهر صلة سورة العنكبوت بما قبلها ظهوراً جلياً بما ترتبط فيه السورة من عدة أمور :

التشابه في المطلع: في أول سورة القصص التحدث عن فرعون وفتنته لقومه بالقتل وغيره من أنواع العذاب قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٤]

وفي سورة العنكبوت بدأ كذلك بما تعرض له المؤمنون من المحن والابتلاءات ، وذلك لحثهم على الصبر والثبات على دين الله سبحانه وتعالى في وجه الفتن والشدائد قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٢]

الارتباط في أجر العاملين: يوجد ارتباط بين السورتين في تحديد الغاية والغرض من عاقبة المتقين وأجر العاملين ، ففي سورة القصص قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣]. وفي سورة العنكبوت قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا ﴾ [العنكبوت: ٥٨] .

التشابه في الخاتمة: هناك ارتباط بين السورتين في الخاتمة، حيث تعرض في سورة القصص إلى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [القصص: ٨٥] ثم في سورة العنكبوت تعرض لهجرة المسلمين قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٦][(2)].

- **مناسبة السورة لما بعدها(الروم):**

يظهر التناسب بين سورة العنكبوت وسورة الروم فلما بدء وختم سورة العنكبوت بالحديث عن الجهاد وافتتح سورة الروم بوعد الله، ونصر المؤمنين، فكأن هذه تتمة لما قبلها من الحديث عن الجهاد الذي ختمت به سورة العنكبوت، ويظهر تناسب السورتان من خلال الآتي:

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2718).

(2) انظر: الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (مج 181/20).

التشابه في المطلع: فإن كلا من سورة العنكبوت وسورة الروم افتتح بالحروف المقطعة غير المقرين بذكر التنزيل والكتاب والقرآن على خلاف القاعدة الخاصة في المفتتح بالحروف المقطعة، فكلها قرنت بذلك إلا سورة العنكبوت والروم والقلم .

البدء بالجهاد: سورة العنكبوت بدأت بالحديث عن الجهاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ﴾ [العنكبوت: ٦] وختمت به، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكذلك بدأت سورة الروم بالحديث عن وعد المؤمنين بالنصر والغلبة، وهم يجاهدون في سبيل الله ﴿ الٓمٓ ﴾.

أصول الاعتقاد: إنّ الآيات التي يستدل من خلالها على أصول الاعتقاد والتوحيد جاءت كثيرة ومفصلة وهي تتحدث عن ذلك من خلال سورة العنكبوت والروم فالسورتين تتحدثان عن أصل الاعتقاد والتوحيد فجاء في سورة العنكبوت قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾ [العنكبوت: ١٩] ، وقال في سورة الروم قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [الروم: ١١][(1)].

رابعاً: موضوعا ت السورة الرئيسية ومقاصدها :

1. اختبار المؤمنين ليعلم الصادق منهم من الكاذب .
2. وعد الله بالنصر للمؤمنين، وخذلان أهل الشرك وأنصارهم من أهل الكتاب.
3. الأمر بمجافاة المشركين، والابتعاد عنهم ولو كانوا من القرابة، فعقيدة الإسلام أهم من القرابة.
4. الأمر بالإحسان إلى الوالدين والبر لهما.
5. التعرض لقصص الأنبياء عليهم السلام، وكيف ثبتوا على دين الله، والتآسي بهم من صبر وثبات .
6. تذكير المشركين بنعم الله عليهم ليقلعوا عن عبادة ما سواه.
7. إثبات نبوة محمد ﷺبصدق مُعجزته.
8. بيان حقيقة الدنيا وما هي إلا لهو ولعب بمقابل الدار الآخرة.
9. إثبات حقيقة البعث وأنه يوم لا بد منه لا محالة، وليس كما أنكره المشركين .
10. ضرب الله الأمثال تقريعًا وتوبيخًا للكافرين حيث ضرب المثل في اتخاذ المشركون أولياء من دون الله كمثل العنكبوت .

---

(1) انظر: البقاعي، نظم الدرر (مج 3/15).

11. الأمر بالهجرة عند عدم القدرة على إقامة الدين الإسلامي.

12. أهمية الصبر على المكاره والتكاليف، والفتن والمحن .

13. بيان كيفية مجادلة أهل الكتاب.[1]

---

(1) انظر: أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير (ج 4/111).

الفصل الأول

الإلـهيات

المبحث الأول :الإيمان بالله وحقيقته من خلال السورة

المطلب الأول: مفهوم الإيمان بالله

الإيمان لغة له معنيان:

أولاً : الأمن : أي: إعطاء الأمن والأمان والطمأنينة؛ الذي هو ضد الخوف، وآمنته ضد أخفته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤].

فآمن، أي: أصبح داخلاً في الأمن، واستأمن إليه، أي: دخل في أمانه، والأمنة والأمانة: نقيض الخيانة، ومنه اسم الله – تبارك وتعالى – (المؤمن)؛ لأنه – سبحانه – أمن عباده أن لا يظلمهم.

ثانياً: التصديق: أي الذي يصدق قوله بالعمل، والتصديق: ضد التكذيب، وإذا قال العبد: آمنت بالله تعالى رباً؛ أي: صدقت به، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [غافر: ٨٤] وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٧٥].

ولهذا قال إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا﴾ [يوسف: ١٧] أي: لا تقر بخبرنا، ولا تثق به، ولا تطمئن إليه، ولو كنا صادقين[1].

ثانياً: الإيمان اصطلاحاً:

" الإيمان قول وعمل، إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان"[2]

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة (مج133/1)– عبدالله بن الحميد : الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: 19).

(2) اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (ج 295/1،).

وعرفه الإمام ابن القيم[1]" هو حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهراً وتنفيذ الدعوة إليه بحسب الإمكان"[2]

"وهو تصديق تام، قائم بالقلب، مستلزم لما وجب من الأعمال القلبية وأعمال الجوارح"[3]

ثالثاً : مفهوم الإيمان بالله تعالى:

وأمّا معنى الإيمان بالله فهو أن تعتقد أنّ الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم.

وهذه ملة إبراهيم ﷺالتي سفه نفسه من رغب عنها، وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ ﴾ [الممتحنة: ٤]، واعلم أن الإنسان ما يصبح مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] [4].

---

(1) ابن القيم هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي، أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن القيم الجوزية، ولد في دمشق سنة 691هـ وكان جريء الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب شيخه ابن تيمية حتى يكاد لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك وهو الذي هذب كتب ابن تيمية ونشر علمه، له الكثير من المصنفات:(زاد المعاد في هدى خير العباد) و(وأعلام الموقعين عن رب العالمين)، توفي بدمشق سنة 751هـ انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، العسقلاني(ج5/137-140)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي(ج2/195- 197).

(2) ابن القيم، الفوائد (ص129).

(3) انظر: محمد مانع، شرح العقيدة السفارينية (ص192).

(4) انظر: محمد بن عبد الوهاب، مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (ص376-378).

المطلب الثاني: سنة الابتلاء والمحن

من سنن الله سبحانه وتعالى الابتلاء، فهي سنة كونية من سننه في الخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣]

فلا بدّ من الامتحان والابتلاء، تارة يكون بالسراء، وتارة أخرى بالضراء لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٥] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]

فالابتلاءُ مستمرٌ من الله تعالى للناس، فلا بدّ للإنسان أن يبتلى ويمتحن، فإن كان من العارفين بالله وصبر وثبت على إيمانه، فإنّه سيحصل له من الفلاح ما حصل للمؤمنين من قبله، وإن أعرض، ولم يتعظ، ولم يعتبر كما أمر فنهايته للهلاك، والفتنة العظيمة التي لا فتنة بعدها، هي عذاب الله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴾ [الذاريات: ١٣ – ١٤]

فلا بدّ للمؤمن الصبر والشكر، ولا بد من حصول الألم لكل نفس سواء أمنت أم كفرت، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة. (1)

أما الكافر فقد تنقطع عنه الفتنة في الدنيا ولكنه يصير إلى الألم في الأخرة، قال ﷺ (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ(2) مِنَ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَأَتْهَا فَإِذَا اعْتَدَلَتْ تَكَفَّأُ بِالْبَلاَءِ، وَالْفَاجِرُ كَالأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ) (3)

والإنسان يشاهد الفتن لا تنقطع عنه؛ ولكنها تختلف حسب شدتها وضعفها، فمثلاً الأمراض والمجاعات والجوائح، وفقد الأحبة حتى الشوكة يشاكها الإنسان.

والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٢٠]،" وهذا عام في جميع الخلق، امتحن بعضهم ببعض، فامتحن الرسل بأقوامهم، وامتحن العلماء بالجهال هل يعلمونهم

(1) انظر: ابن القيم، الفوائد (ص204–201).

(2) الخامة : وأما الخاء والألف والميم فمن المنقلب عن الياء. الخامة: الرطبة من النبات والزرع– ابن فارس – مقاييس اللغة –(ج208/4).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ في المشيئة والإرادة، 191/8: رقم الحديث7466]

أو ينصحونهم، وامتحن الملوك بالرعية، وبالعكس، وامتحن الأغنياء بالفقراء، وبالعكس، وكما امتحن الأقوياء بالضعفاء، والسادة بالأتباع، والمالك بمملوكه، والآمرون بالمعروف بمن يأمرونهم، وعلى العكس من هؤلاء جميعا، فإنهم فتنوا بأضدادهم"[1] .

فالجميع في هذه الدنيا ممتحن من الأنبياء وحتى الفقراء، والأتباع، والمملوكين .

"فمن صبر على الفتنة كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها"[2] .

وإذا كانت هذه سنة الله تعالى في الناس كافة، فإن أصحاب الرسالات – خاصة – وأتباعهم، المؤمنين الداعين بدعوتهم، هم أشد الناس تعرضاً للأذى والمحن والابتلاء في أموالهم، وأنفسهم، وأعراضهم، وأبدانهم، وأهليهم، وكل عزيز لديهم، فقد جرت سنة الله تعالى أن يكون لهم أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم ويتربصون بهم الدوائر .

"إنّهم يدعون الله فيحاربهم دعاة الطاغوت، وينادون بالحق فيقاومهم أنصار الباطل، ويهدون إلى الخير فيعاديهم أنصار الشر، ويأمرون بالمعروف فيخاصمهم أهل المنكر... وبهذا يحيون في دوامة من المحن، وسلسلة من المؤامرات والفتن، سنة الله الذي خلق آدم وإبليس، وإبراهيم ونمرود، وموسى وفرعون، ومحمداً ﷺ وأبا جهل"[3] .

"فمن سنة الابتلاء أن الله ابتلى أفضل خلقه وهم رسله صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وهم أفضل الدعاة إلى توحيده سبحانه فابتلاهم بالمرسل إليهم حين يدعونهم إلى الحق والصبر على آذاهم وتحمل المشاق في تحمل رسالة ربهم" [4].

فهذا محمد ﷺ بين الله سبحانه وتعالى، أنه ابتلي بقوم جحدوا بآيات الله مع علمهم بها قال تعالى عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٠]

---

(1) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان (ج161/2).

(2) المرجع السابق (ج 161/2).

(3) القرضاوي، الإيمان والحياة (ص 178).

(4) ابن قيم الجوزية، الفوائد (ص203).

وكذلك اتهم بالسحر والتعلم مع الكهنة حتى أخرج هذا الكتاب والله عز وجل نفى عنه هذه التهمة بقوله سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨] والواقف على سيرته يرى ما حصل له من فتنة وبلاء، كما ابتلي نوح عليه السلام بابنه وفلذة كبده، حيث كان ممن أعرض عن دعوته كما ابتلي بزوجته حيث خانته.

وكذلك إبراهيم عليه السلام ابتلي بعدم استجابة قومه له، كما حاولوا الانتقام منه ولكن الله أنجاه منهم ، فقال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وكذلك ابتلي بإعراض أبيه عن الاستجابة لدعوة التوحيد.

ونبي الله لوط عليه السلام ابتلي بقوم لم يستجيبوا له، بل أنهم يستهزئون بأمر الله سبحانه وتعالى، حيث أتوا بأمر عظيم لم يسبقهم إليه أحد قال تعالى عنهم: ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٩].

وكما حصل للرسل من بلاء ومحنة، امتحن الله المرسل إليهم بهم هل يطيعونهم وينصرونهم ويصدقونهم أم يكفرون بهم ويردون عليهم ويقاتلونهم، فأقوام الرسل الذين لم يستجيبوا لدعوتهم أصيبوا بأعظم بلية وأعظم فتنة، وهي الكفر التي تدوم محنته وتشتد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤] "أي لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة، والامتحان، فإن وراءهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطم" [(1)].

وأصحاب النبي ﷺ لاقوا من الابتلاء والمحن ما الله عليم به، حتّى أن أول سورة العنكبوت نزلت فيهم قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢].

قال ابن عباس وغيره: يريد بالناس قوما من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، كعمار بن ياسر، وأبوه وأمه، والوليد بن الوليد، عياش بن أبي ربيعة[(2)] .

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 645/3).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 13/ 323).

وكذلك فتن بعض الصحابة بأحبابه وأهله، كما حصلت مع مصعب بن عمير ونزلت فيه هذه الآية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]

وقد ابتلي الصحابة بما حصل لهم من مفارقة الأهل والوطن والمال حينما أمروا بالهجرة، قال تعالى: ﴿ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

وإنّ من الآيات الكثيرة التي تبين أن الابتلاء سنة كونية جارية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢ – ١١٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٣]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٦]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣١]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١]

ويبدو من هذه الآيات الكريمة أنه لا بد من ابتلاء الأنبياء والذين أمنوا معهم، وهذه سنة الله في أصحاب العقائد والدعوات، وهو الطريق لإنشاء الجماعة المسلمة التي تتحرك بالعقيدة، وتحاول إقامة منهج الله سبحانه في الأرض.

إنّ حياة الإنسان مرتبطة ارتباطاً وثيقا بهذه السنة الربانية قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢]

فمرة يبتلى بالخير ومرة يبتلى بالشر، ومرة بالصحة وتارة بالسقم كما قَالَ تَعَالَى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥]

فمن الضروري أن يدرك الإنسان أنّ الابتلاء جزء من حياته ووجوده فلم يخلق الله الإنسان عبثا في هذه الدنيا، بل كل حياته تقع في دائرة الابتلاء والامتحان وبالتالي عليه أن يكون مستعدًا ومستوعبا هدف وجوده في الحياة وكيف يمكن أن ينسجم مع سنة الله في ابتلائه واختباره وامتحانه لذلك عليه أن يكون من المتقين، قَالَ تَعَالَى:﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣]

إنّ سنة الابتلاء في حقيقتها تحافظ على الإنسان، وما خلق له ومن أجله، فإدراك حقيقة الابتلاء تجعل الانسان يملك الدنيا ولا تملكه، يحقق العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى وأداء الأمانة الموكلة إلية.

إنّ فهم حقيقة الابتلاء تجعل الإنسان يعيش حالة الاستقرار من خلال تفاعله الإيجابي مع سنة الابتلاء كما أراد سبحانه وتعالى للإنسان قَالَ تَعَالَى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ويقول قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٥].

إنّ هذه الآيات التي تناولت الأسلوب الاستفهامي التعجبي والاستنكاري يضع الإنسان أمام حقيقة وجوده، وهي التي أجاب عليه القرآن قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وإذا أدركنا أنّ الابتلاء سنة جارية لا تتغير ولا تتبدل عرفنا السبب الذي من أجله أوذي رسول الله ﷺ ومن قبله الأنبياء ومن بعدهم الصحابة والتابعون، وبرهان هذه القاعدة قد تبين جلياً في الآيات المتقدمة وأحاديث رسول اللهﷺ ، وفي عصرنا الحاضر بما يتحصل لحملة الإسلام في شتى بقاع الأرض من أذى واضطهاد على يد أنظمة الكفر والطغيان ومن والاهم.

المطلب الثالث: الحكمة من المحن والابتلاءات

جعل الله سبحانه وتعالى الابتلاء سنة من سننه الكونية وكذلك جعلها على جميع الخلق برهم وفاجرهم، فأفعاله كلها حكمة، فلا تكون إلا عن علم وحكمة، منها ما نعرفه ومنها لا نعرفه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

فالابتلاءُ من أفعالِ الله عزّ وجل فلا بدّ من حكمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية[1]– رحمه الله–: " وليست البلايا والمصائب تأتي من طاعة الله ورسوله كما يظن بعض الجهال فإن هذا جزاء أصحابها خيري الدنيا والأخرة " [2] .

ومن حكم الله سبحانه وتعالى لسنة المحن والابتلاء:

أولاً: بيان الصادق من الكاذب:

إنّ الله تعالى يبتلي العباد حتى يظهر منهم من هو راسخ العقيدة حقيقة ومن هو غير صحيح المعتقد، إنّ الإيمانَ ليس كلمة تقال إنَما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به.

فالفتنة والمحن سنة من سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣]

والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدا إلا بما استعلن من أمره، وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه.

---

(1) ابن تيمية هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد احليم بن عبد السلام الحراني بن تيمية، الإمام العلامه الفقيه المفسر البارع، لقب بشيخ الإسلام ولد بحران سنة 661هـ ، كان من بحور العلم والأذكياء، وقد أثنى عليه الموافق والمخالف، توفي وهو محبوس في قلعة دمشق سنة 728هـ، انظر ، تذكرة الحفاظ الذهبي(ج192/4). الوافي بالوافيات، صلاح الدين الصفدي(ج11/7).

(2) ابن تيمية، الحسنة والسيئة (ص44)

قال ابن القيم- رحمه الله -: "إن الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس، ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها، ومن يصلح لموالاته وكرامته ومن لا يصلح، وليمحص النفوس التي تصلح له ويخلصها بِكِير الامتحان، كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه إلا بالامتحان، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه إلى السبك والتصفية، فإن خرج في هذا الدار وإلا ففي كير جهنم، فإذا هذب العبد ونُقي أُذن له في دخول الجنة"(1).

قال الفضيل بن عياض: " الناس ما داموا في عافية مستورون، فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم؛ فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه" (2)

ثانياً: الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة:

إنّ هدفَ الابتلاءِ هو الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة الكبرى والمسؤولية العظمى، فحمل الأمانة لا يتم إلا بالمعاناة، وبالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وبالصبر الحقيقي على الآلام، وبالثقة الحقيقية في نصر الله أو ثوابه على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.

"إنّ الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة، فهي أمانة كريمة وهي ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء" (3)

وإنّ من أنواع الفتن أن يتعرض المؤمن السالك في طريق الحق للأذى من اهل الباطل الذين يقفون في وجه الحق وأهله، وبعد ذلك لا يجد صاحب الحق من ينصره ولا يقف بجانبه ويدفع عنه، ولا يملك أن يدفع الأذى عن نفسه، ولا يوجد القوة لمواجهة هذا الطغيان الباطل .

---

(1) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد (ج 18/3).
(2) الشحود، موسوعة فقه الابتلاء (ج 50/4).
(3) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2720).

لقد اختار الله لنبيه ﷺ العيش الشديد الذي تتخلله الشدائد، منذ صغره ليعده للمهمة العظمى التي تنتظره والتي لا يمكن أن يصبر عليها إلا أشداء الرجال، الذين عركتهم الشدائد فصمدوا لها، وابتلوا بالمصائب فصبروا عليها، نشأ النبي ﷺ يتيماً ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى ماتت أمه أيضاً .

والله سبحانه وتعالى يُذكّر النبي ﷺ وآله بهذا فيقول: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ [الضحى: ٦] فكأن الله تعالى أراد إعداد النبي ﷺ على تحمل المسئولية منذ صغره

" سَأَلَ رجل الشَّافِعِي فَقَالَ يَا أَبَا عبد الله أَيّمَا أفضل للرجل أَن يمكّن أَو يَبْتَلِي فَقَالَ الشَّافِعِي لَا يمكَّن حَتَّى يبتلى"[1].

والله سبحانه وتعالى لا يريد أن يعذب المؤمنين بالابتلاء وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الجاد لتحمل الأمانة وثقلها.

فالأمانة تحتاج إلى إعداد خاص، وهذا لا يتم إلا بالمعاناة العملية الشاقة، وكذلك بالترفع الحقيقي عن الشهوات، والثقة الكاملة بوعد الله أن النصر للمؤمنين، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء .

والنفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث، وتستجيش كامن قواها المدخورة فتستيقظ وتتجمع وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عودا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين: النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية، مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار.

"وإنّ المؤمنين يتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم، بما أدوا لها من غالي الثمن، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات، والذي يبذل من دمه وأعصابه، ومن راحته واطمئنانه، ومن رغائبه ولذاته، ثم يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام"[2].

وقالﷺ : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا تَزَالُ الرِّيحُ تُمِيلُهُ وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ الْبَلَاءُ وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الْأَرْزِ لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِدَ)[3] .

---

(1) ابن القيم، الفوائد (ص208).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2721).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، صفة القيامة والجنة والنار/ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَالزَّرْعِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَشَجَرِ الْأَرْزِ، 4/ 2163: رقم الحديث 2809]

في النهاية انتصار الحق والدين هذا أمر تكفل به وعد الله، وما يشك مؤمن في وعد الله، فإن أبطأ فلحكمة مقدرة، فيها الخير للإيمان وأهله، وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله، وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة، ويقع عليهم البلاء، أن يكونوا هم المختارين من الله، ليكونوا أمناء على حق الله، وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة فهو يختارهم للابتلاء والاختبار.

ثالثاً: تكفير السيئات والخطايا:

فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يريد تمحيص المؤمنين وتخليصهم من ذنوبهم، بالتوبة والرجوع إليه، واستغفارهم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٧]، وقد بين سبحانه وتعالى أنه لا بد للمؤمن من امتحان وابتلاء .

وقد جاء في الهدي النبوي:" مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ[1] وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ " [2]

ويقول ﷺ : (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَة)[3]

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى تكفيره لسيئات المؤمنين في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ قَالَ تَعَالَى:
﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٧]

قال ابن القيم : "إنّ ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد به لتمام الأجر، وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه" [4]

عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)[5]

---

(1) وصب: الوصب: المرض، ورجل وصب وموصب: كثير الأوصاب– ابن فارس – مجمل اللغة – (ج927/1).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، المرضى/ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، 7/ 114: رقم الحديث 5641]

(3) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والأدب/ ثواب المؤمن فيما يصيبه، 1991/4: رقم الحديث 2572]

(4) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (ج 2/ 188).

(5) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد والرقائق/ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، 4/ 2295: رقم الحديث 2999]

وروي عَنْ سعد بن أبي وقاص، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: (الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ)(1)

لقد جاءت الأحاديث النبوية تباعًا تشير إلى فضل الابتلاء في تكفير الذنوب ورفع المنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

هذه المفاهيم تجعل المؤمن يتقبل الابتلاء دون خوف أو نكوص، بل ارتقاء وصعود نحو الله، فالمؤمن دائما بحاجة إلى تذكر ذنوبه ومعاصيه حتى يدرك أنه بحاجة للعمل من أجل التكفير عنها، فهذه الابتلاءات منحه من الله ليكفر بها الذنوب عن المبتلى، إن من نعم البلاء أنه يقابل ربه وقد حطت عنه خطاياه وذنوبه ومعاصيه، فتحول البلاء إلى نعمة لا يشعر بها إلا من فتح الله قلبه وبصيرته، بأن ما أصابه من محن وابتلاءات هي بمثابة منحة ربانية.

رابعاً: رفعة الدرجات عند الله تعالى:

إنّ المصائب والبلاء امتحانٌ للعبد، وهي علامة حب الله لعبده المؤمن؛ إذ هي كالدواء، فإنَّه وإن كان مراً إلا أنَّك تقدمه على مرارته لمن تحب –ولله المثل الأعلى– إنّ الله يبتلينا ليرفع درجاتنا، فكيف بنا إذا لقينا الله يوم القيامة بلا مصائب وابتلاءات سنكون مفلسين، فحسناتنا لا تكفي لدخولنا الجنة، فالله سبحانه وتعالى يشهد لأهل المحن بأن في دينهم صلابة، وفي عقيدتهم قوة فهو سبحانه يختارهم للابتلاء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ [البقرة: ١٥٥]، إنّ الصبرَ على الابتلاءات والمحن مُوجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه .

قال ﷺ:" يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ " (2)

إنّ المؤمن الصادق وهو يعيش واقع الابتلاء والمحن يشعر بالاطمئنان بما أعده الله له من عظيم الثواب، فلا ييأس، بل يدرك أن الدنيا مصيرها إلى زوال، وأن حياته حتماً ستنتهي، ويبقى ما وعده الله من الثواب والرضوان .

---

(1) [أحمد: مسند الإمام أحمد، 1/ 172: رقم الحديث 1481]

(2) [الترمذي: سنن الترمذي، الزهد/ باب (58)، 4/ 603: رقم الحديث 2402]

وعن خَبَّاب رضى الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: (لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ) (1)

فضربوا لنا أروع الأمثلة في الصبر على البلاء والتضحية لهذا الدين حتى ولو كانت بالأرواح والأبدان .

وروي عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً) (2)

قال ابن القيم– رحمه الله–: "فلولا أنه سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء لطغوا وبغوا وعتوا، والله سبحانه إذا أراد بعبد خيراً سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه: أهَّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي عبوديته، وأرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه " (3)

خامساً: إظهار آيات الله الكونية في عقاب المفسدين

لمّا كانت طبائع النفوس متفاوتة، وكان فيهم من يكفيه الترغيب في ثواب الله والترهيب من عقابه، وفيهم من لا تكفيه هذه الأساليب، فهؤلاء لو تركهم الله تعالى بدون عقاب لعم الفساد في الأرض، فلما كان هذا شأن الناس قضت حكمة الله تعالى أن يكون في دين الله ومن أصوله جزاء المحسن على إحسانه، وعقاب المسيء على إساءته، حتى يستقيم أمر الناس وتعتدل أحوالهم، ومن خلال الابتلاء يظهر الله سبحانه وتعالى للناس آياته، ويبين لعباده عاقبة الظلم والظالمين ويستخلف عباده الصالحين مهما طالت مدة الابتلاء .

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، المناقب/ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ مِنَ المُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، 5/ 45: رقم الحديث3852]

(2) [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة والآداب/ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، 4/ 1991: رقم الحديث 2572]

(3) ابن القيم، زاد المعاد (4 / 195).

وقد تتمثل هذه العاقبة الدنيوية في إهلاك المفسدين، وإنزال العذاب عليهم في الدنيا، ولقد كانت سنة الله تعالى في الذين خلوا أنهم إذا كثرت مفاسدهم أهلكهم الله تعالى، ولقد ضرب الله تعالى أمثلة كثيرة لهذا الهلاك الذي أصاب الظالمين والفاسقين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ

وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] يخبر الله تعالى عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أنه أهلكهم، فعاد، قوم هود عليه السلام لما عتوا واستكبروا وقالوا: من أشد منا قوة، أرسل الله عليهم ريحاً صرصراً فاصبحوا كأنهم أعجاز نخل منقعر، وثمود، قوم صالح عليه السلام عندما استمروا على طغيانهم وكفرهم، وقتلوا الناقة التي امتحنهم الله بها، وتهددوا صالحا ومن آمن معه بأن يخرجوهم ويرجموهم، أرسل الله تعالى صيحة أخمدت أصواتهم واسكتت حركاتهم.

ولمّا بغى قارون وطغى ومشى في الأرض فرحاً، واعتقد الفضل على غيره من الخلق، خسف الله تعالى به وبداره الأرض، وكذلك لما عصى فرعون وطغى وبغى هو ووزيره هامان وجنودهما، ووصل بهم الأمر في عتوهم واستكبارهم إلى أن اقتحموا البحر وراء موسى عليه السلام، فكان عقابهم أن أغرقهم الله تعالى ولم ينجوا منهم أحد، وإنما أوقع الله تعالى هذا العقاب جزاء على ما كسبت أيديهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الروم: ٩] فالآية تدعو جميع الناس للتأمل والاتعاظ بمصير السابقين، الذين لحقهم الهلاك، رغم قوتهم الجسدية والاقتصادية، إلا أنهم كذبوا وحاربوا دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فكانت نتيجة هذا الصدود أن جاءهم العذاب ودمرهم، فالآية فيها عبرة وإنذار وتنبيه لكل مشرك وظالم، عله يصحو من غفلته، ويستيقظ من سكرته .

هي دعوة إلى التأمل في مصائر الغابرين، وهم ناس من الناس، وخلق من الخلق، تكشف مصائرهم الماضية عن مصائر خلفائهم الآتية، فسنة الله هي سنة في الجميع، وسنة الله حق ثابت يقوم عليه هذا الوجود، بلا محاباة لجيل من الناس، ولا هوى يتقلب معه العواقب .

وهكذا جرت سنة الله تعالى في خلقه أن ينزل عذابه على كل مجتمع كفر بنعمته، وكل قرية جحدت آياته وكذبت رسله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا

نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٨ – ٩]، وقال تعالى أيضاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص: ٥٨]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ١١]، وغير ذلك من الآيات التي تبين ما أصاب المجتمعات الظالمة المجاوزة لأوامر الله تعالى والمنتهكة لنواهيه، وهي تنذر وتوعد كل مجتمع متكبر جبار متعد لحدود الله تعالى.

ففي محاسبة الله تعالى وإهلاكه لهذه القرى الظالمة تحذير لكل من ينتهج نهجهم أو يسلك مسلكهم ويتبع غير طريق الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، فأين فرعون الذي قال لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨]، والذي قال لقومه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، والذي قال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ﴾[الزخرف: ٥١]

فأجراها الله من فوقه! وأين هامان ؟ وأين قارون ؟ وأين عاد ؟ وأين ثمود ؟

وصدق من قال:

أين الظالمون وأين التابعون لهم في الغي بل أين فرعون وهامان ؟

وأين من دوخوا الدنيا بسطوتهم وذكرهم في الورى ظلمٌ وطغيان ؟

أين الجبابرة الطاغون ويحهم ؟ وأين من غرهم لهو وسلطان ؟

هل أبقى الموت ذا عزٍ لعزته ؟ أو هل نجا منه بالأموال إنسان ؟

لا والذي خلق الأكوان من عدم الكل يفنى فلا إنس ولا جان(1)

سادساً: الشوق لله تعالى.

إنّ الشوق إلى الله لذة لا يتلذذ بها إلا من عاش مع الله، وتلذذ بمعاني هذه الحياة مع الله!! وأصبح لا يجري في قلبه غير الله، يعيش حياة الملوك من عرف الله حتى لو كان لا يجد مأكله ومشربه وملبسه، حتى لو كان لا يجد ما يظله من لفح الشمس فظله ذاك الحب الذي خالط شغاف قلبه وسرى في عروقه، .

(1) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ج 51/3).

وإنّ المسلم مطالب بأنّ يوطن نفسه على الشوق إلى لقاء الله تعالى والاستعداد لذلك، والتطلع إلى ما أعده الله تعالى لعباده المؤمنين من الأجر والمثوبة والكرامة التي من أجلّها رؤيته سبحانه وتعالى في الآخرة.

والشوق إلى لقاء الله تعالى يستلزم عدم الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها والرضى بها، بل إن المشتاق حقاً إلى لقاء الله تعالى المتطلع إلى الولوج في بحبوحة كرامته، وواسع فضله، والانغماس في جزيل مثوبته يعتبر الدنيا مجرد محطة استعدادٍ وتزودٍ لذلك اللقاء المحبوب، واستكثارٍ من ذلك الزاد، وإمعانٍ في ذلك الاستعداد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥]

قال ابن القيم –رحمه الله–" قيل: هذا تعزية للمشتاقين، وتسلية لهم، أي: أنا أعلم أن من كان يرجو لقائي، فهو مشتاق إليّ، فقد أجَّلتُ له أجلاً يكون قريباً؛ فإنه آتٍ لا محالة، وكل آتٍ قريب ... وفيه تعليل للمشتاقين برجاء اللقاء"[1]

---

(1) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (ص53).

المبحث الثاني: دلالة السورة على توحيد الربوبية

المطلب الأول: تعريف التوحيد

أولاً: التوحيد لغةً:

"أصل التوحيد من وحّدَ ، يُوحِّد توحيداً على وزن تفعيل، فالواو، والحاء، والدال أصل واحد يدلُ على الانفراد، يقال: فلان واحد قبيلته، إذا انعدم نظيره" (1)

وعرّف التوحيد الجرجاني(2) فقال:" التوحيد في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنّه واحد"(3)

ثانياً: التوحيد شرعاً:

" هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً"(4) فالذي يتضح من خلال التعريفات السابقة أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بما يختص به من الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، أي إفراده بالعبادة، فلا مثيل له ولا شريك يستحق معه العبادة .

وفي تعريف أخر التوحيد: هو الإيمان الجازم بتفرد الله تعالى ووحدانيته في ذاته، وصفاته، وأفعاله(5).

---

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 90/6).

(2) الجرجاني هو: السيد على بن محمد بن على الحسيني الجرجاني عالم الشرق ويعرف بالسيد الشريف ولد سنة (740)،أشتغل ببلاده، وقدم القاهرة أخذ بها عن أكمل الدين وغيره، ثم خرج إلى بلاد الروم ،ثم التحق ببلاد العجم؛ وصار إماما في جميع العلوم العقلية وغيرها؛ متفردا بها؛ متصنفاً في جميع أنواعها وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد، وهى مشهور في كل فن يحتج بها أكابر العلماء، فمن مصنفاته المشهورة :شرح المفتاح وشرح المواقف العضدية ،وشرح تذكرة الطوس، وله من الحواشي: حاشية على أوائل الكشاف، وعلى أوائل شرح مختصر المنتهى للعضد، وعلى اوائل البيضاوي، وعلى الخلاصة للطيبي وغيرها، وله تفسير الزهراوين، وتوفي يوم الأربعاء سادس ربيع الاخر سنة816هـ.انظر محمد بن على الشوكانى :االبدر الطالع بمحاسٍن من بعد القرن السابع،(ج466/1- 467).

(3) الجرجاني، التعريفات (ص 69).

(4) السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (1982/1402).

(5) انظر: محمد بن عبدالوهاب، القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص 39).

ثالثاً: أقسام التوحيد:

قسم علماء السنة والجماعة التوحيد إلى ثلاثة أقسام باعتبار متعلقة وهي:

أولاً: توحيد الربوبية: "هو الاعتقاد الجازم بأن الله رب كل شيء ومليكه، وخالقه، والمتصرف في شأنه، لا يشاركه أحد في ملكه، أو في أي معنى من معاني ربوبيته ومقتضيات أسمائه وصفاته"[1] والدليل على هذا التوحيد من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦]

ثانياً: توحيد الألوهية: "هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده لا شريك له هو المستحق لجميع أنواع العبادة من دعاء واستعانة واستغاثة وخضوع وغيره، وإفراده تعالى بالحاكمية والألوهية، وهذا معنى لا إله إلا الله" [2].

وفي تعريف آخر هو: "تخصيص الله عز وجل بكافة أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، قولاً وعملاً، ونفي العبادة عما سوى الله تعالى، وإن عظم شأنه"[3]، والدليل على هذا التوحيد من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]

ثالثاً : توحيد الأسماء والصفات: الإيمان الجازم بتفرد الله سبحانه وتعالى بكل اسم وصفه وردت في كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، وإثباتها على الوجه الذي يليق بعظمة الله تعالى وجلاله، دون تحريف، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه رسوله ﷺ[4] والدليل على هذا التوحيد من القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

---

(1) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ص 30).

(2) الهراس، دعوة التوحيد (ص 10 -11).

(3) الحكمي، أعلام السنة المنشورة (ص57).

(4) انظر: ابن تيمية، مجموعة الفتاوى (ج 8/3) (ص 40) .

العلاقة بين أنواع التوحيد الثلاثة:

أنواع التوحيد مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطاً متيناً، فتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزمان لتوحيد الألوهية وهما وسيلة لتوحيد الألوهية، وتوحيد الالوهية يتضمن توحيد الربوبية، فمن أقر بهما وجب عليه الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن عرف أن الله هو الخالق، والرازق، وأنه السميع والبصير والرقيب، وجب عليه أن يعبد الله وحده لا شريك له، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات، فمن عبد الله وحده، فلا بد أن يكون معتقداً أنه رازقه، وخالقه ومدبر أموره، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى، بل ويتعرف على ربه أكثر ويتقرب منه بمعرفته لأسمائه وصفاته، فتوحيد الألوهية هو الغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته وجب علينا أن نخصه بالعبادة، فأنواع التوحيد الثلاثة متلازمة مع بعضها البعض .

وأما توحيد الله بأفعال العباد، فهذا هو الذي أشرك فيه المشركون القدامى والمحدَثون، فهم وإن كانوا يعترفون بأن الله –جل وعلا– هو الخالق، الرازق، المدبر، المحيي المميت، لا خالق غيره، لكنهم وإن صرفوا له شيئاً من أنواع العبادة إلا أنهم يصرفونها أيضاً لغيره، فقد أشركوا، وإن طافوا بالبيت لله –جل وعلا– إلا أنهم يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فهم يشركون مع الله –جل وعلا–، وهذا النوع من التوحيد وجد الخلل فيه قديماً وحديثاً.

والشرك في هذا النوع في العصور المتأخرة في هذا الزمان أشدّ مما كان في زمن النبي ﷺ، لماذا؟ لأنّ المشركين الذين بعث فيهم النبيﷺ يشركون في الرخاء، لكنهم يخلصون في الشدة، ومشركوا هذا الزمان، هذا شركهم دائم في الرخاء والشدة، تجده في أوقات الأزمات يقول: يا فلان، يا علي، يا حسين، يا بدوي، يا عبد القادر، في أحلك الظروف يقول ذلك، لكن المشركين الذين بعث فيهم النبيﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، يعني في حال الأمن يشركون، وفي حال الشدة يخلصون، بينما تجد الآن والإنسان يتعرض إلى غرق أو حرق أو دهس أو ما أشبه ذلك يقول: يا فلان، يا فلان، فشركهم دائم في الرخاء والشدة. [1]

فهذه الأقسام تشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة، يكمل بعضها بعضاً، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد

---

(1) انظر: النجدي، شرح كتاب التوحيد، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير (ج4/1)

الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله.

"فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان"[1] .

"وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقوله: (هي علاقة تلازم وتضمن وشمول)، فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معاً". [2]

وذلك أنّ من أقرّ بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه من ذلك الإقرار أن يفرده بالعبادة وحده سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربّاً خالقاً مالكاً مدبراً، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك:قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١] وأمّا توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية؛ لأنّ من عبد الله، ولم يشرك به شيئاً فهذا يدلُّ ضمناً على أنّه قد اعتقد بأنّ الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره، وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يصرف شيئاً منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية، وأنه لا رب، ولا مالك، ولا متصرف إلا الله وحده.

وأمّا توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معاً، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها: الرب، الخالق، الرازق، الملك، وهذا هو توحيد الربوبية، ومن جملتها: الله، الغفور، الرحيم، التواب، وهذا هو توحيد الألوهية [3]

---

(1) الشوكاني– الصنعاني وغيرهم، تحذير أهل الإيمان (ج 1/ 140).

(2) مجموعة من الباحثين، الموسوعة العقدية – الدرر السنية (ج 1/ 167).

(3) انظر: السلمان، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية (ص: 421 – 422).

المطلب الثاني: تعريف الربوبية

أولاً : توحيد الربوبية لغة:

" الرب، هو الله تبارك وتعالى، هو مالك كل شيء، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، ويقال: فلان رب هذا الشيء، أي ملكه له، ولا يقال " الرب " بالألف واللام، لغير الله، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك، وكل من ملك شيئا فهو ربه " (1)

كره أن يجعل مالكه رباً له لمشاركة الله تعالى في الربوبية، فأما قوله تعال: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، فإنّه خاطبه على المتعارف عندهم، وعلى ما كانوا يسمونهم به ومثله قول موسى عليه السلام للسامري قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧] أي الذي اتخذته إلهاً .

وجاء في المفردات في غريب القرآن" الرب: في الأصل من التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام يقال: ربه، ورباه، وربيه ... فالرب: مصدر مستعار ولا يقال: الرب مطلقا إلا على الله – تعالى – المتكفل بمصلحة الموجودات نحو قوله تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥] ... وبالإضافة يقال: له ولغيره نحو قوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ويقال: رب الدار ورب الفرس لصاحبها ".(2)

المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية:

"وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء، ومالكه وخالقه ورازقه، وأنّه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك " (3)

قال ابن تيمية في معنى الربوبية: " أنّه لا خالق إلا الله، فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن" (4)

---

(1) الهروي، تهذيب اللغة (مج 176/15).
(2) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص184).
(3) عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (ص22).
(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج 331/10).

قال العلامة ابن القيم– رحمه الله–: "فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته " [(1)]

وجاء في لوامع الأنوار: " توحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى" [(2)]

وقال محمد خان مبيناً معنى توحيد الربوبية الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء: " أن الله وحده هو الخالق للعالم وهو الرب لهم، والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكاً بل مقرون به " [(3)]

قال شارح الطحاوية[(4)] – رحمه الله – : " وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية، وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفه معروفه من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات "[(5)] ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [إبراهيم: ١٠]

ومن هنا يتبين أنه لا بد من الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بأصناف نعمه، وربى خواص خلقه وهم الأنبياء وأتباعهم الذين آمنوا بهم، وصدقوا بما جاؤوا به من عند ربهم بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة .

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 34/1).
(2) السفاريني، لوامع لأنوار (ج 128/1 – 129).
(3) صديق حسن، الدين الخالص (ج 61/1).
(4) الطحاوي هو: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي ،كان شافعي المذهب الحنفي ،توفي بالقاهرة سنة 321هـ،ومن مصنفاته كتاب: (شرح معاني الاثار) و(أحكام القران) و(الاختلاف بين الفقهاء)انظر: الاعلام(1–206).
(5) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 79).

المطلب الثالث: دلائل توحيد الربوبية من خلال السورة

1- خلق السموات والأرض:

لقد دلت السورة على أن خلق السموات والأرض من أعظم الآيات الدالة على ربوبيته والتعرف عليه سبحانه وتعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

إنّ خلق السموات والأرض وإبداعهما على هذه الصورة من أعظم الآيات الدلة على ربوبية الله، والتعرف عليه سبحانه فقد أوضح الحق سبحانه بقوله ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ ﴾ [العنكبوت: 44] فهو الخالق للأرض والسموات بالحق المتجرد عن اللهو والعبث، وبث فيهما من الحكم العظيمة التي يتجلى بعضها لعباده المتفكرين المتدبرين في خلقهما .

إنّ في ذلك آية للذين تتفتح قلوبهم لآيات الله الكونية ومنها خلق الأرض والسموات، لأنّهم مفتوحوا البصائر والمشاعر للتلقي والإدراك .

يقول سيد قطب: "وهكذا تجيء هذه الآية عقب قصص الأنبياء، وعقب المثل المصور لحقيقة القوى في الوجود، متناسقة معها مرتبطة بها، بتلك الصلة الملحوظة، صلة الحقائق المتناثرة كلها بالحق الكامن في خلق السموات والأرض، والذي قامت به السماوات والأرض، في ذلك الدقيق الذي لا يتخلف ولا يبطئ ولا يختلف ولا يصدم بعضه بعضاً، لأنه حق متناسق لا عوج فيه".[1]

فالإله الحق الذي يستحق العبادة هو من يخلق وينشئ السموات والأرض، وليس ذلك في مقدور أحد سوى رب العالمين الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده دون سواه، فالسموات جعلها الله سقفا محفوظاً تتألف من سبع طبقات وفيها من مخلوقات الله العجيبة ما الله بها عليم يحكمها نظام متقن تسير على وفقه، ذلك النظام هو النظام الإلهي الرباني الذي يحافظ على سيرها العام دون أن يحصل فيها خلل أو فطور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ [الذاريات: ٤] [2].

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 2737/5).

(2) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ج1932/2).

فخلق السموات والأرض، يدل على أن للعالم خالقاً، حكيماً، عليماً، قدره أحسن تقدير ونظمه أحسن تنظيم، ولقد حث القرآن الكريم في غير آية على التفكر في خلق السموات والأرض وبين أن الذي أقامها وأمسكها إنما هو الخالق القادر على كل شيء المستحق للعبادة وحده دون سواه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]

وقد أثنى سبحانه وتعالى على عباده الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض، وبين الثمرة التي تحصل لهم نتيجة تفكرهم وتدبرهم في خلق السموات والأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١]

2- إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض:

من دلائل الربوبية التي وردت من خلال السورة إنزال المطر من السماء وإحياء الأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] في هذه الآية دليل حسي ملموس متكرر ومشاهد على قدرته ولطفه وعلى أنه الرب الذي يشمل إحسانه وإنعامه ورحمته جميع مخلوقاته حيث ينزل لهم المطر من السماء، فيكون ينابيع في الأرض، ثم يخرج به من الأرض الزروع المختلفة في ألوانها من الخضرة والصفرة والحمرة والبياض، والمتنوعة في أجناسها من البر والشعير والتمر والعنب ... ثم بين بأن في هذه الأحوال المتقدمة العبرة والاتعاظ والتذكير لأهل العقول السليمة [(1)] .

"وهذا شيء يشاهدونه ويعرفونه، فالأرض تكون مجدبة لا نبات فيها ولا ماء عليها، فيسألون الله سبحانه ويدعونه؛ فينزل من السماء ماءً، فإذا بالأرض تخرج زرعها وتخرج ثمارها؛ فيأكلون ويشربون ويتنعمون، ثم يشركون بالله ويجعلون رزقهم أنهم يكفرون بالله، ويستبدلون شكر الله سبحانه كفراً به. فهذه الآية وغيرها كثير تقرر أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ كانوا يقرون بربوبية الله تعالى ولكنهم يكفرون بالألوهية".[(2)]

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان (مج 208/23)- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 246/15).

(2) سعود الخلف، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة (ج 1/ 75).

وآيات القرآن في هذا كثيرة، وهي تدل على أن الكفار يؤمنون بهذا القسم من التوحيد ولم يجعلهم ذلك مسلمين، بل فوق هذا كانوا يخلصون الدعاء لله– الذي هو العبادة – في حالة الاضطرار، ثم يعودون إلى شركهم في الرخاء، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ومعنى قوله تعالى: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ أنّهم توجهوا إلى الله وحده بالعبادة، من الدعاء، والذل، والخضوع، والرغبة والخوف، والالتجاء، لعلمهم أن شركاءهم لا يملكون لهم نفعا، ولا يستطيعون دفعاً للضر عنهم، وإنما الأمر كله بيد الله تعالى وحده، والذي صيرهم مشركين وأوجب خلودهم في النار، زعمهم أن أصنامهم ومن يتوجهون إليهم يشفعون لهم.

"يخبرنا الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات وما قبلها عن دلائل ربوبيته، وأنه وحده الرب الخالق الفعال لما يريد، فإذا كان هو الرب الذي يخلق ويرزق وينزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها، ويعلم ذلك الكفار كما يعلمه المسلمون، فليكن هذا الإله الواحد هو الذي يعبد ليس غيره؛ ولذلك يُبكت الله سبحانه هؤلاء المشركين ويقرع آذانهم بهذه الآيات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] فإذا كانوا يقولون: الذي سخر الشمس والقمر، والذي خلق السماوات وما فيها، والأرض وما عليها هو الله سبحانه وتعالى –الذي خلق كل شيء– وهم يعرفون ذلك، فلماذا ينصرفون عن توحيده؟ ولماذا يعبدون غيره ويشركون به؟ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ يعني: تعجب من انصرافهم عن توحيد الله –الذي عرفوا أنه الإله وحده– إلى عبادة غيره". [1]

قال العلامة ابن القيم: " ثم تأمّل في الحكمة البالغة في نزول المطر على الأرض من علو؛ ليعم بسقيه وهادها، وتلولها، وظرابها، وآكامها، ومنخفضها، ومرتفعها، وَلَو كَانَ رَبهَا تَعَالَى إِنَّمَا يسقيها من نَاحيَة من نَوَاحِيهَا لما أتى المَاء على النَّاحِيَة المرتفعة إِلَّا إِذا اجْتمع فِي السُّفْلى، وَكثر، وَفِي ذَلِك فَسَاد فاقتضت حكمته أن سَقَاهَا من فَوْقهَا، فينشيء سُبْحَانَهُ السَّحَاب وَهِي روايا الأرض، ثمَّ يُرْسل الرِّيَاح فَتحمل المَاء من الْبَحْر، وتلقحها بِهِ كَمَا يلقح الْفَحْل الانثى وَلِهَذَا تَجِد الْبِلَاد الْقَرِيبَة من الْبَحْر كَثِيرَة الامطار وَإِذا بَعدت من الْبَحْر قل مطرها"[2]

"ثمَّ تَأمل الْحِكْمَة البالُغَة فِي إنزاله بِقدر الْحَاجة حَتَّى إِذا اخذت الارض حَاجَتهَا مِنْهُ وَكَانَ تتابعه عَلَيْهَا بعد ذَلِك يَضرهَا أقلع عَنْهَا واعقبه بالصحو، فهما أعني الصحو والغيم يعتقبان على الْعَالم لما

---

(1) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (مج 2/ 2000).

(2) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج1/ 223).

فِيهِ صَلَاحه، وَلَو دَامَ أحدهما كَانَ فِيهِ فَسَاده فَلَو توالت الأمطار لأهلكت مَا عَليّ الأرض، وَلَو زَادَت على الْحَاجة أفسدت الْحُبُوب، وَالثِّمَار، وعفنت الزروع والخضروات، وأرخت الأبدان وحشرت الْهَوَاء فَحدثت ضروب من الأمراض، وَفَسَد اكثر المآكل، وتقطعت المسالك والسبل، وَلَو دَامَ الصحو لجفت الأبدان وغيض المَاء، وَانْقطع معِين الْعُيُون، والأبار، والأنهار، والأودية، وَعظم الضَّرَر، واحتدم الْهَوَاء فيبس مَا على الأرض، وجفت الأبدان، وَغلب اليبس، واحدث ذَلِك ضروبا من الأمراض عسرة الزَّوَال فاقتضت حِكْمَة اللَّطِيف الْخَبِير أن عاقب بَين الصحو، والمطر على هَذَا الْعَالم، فاعتدل الأمر، وَصَحَّ الْهَوَاء، وَدفع كل وَاحِد مِنْهُمَا عَادِية الأخر، واستقام أمْر الْعَالم وَصلح"[(1)]

3- **تسخير الشمس والقمر لتهيئة مصالح العباد:** قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]

عندما يتأمل الإنسان بعقل متدبر وفكر عميق في هذا الكون المسخر لمصالحه والتي عليها استقرار حياته، كان هذا دليلاً واضحا وحجة بينة على أن هذا الكون مخلوق لخالق حكيم قدير، ومن جزئيات هذا الكون تسخير الشمس والقمر كما أشارت الآية في السورة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١] إن الشمس والقمر عليها يترتب قوام حياة البشرية وحياة جميع المخلوقات من حيوان ونبات .

قال ابن القيم: "ثمَّ تأمل هَذَا الْفلك الدوار بشمسه وقمره ونجومه وبروجه وَكَيف يَدُور، على هَذَا الْعَالم، هَذَا الدوران الدَّائِم إلى آخر الأجل على هَذَا التَّرْتِيب والنظام، وَمَا فِي طي ذَلِك من اخْتِلَاف اللَّيْل، وَالنَّهَار، والفصول، وَالْحر، وَالْبرد، وَمَا فِي ضمن ذَلِك من مصَالح مَا على الارض من أصناف الْحَيَوَان والنبات، وَهل يخفى على ذِي بَصِيرَة أن هَذَا إبداع الْمُبْدع الْحَكِيم، وَتَقْدِير الْعَزِيز الْعَلِيم، وَلِهَذَا خَاطب الرُّسُل أمتهم مُخَاطبَة من لَا شكّ عِنْده فِي الله، وَإِنَّمَا دعوهم إلى عِبَادَته وَحده لَا إلى الاقرار بِهِ فَقَالَت لَهُم أَفِي الله شكّ فاطر السَّمَوَات والارض فوجوده سُبْحَانَهُ وربوبيته وَقدرته أظهر من كل شَيْء على الإطلاق، فَهُوَ أظهر للبصائر من الشَّمْس للأبصار، وأبين للعقول من كل مَا تعقله، وتقر بوجوده فَمَا يُنكره إلا مكابر بِلِسَانِهِ، وَقَلبه وعقله، وفطرته، وَكلهَا تكذبه قَالَ تَعَالَى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ

(1) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج 1/ 224).

تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]"[1]

"يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَئِنْ سَأَلْتَ يَا مُحَمَّدُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فَسَوَّاهُنَّ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِعِبَادِهِ، يَجْرِيَانِ دَائِبَيْنِ لِمَصَالِحِ خَلْقِ اللَّهِ، لَيَقُولُنَّ: الَّذِي خَلَقَ ذَلِكَ وَفَعَلَهُ اللَّهُ {فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: فَأَنَّى يُصْرَفُونَ عَمَّنْ صَنَعَ ذَلِكَ، فَيَعْدِلُونَ عَنْ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ؟" [2]

"فإذا كانوا يقولون: الذي سخر الشمس والقمر، والذي خلق السماوات وما فيها، والأرض وما عليها هو الله سبحانه الذي خلق كل شيء وهم يعرفون ذلك، فلماذا ينصرفون عن توحيده؟ ولماذا يعبدون غيره ويشركون به؟ {فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} يعني: تعجب من انصرافهم عن توحيد الله –الذي عرفوا أنه الإله وحده– إلى عبادة غيره" [3]

4- **بسط الرزق للإنسان والدواب:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٠ – ٦٢] أقام الله تعالى في هذه الآيات دليلاً محسوساً وملموساً على ربوبيته يحسه العباد بحواسهم، ويلمسونه بين ظهرانيهم، ويشهدون ذلك بأبصارهم فيوحدوه، ويفردوه بالعبادة، وهذا الدليل هو أن الله تعالى لفعال لما يشاء بتوسيعه الرزق على من يشاء من عباده سواء كان صالحا، أو غير صالح، ويضيقه، على من يريد من عباده سواء كان صالحاً، أو طالحاً فرزقه مشترك بين الخلق أجمعين .

"أي فاطلبوا الرزق من عند الله، لا من عند غيره من الأوثان ونحوها، فإن غيره لا يملك شيئا، تدركوا ما تطلبون، فكلوا من رزق الله، واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم من مزيد

---

(1) ابن القيم، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ج 1/ 212).
(2) الطبري، جامع البيان (مج 18/ 438).
(3) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (مج 200/2).

الفضل، واستعدوا للقائه، فإليه ترجعون يوم القيامة، وتسألون عما أنتم عليه من عبادة غيره، ويجازي كل عامل بعمله" [1]

وكلام إبراهيم عليه السلام كلام جميل فصيح بليغ، فهو يدعوهم إلى الله سبحانه، وبين لهم في هذه الجملة الواحدة أن هذه الآلهة لا تملك شيئاً لنفسها ولا لهم، لا تملك رزقاً؛ لأن الذي يملك الرزق هو الله سبحانه وتعالى، فإذا كان كذلك فاطلبوا الرزق ممن يملكه، فهنا يعلمهم ويعلم غيرهم ألا يتوكل المرء على غير الله سبحانه، فأنت لا تطلب الرزق ممن لا يملك لنفسه شيئاً، بل اطلب الرزق من الله عز وجل، وارفع يدك إليه وادعه مخلصاً له سبحانه، فهو الذي يعطيك، فإذا كان هو الذي يعطي فاعبده سبحانه، وتوجه بالعبادة إليه، ومن العبادة الدعاء والتوكل على الله والاستغاثة به واللجوء إليه سبحانه، وكذلك الصدق مع الله ومحبته والإخلاص له وتوحيده بجميع أنواع العبادات.

قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]" أي: اشكروا الله أن ترككم وأمهلكم حتى الآن وأنتم تعبدون غيره لعلكم تتوبون إليه سبحانه، اشكروه أن رزقكم وأنتم تكفرون به وتشركون به، واشكروه أن جعل فيكم من يدعوكم إليه سبحانه وتعالى، فاشكروا نعمة الله عز وجل عليكم بإعطائه ومنه عليكم، وتذكروا أنكم إليه ترجعون" [2]

"فالذي يُنْزِلُ عليكم الخيرات ويمنحكم البركات من السموات هو الله وحده، والذي ينبت لكم الأرض ويخرج خيراتها وكنوزها هو الله تعالى، ومن ثَمَّ فهو وحده المستحقٌّ للعبادة، أما الأصنام فإنها لا تملك في هذا الكون مثقال ذرةٍ" [3]

وهذان دليلان على التوحيد:

أولاً: إن ما تعبدون من غير الله من الأصنام، ما هي إلا أوثان، وأشياء مصنوعة من الأحجار، فلا تضرّ ولا تنفع، وإنما اختلقتم لها أسماء، فسمّيتموها آلهة، وادّعيتم أن لها شفاعة لكم عند ربّكم، وإنما هي مخلوقة أمثالكم، فأنتم تختلقون الكذب بوصفها آلهة.

ثانياً: إن تلك الأوثان التي تعبدونها من غير الله، لا تستطيع أن تجلب لكم رزقا، فكيف تعبدونها؟ فاطلبوا الرزق من عند الله تعالى، لا من عند غيره من الأوثان ونحوها، واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم من الفضل والإنعام، فإنما إليه مرجعكم يوم القيامة، ليحاسبكم على أعمالكم. [4]

(1) الزحيلي، التفسير المنير (مج 20/ 215).
(2) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد(مج2/ 188).
(3) التفسير الموضوعي لسورة سبأ (ص: 39).
(4) انظر: الزحيلي، التفسير الوسيط (ج 3/ 1955)

وقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، أي: ويرزقكم أنتم أيضاً، فالإنسان ينظر ويعتبر، فانظر واعتبر كيف رزق الله كل هذه الدواب؛ فرزق كل طائر يطير في السماء، وكل إنسان يسير، وكل حيوان يدب على أربع، وكل حشرة، وكل شيء يرزقه الله تبارك وتعالى، "فقوله: ﴿ اللَّهُ يَرْزُقُهَا ﴾ ، يعني: الدابة ﴿ وَإِيَّاكُمْ ﴾ ، يعني: يرزقكم الله سبحانه وتعالى" [1]

أي : الباري تبارك وتعالى ، قد تكفل بأرزاق الخلائق كلهم ، قويهم ، وعاجزهم . فكم " من دابة " في الأرض ضعيفة القوى، ضعيفة العقل، " لا تحمل رزقها " ولا تدخره، بل لم تزل، لا شيء معها من الرزق، ولا يزال الله يسخر لها الرزق، في كل وقت بوقته" الله يرزقها وإياكم " فكلكم عيال الله القائم برزقكم ، كما قام بخلقكم وتدبيركم ،" وهو السميع العليم " فلا تخفى عليه خافية، ولا تهلك دابة من عدم الرزق، بسبب أنها خافية عليه، كما قال تعالى: " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين " [2]

"فالله يغني من يشاء، ويفقر من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء سبحانه، وهم يعرفون ذلك، فلماذا صرفوا عن توحيده وعن عبادته؟[3]

وهذا استدلال على المشركين، المكذبين بتوحيد الإلهية والعبادة، وإلزام لهم، بما أثبتوه من توحيد الربوبية، فأنت لو سألتهم من خلق السموات والأرض، ومن نزل من السماء ماء، فأحيا به الأرض بعد موتها، ومن بيده تدبير جميع الأشياء ؟ " ليقولن الله " وحده ولا اعترفوا بعجز الأوثان، فاعجب لإفكهم، وكذبهم، وعدولهم إلى من أقروا بعجزه، وأنه لا يستحق أن يدبر شيئا، وسجل عليهم عدم العقل، وأنهم السفهاء، ضعفاء الأحلام، فهل تجد أضعف عقلا، وأقل بصيرة، ممن أتى إلى حجر، أو قبر ونحوه وهو يدري أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق، ثم صرف له خالص الإخلاص، وصافي العبودية، وأشركه مع الرب، الخالق الرازق، النافع الضار. [4]

---

(1) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد(مج199/4).

(2) محمد زايد، فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن (ج 1/ 328).

(3) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (مج200/2).

(4) انظر: محمد زايد، فيض الرحمن تفسير جواهر القرآن (ج 1/ 329).

5- **إثبات البعث بالنظر إلى بداية الخلق:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢٠]

"أى: قل – أيها الرسول الكريم – لهؤلاء المنكرين للبعث: سيحوا في الأرض، وتتبعوا أحوال الخلق، وتأملوا كيف خلقهم الله – تعالى – ابتداء على أطوار مختلفة، وطبائع متمايزة، وأحوال شتى، ثم قل لهم بعد كل ذلك، الله الذى خلق الخلق ابتداء على تلك الصور المتنوعة المتكاثرة، هو وحده الذى ﴿ يُنشِىءُ النشأة الآخرة ﴾ أي: هو وحده الذى ينشئهم ويخلقهم ويعيدهم إلى الحياة مرة أخرى، بعد أن أوجدهم في المرة الأولى" [1] ، والاستفهام لتوبيخهم على إنكارهم هذه الحقيقة.

والمعنى: ألم ينظر هؤلاء المشركون المنكرون للبعث، ويعلموا كيف خلق الله – تعالى – الخلق ابتداء، ليستدلوا بذلك على قدرته على الإعادة، وهى أهون عليه، إنهم ليرون كيف يبدئ الله الخلق في النبتة النامية، وفى الشجرة الباسقة، وفى كل ما لم يكن، ثم بعد ذلك يكون، فكيف أنكروا إعادة هذا المخلوق إلى الحياة مرة أخرى، مع أنه من المسلم عند كل ذي عقل، أن الإعادة أيسر من الخلق ابتداء؟ فالآية الكريمة تقرعهم على إنكارهم البعث، وتسوق لهم الأدلة الواضحة على إمكانيته .

"واسم الإشارة في قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ يعود إلى ما ذكر من الأمرين وهما : بدء الخلق ، وإعادته إلى الحياة مرة أخرى" [2]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ ﴾

"أي أوَلَمْ يعلَمْ ويعتبرْ أهلُ مكَّة كيفَ يُبدِئُ اللهُ الْخَلْقَ في أرحامِ الأُمَّهاتِ مِن النُّطفةِ ثُم مِن العلقةِ ثُم مِن الْمُضْغَةِ إلى تَمامِ الخلقِ، ثُم يُميتُهُ ثُم يعيدهُ بعدَ الموتِ للبعثِ خَلْقاً جَديداً، وقولهُ تعالى: ﴿ إنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾؛ أي إنَّ بَدْأ الخلقِ وإعادتهِ هَيِّنٌ على اللهِ، فإنه القادرُ على الاختراعِ مِن غير ابتداء على مثال، قادرٌ على الإعادةِ، وكانوا يُقِرُّونَ بأنَّ اللهَ هو الذي خلَقَهم" [3]

---

(1) سيد طنطاوي، الوسيط (ص: 3303).

(2) سيد طنطاوي، الوسيط (ص: 3302)

(3) الطبراني، تفسير القرآن العظيم (مج 6/ 173).

وهذا إرشاد إلى إثبات المعاد الذي ينكرونه مع وضوح دليله، وذلك بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق الله إياهم بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً، ثم وجدوا وصاروا أناساً سامعين مبصرين، فالذي بدأ هذا، قادر على إعادته، فإنه سهل عليه، يسير لديه .

المبحث الثالث: دلالة السورة على توحيد الألوهية

المطلب الأول: تعريف توحيد الألوهية

الألوهية لغةً:

"الألوهية مأخوذة من الإله، وهو فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود مثل: إمام بمعنى مؤتم به، وآلهة: اتخذ إلها، أي معبوداً، وكل ما اتخذ معبوداً، فهو إله عند متخذه"[1] .

توحيد الألوهية اصطلاحاً:

1- "هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، والإقرار بأنه لا أحد يستحق شيئاً من العبادة سواه، بمعنى: أن يعبد الله سبحانه وتعالى وحده، ولا يشرك معه في عبادته أحد من خلقه، لأنه وحده المستحق لأن يعبد، وهو مبني على إخلاص العمل كله والتوجه به سبحانه وتعالى وحده دون سواه، سواء كان هذا العمل من أعمال القلوب أو من أعمال الجوارح"[2]
2- وهو إفراد الله تعالى بأفعال عباده التي تعبدهم بها كالنحر، والنذر، والدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة والإنابة، والخشوع والخشية والاستعاذة، الاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة التي شرعها الله وأمر بها عباده [3]
3- وهو: " إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، ونفي العبادة عن كل ما سوى الله تبارك وتعالى " [4] .
4- " ويسمى توحيد العبادة والعمل، وذلك لتعلقه بالقصد والإرادة " [5] .

من خلال ما مجموع التعاريف السابقة، يتبين أن توحيد الألوهية يتعلق بالقصد والإرادة، وكذلك يسمى توحيد العبادة، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق وحده للعبادة، والطاعة والخضوع، وأن لا يشرك به أحد كائنا من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء والحب، والإنابة، والخشية، والتذلل، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعاً، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال وشرك .

---

(1) انظر: الرازي، مختار الصحاح (ص20)- ابن منظور، لسان لعرب (مج 467/13).

(2) ضميرية، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية (ص 233).

(3) انظر: ابن تيمية، الحسنة والسيئة (ص 126)- عبد الوهاب، مجموعة التوحيد وغيرهما، الرسالة الأولى (ص 4).

(4) الحكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (ج 459/2).

(5) ملكاوي، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم (ص108).

المطلب الثاني: دلالة السورة على توحيد الألوهية

القسم الأول: العبادات القلبية:

أولاً: الرجاء:

من العبادات الوارد ذكرها في السورة "الرجاء" وقد ورد في آيتين قوله تعالى:﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥]

وقوله عن شعيبعليه السلام ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

"الرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاء المحبوب وهو الله والدار الأخرة ويطيب لها السير، وقيل هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه، وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى" [1]

الرجاء من العبادات القلبية، وهو" من محركات القلوب إلى الله عز وجل التي هي المحبة والخوف والرجاء"[2]

والله سبحانه وتعالى حث على الرجاء ومدح أهله بدليل الآيتين المتقدمتين وغيرهما كثير كقوله تعالى مادحاً للمؤمنين:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١٨]

قال ﷺ في الحديث القدسي، يقول الله تعالى:(يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَي أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَي بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). [3]

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 36/2).

(2) ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام (ج 95/1).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد/ قوله تعالى: ويحذركم الله نفسه، 171/8: رقم الحديث 7405]

فالراجي يطمع فيما يحبه الله لا فيما يبغضه، فالمؤمن لا يعلق رجاؤه إلا بالله، ولا يخاف من الله أن يظلمه، فإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون، بل يخاف أن يحاسبه على ذنوبه.

والذي نخلص إليه أن الرجاء عبادة قلبية، لا تكون إلا لله عز وجل، ويحرم على الإنسان أن يرجو سوى الله تعالى أياً كان، فهو من خصائص الألوهية، لأن ذلك من حق الله على خلقه فعلى العبد أن يرجو ربه طمعاً في رحمته وخوفاً من عقابه.

ثانياً: الصبر:

من العبادات الوارد ذكرها في السورة "الصبر" وقد ورد في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفًا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨ – ٥٩]

الصبر منزلة عُظمى لا يدركها إلا قلة من العباد الذين عرفوا قدر وعظمة هذه المنزلة عند الله تعالى، فالواجب على العباد أن يصبروا محتسبين، يصبروا على أقدار الله التي قدرها عليهم، فلا يجزع الإنسان ولا يعترض على قضاء الله وقدره، بل الواجب عليه الصبر والاحتساب

وهو من أهم الأخلاق الإسلامية وأوجبها على العبد، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، والصبر خير كله، وهو من أصعب الأمور على العبد وأشقها عليه، ولا يستطيع الصبر إلا من لله به عناية ورحمة.

فالصبر كما ذكر ابن القيم "هو حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش "[1]

"وفيه يدخل أنواع الصبر، صبر على الطاعة، وعلى المعصية، وعلى البلاء، وأكملها الصبر على طاعة الله، لأنها لله وبالله ومع الله، لأن الصبر إذا كان لله فباعثه محبة الله سبحانه والتقرب إليه لإظهار قوة النفس ومدح الخلق وغير ذلك والصبر بالله أي الاستعانة به، والصبر مع الله أن يكون على مراده الديني، واحكامه الدينية يسير سيرها، ويتوجه معها في كل حالاته"[2]

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 162/2).

(2) المرجع السابق (ج 164/2).

قال ﷺ: (عَجَبًا لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمْرَه كُلَّهُ لهُ خَيرٌ وليسَ ذلكَ لأحَدٍ إلا للمُؤْمنِ إنْ أصَابتهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ وإنْ أصَابتهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانتْ خَيرًا لهُ). [1]

قال ﷺ: (وَمَنْ تَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) [2] .

والصبر من أهم العبادات لأنه يشمل جميع أنواع العبادة، فكل عبادة لا بد فيها من الصبر، لذلك أمر الله بالتواصي به في قوله، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١ - ٣]

والصبر من صفات المؤمنين لذلك وعدهم الله بالأجر العظيم في جنات النعيم، وذلك جزاء صبرهم كما قال :﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٩]

ثالثاً: التوكل:

من العبادات الوارد ذكرها في السورة "التوكل"، قال تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٩]

وحقيقة التوكل: "هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[3]

فالتوكل هو عمل القلب وعبوديته اعتماداً على الله، وثقة به والتجاء إليه وتفويضاً إليه، ورضاً بما يقتضيه له لعلمه بكفايته سبحانه، وحسن اختياره لعبده إذا فوض إليه مع قيامه بالأسباب المأمور بها واجتهاده في تحصيلها، وقد قرنه الله بالصبر في هذه السورة قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٩]

من المعروف أن التوكل: اعتماد القلب على غيره، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلاّ اذا اعتقد فيه أشياء مثل الشفقة والقوة والهداية، وهذه بيد الله سبحانه[4] .

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم، الزهد / أحاديث متفرقة 18/ 417: رقم الحديث2999]

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الزكاة / الاستعفاف عن المسألة، 151/2: رقم الحديث 152]

(3) ابن القيم، الفوائد (ص 86).

(4) انظر: المقدسي، مختصر منهاج القاصدين (332ص).

والتوكل من أفضل العبادات، وأعلى مقامات التوحيد، بل لا يقوم به على الوجه الأكمل إلا خواص المؤمنين كما في حديث السبعين ألفاً الذي رواه بن عباس، رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ يوما فقال: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي ، فَقِيلَ هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: " هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ"، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ ، قَالَ: نَعَمْ، فَقَامَ آخَرُ، فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ)[1]

قال الإمام أحمد: "التوكل عمل القلب"

أي أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح، ولا من باب العلوم والإدراكات" [2]

والتوكل والاعتماد على الله لا ينافي العمل وفعل الأسباب، لأنّ النبي ﷺخير من توكل على الله، مع أنه لم يترك العمل وهذا واضح من سيرته ﷺ، فكان يلبس لأمته ودرعه، واختفى في الغار ثلاثاً، فكان متوكلاً في السبب لا على المسبب" [3].

القسم الثاني: عبادات اللسان

أولاً: الدعاء:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة "الدعاء " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٠]

"فالدعاء هو أن يضرع إلى الله يدعوه ويسأله النجاة ويسأله الرزق، وكل هذا عبادة، فإذا صرفها لصنم أو لشجر أو لحجر أو لميت صار مشركاً بالله عز وجل" [4]

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ من لم يرق، 134/7: رقم الحديث 5752]

(2) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج 119/2).

(3) ابن القيم، الروح (ص254) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين (ج 124/2).

(4) حطيبة، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (مج 13/5).

والدعاء نوعان:

1- دعاء عبادة.

2- ودعاء مسألة.

ومعنى دعاء العبادة: التوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهذا يدخل فيه المسألة.

والدعاء الآخر يكون مسألة الله سبحانه وتعالى، فدعاء المسألة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر، ولهذا أنكر الله سبحانه على من يدعو أحداً من دونه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦]

فالدعاء عباده، والعبادة مبناها على التوقف والاتباع، لا على الهوى والابتداع.

قال صلى الله عليه وسلم (الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ)[1] ثم تلا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]

وعلى المؤمن أن يتحين أوقات وأحوال الإجابة كالسجود لقوله ﷺ "أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ"[2].

وكذلك يوم عرفه، وعند لقاء العدو، وغيرها من الأوقات الفاضلة التي يطول ذكرها مع أدلتها.

ثانياً: قراءة القرآن:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة "قراءة القرآن" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] من أفضل العبادات التي حث عليها سبحانه وتعالى في كتابه هي قراءة القرآن الكريم، وعلى لسان رسوله ﷺ ، ورتب عليها الأجر والثواب الجزيل، لأنها تدل على صدق المحبة، لأن من تحبه تردد كلامه، وأمرنا أن نردد كلامه، والأمر للرسول أمر لأمته .

وقد تضافرت الأدلة في فضل تلاوة القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]

---

(1) [الترمذي: سنن الترمذي، التفسير/ 3 ، 211/5: رقم الحديث 2969]

(2) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة/ باب41، 348/1: رقم الحديث 479]

والسنة النبوية مليئة بما يحث ويخبر بفضل تلاوة القرآن الكريم قال ﷺ :(خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1].

ومن تلاوة القرآن العمل به فليس التلاوة باللسان فقط، فقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما، قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١] قال "يحلون حلاله ،ويحرمون حرامه ولا يحرفونه" وقيل يتبعونه حق اتباعه[2]، وبذلك فتلاوة القرآن تشمل جميع العبادات التي أمر الله بها في كتابه الكريم .

اقرأ كتاب الله وتأمل فيه؛ تجد فيه صفات الرب سبحانه؛ ملك، له الملك كله، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عالما بما في نفوس عبيده، مطلع على أسرارهم وعلانيتهم، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

تأمل في كتاب الله تجده سبحانه يثني على نفسه، ويمجد نفسه، ويوجه عباده، ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بالنعم، فيذكرهم بنعمه عليهم ليشكروه، ويحذرهم من نقمه، ويذكرهم بما لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعد لهم من العقوبة إن هم عصوه، ويخبرهم بصنيعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

والمقصود من معرفة الله، المعرفة التي توجب الحياء، والخوف منه، والإقبال عليه، وليس المقصود من معرفته الإقرار بوجوده، فهذا يعرفه كل الخلق جنهم وإنسهم، مؤمنهم وكافرهم، حتى البهائم تُقر بوجوده سبحانه، إنما نقصد من العلم بالله العلم الذي يورث الخشية والعمل؛ كما قال تبارك وتعالى عن العارفين به:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر : ٢٨]

"وإن قراءة القرآن بالتدبر، والعمل بما فيه، والإكثار من ذكره سبحانه والتقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض، وانكسار القلب بكليته بين يديه، والخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته، وتلاوة كلامه وتجنب ما يصرف القلب عنه، من المحرمات المسموعة والمرئية وغيرها، وكذلك مجالسة أهل الخير والصلاح، كل هذا من الأسباب التي ينال بها العبد محبة خالقه ومولاه"[3].

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 192/6: رقم الحديث 5027]

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (ج 519/1).

(3) عبد الوهاب، الشرح الميسر لكتاب التوحيد (ص180).

فقراءة القرآن وتدبره من أنفع دواعي زيادة الإيمان؛ فالذي يقرأه بتدبر وتأمل؛ يجد فيه من العلوم والمعارف ما يقوي به إيمانه، ويزيده وينميه، ولا تكون هذه الزيادة إلا مع فهم القرآن وتطبيقه، والعمل به[1].

وإذا نظرنا إلى حالنا اليوم الذي نعيش فيه نجد أننا في تناقض كبير بين الكلمة التي نقولها، وبين الأعمال التي تميزنا عن غيرنا، فنحن ننطق بكلمة الإسلام، ونردد شعائر الإيمان، ونكثر من قراءة القرآن، بينما الأعمال تقليد لأعدائنا، وحياتنا في أكثريتها تعتبر ترديداً لحياة من غضب الله عليهم ولعنهم في جميع كتبه، كل ذلك بسبب ضعف العقيدة، أو موتها، ولا أمل في إصلاحها إلا على أساس إحيائها وتقويتها، ولا يكون ذلك إلا عبر كتاب الله قولاً وعملاً .

"إن الذي يقول: "لا إله إلا الله والله أكبر" بعمق فكر، وصدق صلة، ولذة معرفة بالله، يشعر بزلزلة كيانه، وانفعال وجدانه وأركانه، وامتلاء قلبه بنور الله، وامتزاج روحه بفيض رحمة الله، وعزة انتمائه إلى حزب الله، ويجد أبواب السماء مفتّحة له، وملائكة الرحمة محيطة به وحملة العرش يستغفرون الله له ويطلبون له ولذريته وأزواجه وآبائه الرحمة والجنة، لذلك يندفع في حب يطلب رضاء الله بطاعته، ويسهر الليل عابداً، أو يقضي النهار صائماً، ويحمل سيفه مجاهداً ويضحي بنفسه وماله في سبيل ربه، لا يبالي بمشقة أو تعب، ولا يشكي من بلاء أو نصب، له في كل خير قدم ثابتة، وفي كل عبادة وفضيلة منزلة سامية"[2].

ثالثاً: الذكر:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة "الذكر" قول تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

إنّ ذكر الله عز وجل من أفضل الأعمال التي يقوم بها العبد المؤمن، وأحبها إلى الله عز وجل ،وقد ورددت كثير من الآيات والأحاديث النبوية في هذا المجال، كلُّ جارحةٍ من جوارح الإنسان لها عبادة، فعبادة العين أن تَغُضَ بصركَ عن محارم الله، وأن تنظرَ بها إلى ملكوت السموات والأرض مفكراً ومتعظاً، الأذن لها عبادة، اليد لها عبادة، أما عبادة القلب فهي الذِكر، ففي كل جارحةٍ من جوارح الإنسان عبادة مؤقتة، والذِكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، ﴿ولذِكرُ الله أكبر﴾ يعني

(1) انظر: عبدالحميد، الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص23).
(2) أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية (ص: 272).

أكبر من كلِّ طاعة، أكبر من كلِّ عمل، لأنَّ ذِكرَ الله هو محطُ الرِحال ومنتهى الآمال، به تسعد، أكبر ما في الصلاة، أكبر من الركوع والسجود، ومن القيام.

والذاكر لله شبيه بالحي لما في قلبه من الحياة، لذلك قال ﷺ: (مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ)[1].

وإنّ من ذكر الله عز وجل، ذكرُ أسمائه وصفاته، فإذا فهمتَ هذا الاسم، فهمتَ تعريفه، فهمتَ مظاهره، فهمتَ براهينه، فهمتَ تطبيقاته، هذا ذِكر، ومن أبواب الذِكر، أن تذكرَ الله خالقاً مربيّاً مسيّراً، وأن تذكره في أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى، وبذلك تكون قد جمعت أنواع التوحيد الثلاثة وهذه هي أن تؤمن بالله خالقاً وواحداً لا شريك له وتؤمن بكل اسم وصفة نسبها لنفسه .

رابعاً: الدعوة إلى الله:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة الدعوة إلى الله حيث قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

فالله سبحانه وتعالى يوضح لنا ألا نجادل إلا بالتي هي أحسن، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إجابتهم إلى الإسلام، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، إلا الذين ظلموا منهم، بان أفرطوا في المجادلة، ولم يتأدبوا مع المسلمين فلا بأس بالإغلاظ عليهم والتخشين في مجادلتهم[2]

الدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل عليهم السلام، وقد أمر الله بها وحث عليها في آيات كثيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣]

وقد قام النبي ﷺ بنفسه على الدعوة على أكمل وجه، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ومن ذلك إرسال الكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وإرسال الدعاة إلى الأمصار.

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الدعوات / فضل ذكر الله عزّ وجل، 86/8: رقم الحديث 6407]

(2) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 350/13).

وما وصل إلينا هذا الخير والفضل إلا بسببه ﷺ، وبسبب دعوته هو الصحابة رضي الله عنهم، وهذا أمر لنا بتبليغ رسالته بحسب استطاعتنا، فكما وصلت إلينا لا بد أن نوصلها إلى غيرنا .

فيجب علينا أن نقوم بهذا الواجب العظيم، واجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فهذا سبيل الرسول ﷺ، وأتباعه كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]، ولا يخفى فضل الدعوة إلى الله، وما لها من الأثر العظيم في هداية الخلق، وأي ثناء، وترغيب فوق ثنائه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

كي نعيد مجد أمتنا وعزة أجدادنا ونفوز في الدارين الدنيا والآخرة، ونحقق مراد الله منا، لابد من تطبيق المنهج الذي جاء به رسول الله ﷺ، وسار عليه حتى لقي ربه وحمله من بعده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فلم يبدلوا ولم يتوانوا بل حملوا هذه الرسالة بصدق، وأدوا الأمانة وبذلوا الغالي والنفيس في سبيل تطبيق هذا المنهج السوي المستقيم على ظهر هذه الأرض، ومازال العدول من هذه الأمة يحملون على عاتقهم هم هذه الأمة فيبلغون رسالات ربهم ويحاولون جاهدين أن يسود هذا المنهج أرجاء المعمورة ليتحقق وعد الله الذي أخبر بتحقيقه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [الصف: ٩].

القسم الثالث: عبادات الجوارح

أولاً: الصلاة:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة الصلاة" قوله تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

هذه الآية ذات أهمية كبيرة جداً، لأن الصلاة عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، ولا خير في دين لا صلاة فيه، إنها عماد الدين، وعصام اليقين، وغرة الطاعات، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات.

وهي ثاني أركان الإسلام وأحد مبانيه العظام، فلا عمل بعد توحيد الله أفضل من الصلاة لأنه افتتحها بالتوحيد، والتعظيم لله بالتكبير، والثناء على الله وحمده وتمجيده، ودعاؤه، وهذا ما اشتملت عليه الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة، فالذي يقيم الصلاة حقيقةً، يعترف بوحدانية الله، حيث يقرأ فيها الفاتحة، التي تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة، والصلاة فيها معاني العبادات الأخرى، لذلك هو الفرض الوحيد المتكرر خلال اليوم الذي لا يسقط بأي حال، والصلاة من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وجعلها قرة عين النبي ﷺ.

وكانت أخر وصية للنبي ﷺالوصاية بالصلاة فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (كَانَ آخِرُ كَلامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم). [1]

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر إذا كانت عند العبد الرغبة الصادقة في ذلك، فالمتمم لأركانه وشروطها وخشوعها يستنير قلبه ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه ،وتقوى رغبته في الخير، وتنعدم رغبته في الشر، وهذا من أعظم مقاصد الصلاة وثمراتها قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، "ولو تأملنا نصوص القرآن والسنة لوجدنا أن الاهتمام بالأصول يشير إلى أن هذا هو الواجب الأول في الدعوة، وهو الذي به يحصل صلاح الناس وأحوالهم، وبه ينتهون عن الفساد والمنكر من تلقاء أنفسهم، وإلى هذا المعنى وجهنا الله تعالى إلى إقامة الصلاة، وهي من الأصول العظيمة، وبيّن أن إقامتها تنهى عن الفحشاء والمنكر" [2] الصلاة التي أرادها الله، الصلاة التي شرعت، التي صلاها النبي ﷺ، التي صلاها أصحاب النبي ﷺ، صلوها ففتحوا العالم، ملكوا ما بين الخافقين، رفرفت راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها، رفع الله ذكرهم، مكنهم في الأرض، استخلفهم فيها، مكن لهم دينهم، أبدلهم من بعد خوفهم أمنا، هذه الصلاة التي شرعها الله عزّ وجل، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

ثانياً: الهجرة:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة "الهجرة" قال تعالى:﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ العنكبوت: ٢٦]

(1) [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، هل أوصى رسول الله ﷺ، 900/2: رقم الحديث 2697]
(2) العقل، مباحث في العقيدة (ص: 75).

وقال سبحانه قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

"وهذه أول هجرة لأجل الدين ولذلك جعلها هجرة إلى ربه، والمهاجرة مفاعلة من الهجر: وهو ترك شيء كان ملازماً له، والمفاعلة للمبالغة أو لأن الذي يهجر قومه يكونون هم قد هجروه أيضاً"(1)

.

فإن الهجرة من دار الكفر، ودار الحرب إلى دار الإسلام، هي من أوائل الخطى على هذا الطريق، طريق المفاصلة بين المؤمنين وطواغيت الأرض، طريق الدعوة إلى الله، طريق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ولعل هذه السطور وما تحمله كلماتها تكون مشعلاً على طريق الوعي المنشود، للنهوض بأمتنا من هذا الواقع الأغبر النكد، حيث هي الآن في موقف لا تحسد عليه .

"والهجرة لها مقصودان:

الأول: الفرار من الفتنة، وخوف المفسدة الشركية؛ لأن كثرة المساس تميت الإحساس، بل قد يألف المسلم منظر الكفر نسأل الله السلامة منه وشره، و يتلاشى كرهه لأهله، ويصبح ذا غيرة نخرة على الإسلام وأهله؛

الثاني: مجاهدة أعداء الله، والتحيز إلى أهل الإسلام، ونصرتهم، والعمل على وحدة الصف والتفرغ للدعوة ونشر الدين، الذي أمرنا الله بنشره، وتبليغه للناس"(2).

فالهجرة من العبادات التي يتقرب بهجرة بها العبد من ربه، حيث إن الهدف من الهجرة هو إقامة شرع الله، وقد قال النبي ﷺ:(الْمُسْلِمُ مَنْ سَلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُهَاجِرُ مِنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) (3)

وقد قرن الله سبحانه وتعالى بين الإيمان والهجرة في مواضع كثيرة من القرآن لتلازمهما، واقتضاء أحدهما الأخر، ومن ذلك قوله سبحانه:" ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج 238/20).

(2) الشحود، المفصل في أحكام الهجرة (ج 1/ 206).

(3) [البخاري: صحيح البخاري، الرقائق/ الانتهاء عن المعاصي، 102/8: رقم الحديث 6484]

والمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن هجران ما يكرهه وإتيان ما يحبه ويرضاه، وأصلها الحب والبغض، فإن المهاجر لابد ان يهاجر من شيء يبغضه إلى شيء يحبه، أي أنه يؤثر أحب الأمرين إليه على الأخر .

وأمّا الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام فهذه لا تحصل إلا بعدما تحصل الهجرة المعنوية، فإن المسلم إذا أقام أمر الله في قلبه فإنه إن كان محقاً فلا بد وأن يبحث عن مكان يقيم فيه ما أمره به والجهر به .

وقد هاجر رسول الله ﷺ وهاجر الأنبياء –عليهم السلام– كما قال الله ﷻ عن لوط في هذه السورة﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

وهاجر الصحابة رضوان الله عليهم ،كما قال الله عز وجل:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]

وأمر الله سبحانه وتعالى بالهجرة ،فقال: ﴿ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]

"والهجرة تكون عبادة لله سبحانه وتعالى حتي يقوم العبد بما أوجبه الله من العبادات وإظهار دينه، فإن حصل ذلك فلا هجرة، لذلك كانت واجبة على المسلمين في مكة حينما كانت دار حرب" [1]

فالمسلم إذا فتن في دينه فعليه بالهجرة إلى بلد يأمن فيه على دينه.

ثالثاً: الجهاد:

من العبادات الواردة ذكرها في السورة "الجهاد" قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]

وقال أيضاً قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]

(1) ابن تيمية، مجموع فتاوي شيخ الإسلام (ج 281/18).

يقول ابن جرير[1]– رحمه الله–: في الآية الأولى: " ومن يجاهد عدوه من المشركين فإنما يجاهد لنفسه؛ لأنّه يفعل ذلك ابتغاء الثواب من الله على جهاده والهرب من العقاب"[2]

ويقول في الآية الثانية "والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش المكذبين بالحق لمَّا جاءهم فينا مبتغين علو كلمتنا ونصرة ديننا"[3] .

بذلك يذهب أن الجهاد الوارد في السورة هو قتال الأعداء، كما أن بعض العلماء يرى أنه أعم من ذلك.

قال الدارني:" ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط، بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر"[4] .

وقد قال الحسن البصري [5]: "إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوماً من الدهر بسيف" [6]

من خلال ذلك يتبين أن الجهاد الوارد في الآيتين جهاد عام، رغم أن السورة مكية لم يفرض فيها القتال، كما قال مقاتل:" إن هذه الآيات نزلت قبل فرض القتال"[7].

---

(1) الطبري هو: هو محمد بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد عام 224هـ في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها سنة 310هـ ، وعرض عليه القضاء فامتنع، له (أخبار الرسل والملوك) و (جامع البيان في تفسير القرآن) و (جزء في الإعتقاد) و(القراءات)، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق، وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً. انظر: الزركلي: الأعلام(ج69/6).

(2) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (مج 130/20).

(3) المرجع السابق (مج 15/21).

(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 364/13).

(5) الحسن البصري هو: أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان، ولد بالمدينة قال الغزالي كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة تتصب الحكمة من فيه، أخباره كثيرة وله كتب منها: (فضائل مكة) وتوفي بالبصرة سنة 110هـ. انظر الأعلام، الزركلي(ج226/2)، طبقات المفسرين الأدنروي(ج13/1)

(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 654/3).

(7) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 364/13).

فقد بيّن الله عز وجل الهدف والغاية من الجهاد في سبيل الله تعالى،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٣٩] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. [1]

(1) انظر: القحطاني، الجهاد في سبيل الله (ص: 5).

المطلب الثالث: الأوثان التي عبدت من دون الله

الوثن واحد الأوثان وهو حجارة كانت تعبد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢] (1)

والغرض من الأوثان هو عبادتها من دون الله- تعالى – أي على أي كيفية كانت، وعلى أي صورة وجدت، وانتشرت عبادة تلك الأصنام بين القبائل العربية، كما دل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما (صَارَتِ الأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وُدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجُرُفِ عِنْدَ سَبَأ. وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ، لآلِ ذِي الْكَلاَعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ)(2)،كانت العرب تعبد إضافة إلى تلك الأصنام أصنام قريش كاللاَّت، والعزَّى، ومناة.

استمرت عبادة تلك الأصنام في بلاد العرب حتى ختم الله رسالاته بمحمد ﷺ، الذي طهر الله به البلاد، ووجه العباد إلى المعبود بحق، الذي لا يجوز أن يُعبد أحد غيره، أو يشرك في عبادته أحد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

ولقد انتشرت عبادة الأصنام والأوثان بين العرب الجاهليين انتشارا هائلاً ولقد صور لنا ابن اسحاق رحمه الله، بدء الانحراف عند العرب من نسل إسماعيل عليه السلام في عبادتهم، فقال: "فقد كان أول انحرافهم أنه كانوا يعظمون الحرم فلا يرتحلون منه حتى كثروا وضاقت بهم مكة فأخذوا يرتحلون عنه طالبين السعة والفسح في البلاد فكان لا يظعن[3] ظاعن منهم عن الحرم إلى غيره إلا حمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً له فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة، ثم أدى بهم حالهم هذا إلى عبادة تلك الأحجار ثم كانوا يعبدون من الأحجار ما استحسنته عقولهم"(4)

---

(1) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص 287،512).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ قول تعالى: (ودا ولا سوعا ولا يغوث ويعوق)، 6/ 160: رقم الحديث 4920]

(3) ظعن: الظاء والعين والنون أصل واحد صحيح يدل على الشخوص من مكان إلى مكان- ابن فارس – مقاييس اللغة –(ج465/3).

(4) ابن هشام، السيرة النبوية (ج 77/1).

" ومن عجائب أمر الجاهلية أنّ أحدهم إذا كان مسافراً أخذ معه أربعة أحجار ثلاثة لقدره والرابع يعبده"[1].

"ولقد بالغ العرب الجاهليون في إكثارهم من الأصنام حتى أنه كان لأهل كل دار بمكة صنم يعبدونه وكان أحدهم إذا أراد السفر تمسح بصنمه وإذا رجع من سفره فعل كذلك قبل أن يدخل منزله"[2]

وكل شيء توجه إليه الناس بالعبادة، إما بأن يدعوه مع الله– جل وعلا– أو أن يستغيثوا به، أو أن يعتقدوا فيه أنه ينفع ويضر بدون إذن الله– جل وعلا– أو أنه يرجى رجاء العبادة، ويخاف منه كخوف الله– جل وعلا– أي : خوف السر، ونحو ذلك من التوجهات، والعبادات، فمن اعتقد فيه شيء من ذلك فهو وثن من الأوثان، وقد يكون راضيا بتلك العبادة، وقد لا يكون راضيا.

لأنّ النبي ﷺ أخبر أن ما وقع في الأمم قبلنا سيقع في هذه الأمة ، كما قال في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال ﷺ: (لَتتّبِعُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم حَذْوَ القذة بالقذة[3]، حتّى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبّ لَدَخلتُموهُ)[4] فمثل بشيء صغير ، وهو دخول جحر الضب– الذي لا يمكن أن يفعل– تنبيها على أن ما هو أعلى من ذلك سيقع من هذه الأمة، كما وقع من الأمم قبلنا، وقد حصل– كما أخبر به النبي ﷺفإن من هذه الأمة من آمن بالسحر، ومنهم من آمن بعبادة غير الله، ومنهم من أطاع علماء وأمراء السوء في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، فكانوا بذلك متبعين سنن من كان قبلهم، وحصل منهم إيمان بالجبت[5] والطاغوت[6] كما حصل من الأمم قبلهم .

وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ** ﴾[المائدة: ٦٠]

---

(1) ابن القيم، إغاثة اللهفان (ج 220/2).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية (ج 210/2).

(3) القذة: ريشة الطَّائِر كالنسر والصقر بعد تسويتها وإعدادها لتركب فِي السهْم ويضْرب مثلا للشيئين يستويان– المعجم الوسيط – (ج721/2).

(4) [البخاري: صحيح البخاري، الاعتصام بالكتاب والسنة/ قول النبي ﷺ: لتتبعن سنن من كان قبلكم، 103/9: رقم الحديث 7320]

(5) الجبت: الجيم والباء والتاء كلمة واحدة. الجبت: الساحر، ويقال الكاهن– ابن فارس – مقاييس اللغة – (ج500/1).

(6) كل مَا عبد من دون الله من الْجِنّ وَالْإِنْس والأصنام–( ) المعجم الوسيط – (ج559/2).

فالوثن كل ما عبد من دون الله سواءً كان على طريقة الجاهلية أو غيرها، فقد تتغير الأحوال، ويصبح الوثن على وضع آخر، فينبغي أن يعلم ذلك، وكل ما جعل له نصيب من العبادة فهو وثن، سواءً كان مكاناً أو كان قبراً أو كان شخصاً أو غير ذلك، فيكون وثناً، وعلى ذلك فربما يكون في هذه الأمة اليوم من يعبدون الأوثان ممن يدعون الأموات، أو يسألون أصحاب القبور، أو بعض الأماكن فهذا كله مما يعبد من دون الله تعالى .

"ما تعبدون –أيها القوم– مِن دون الله إلا أصنامًا، وتفترون كذبًا بتسميتكم إياها آلهة، إنَّ أوثانكم التي تعبدونها من دون الله لا تقدر أن ترزقكم شيئًا، فالتمسوا عند الله الرزق لا من عند أوثانكم، وأخلصوا له العبادة والشكر على رزقه إياكم، إلى الله تُردُّون من بعد مماتكم، فيجازيكم على ما عملتم"[1].

"وقد بين لهم تفاهة هذه الأوثان فقال : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٧] من أوثان وأصنام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾ [العنكبوت: ١٧] أي : لا يملكون لكم شيئا من الرزق حتى ولو كان غاية في القلة" [2].

"ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء، سميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم"[3].

فالشرك وعبادة الأوثان لا دليل منطقي يؤيده ولا برهان عليه، لذلك هم وقعوا في الشرك.

ففي هذه الآية يبين إبراهيم عليه السلام بطلان ما يعبدون أولاً، ثم يوجههم نحو الحق، فالأوثان لا ترزقكم وإذا أردتم الرزق فعليكم التوجه لله تعالى في العبادة وهو الذي سيرزقكم وهذا كله من تمام التوحيد لله تعالى .

إن الذين اتخذتم من دون اللّه أوثانا هي مودة بينكم، فِي الْحَياةِ الدُّنْيا، ثم هي تنقطع ولا تنفع في الآخرة، "إنما اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتواردون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا، ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، تتبرأ الأوثان من عابديها

---

(1) مجموعة من العلماء، التفسير الميسر (ج 7/ 139).
(2) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (مج 22/11).
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 6/ 269).

وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة، وَمَأْواكُمُ، جميعا العابدون والمعبودون، النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ ناصِرِينَ"[1].

لقد دعاهم دعوة بسيطة واضحة لا تعقيد فيها ولا غموض؛ وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتملاه أصحاب الدعوات .

البدء ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها:

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾، لقد بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعوهم إليها، ثم ثنى بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تتضمنه من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير :﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وفي هذا التعقيب ما يحفزهم إلى نفي الجهل عنهم، واختيار الخير لأنفسهم ، وهو في الوقت ذاته حقيقة عميقة لا مجرد تهييج خطابي!

وفي الخطوة الثالثة بين لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه:

أولها: أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً والوثن: التمثال من الخشب وهي عبادة سخيفة، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عبادة الله.

ثانيها: أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل، وإنما يخلقون إفكاً وينشئون باطلاً، يخلقونه خلقاً بلا سابقة أو مقدمة، وينشئونه إنشاء من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

ثالثها: أن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً، ولا ترزقهم شيئاً:{ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً }، وفي **الخطوة الرابعة** يوجههم إلى الله ليطلبوا منه الرزق، الأمر الذي يهمهم ويمس حاجتهم .

{ فابتغوا عند الله الرزق } "والرزق مشغلة النفوس، وبخاصة تلك التي لم يستغرقها الإيمان، ولكن ابتغاء الرزق من الله وحده حقيقة لا مجرد استثارة للميول الكامنة في النفوس" [2].

إنه يقول لهم: إنكم اتخذتم الأوثان من دون اللّه، لا اعتقادا واقتناعا بأحقية هذه العبادة إنما يجامل بعضكم بعضا، ويوافق بعضكم بعضا، على هذه العبادة ولا يريد الصاحب أن يترك عبادة

---

(1) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (ج 3/ 554).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 456).

صاحبه، استبقاء لما بينكم من مودة على حساب الحق والعقيدة! وإن هذا ليقع في الجماعات التي لا تأخذ العقيدة مأخذ الجد، فيسترضي الصاحب صاحبه على حساب العقيدة ويرى أمرها أهون من أن يخالف عليه صديقه! وهي الجد كل الجد، الجد الذي لا يقبل تهاونا ولا استرخاء ولا استرضاء.

ثم يكشف لهم عن حالهم في الآخرة، فإذا المودة التي يخشون أن يمسوها بالخلاف على العقيدة، والتي يبقون على عبادة الأوثان محافظة عليها، إذا هي يوم القيامة عداء ولعن وانفصام .

يوم يتنكر التابعون للمتبوعين، ويكفر الأولياء بالأولياء، ويتهم كل فريق صاحبه أنه أضله، ويلعن كل غوي صاحبه الذي أغواه! ثم لا يجدي ذلك الكفر والتلاعن شيئا، ولا يدفع عن أحد عذابا.

المطلب الرابع: تشبيه حال عبدة الأصنام بحال العنكبوت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

إنّ هذه الآية من السورة هي سياق قرآني يدخل ضمن ضرب الأمثال التي تستدعي النظر والفكر وتقرب الحقيقة الغائبة عن الذهن أو التصور للواقع، أو لإظهار شيء غامض بشيء واضح والمثل المثار هو تشبيه الكافر بالعنكبوت وعمل الكافر بعمل العنكبوت، فاتخاذ الكافر أندادا من دون الله التي لا تنفع ولا تضر يشبه بيت العنكبوت الذي يكون أضعف "أوهن" ما يكون إذا تعرض للهدم من ريح أو إنسان أو شيء آخر ثم تختم الآية بقوله تعالي "لو كانوا يعلمون" إشارة إلى الشهود الحضاري للقرآن وأنه سوف يأتي يوم يعلم الكافر ضعف آلهته وأنها مخلوقة لا تنفع ولا تضر وسوف يأتي يوم نعلم حقيقة واقع المشبه به وهو بيت العنكبوت وكأنه إقرار لحقيقة الإعجاز العلمي في الآية.

ضعف القوة المادية وحدها في الميدان:

تأتي هذه الآية بعد ذكر الفتن والابتلاء والتي تعرض لها بالأنبياء وأممهم، وانتفاش أهل الباطل الذين بهرتهم قوى المال والجاه، فظنوا أنها مانعتهم من الله فجاء هذا المثلُ يبين حقيقة قوى الباطل وتهاويها في ميدان الصراع، وأنهم قد جانبوا الصواب في تقديريهم للصراع، وأن قوتهم لن تغني عنهم أمام قوة الله الواحد القهار، الذي يمد أولياءه بالعون والصبر والثبات، وأن كل عدة مادية متجردة عن الإيمان لا تعدوا أن تكون وهم أو سراب، أو بيتاً من نسج العنكبوت.

"إن المتدبر لآيات الصراع بين الحق والباطل في السياق القرآني الكريم يجد بما لا يدع شكاً لصاحب بصيرة أن الباطل مهما ارتفع وامتلك من أسباب القوة المادية والقوة البشرية، فإن شأنه ضعيف واه لا يصمد أمام الحق وأهله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

إنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود، الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحيانا، فيسوء تقديرهم لجميع القيم، ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات، وتختل في أيديهم جميع الموازين"[1].

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2736).

"ويعتمد الباطل في قوته وجبروته على الشيطان وتحريضه لأوليائه، وما يزين ويضخم لهم من قوة المادة وفعلها، وما يمنيهم به من نصرته لهم، فإذا عزم الأمر خذلهم وبدا لهم ما هم علية من ضعف وخور، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فسياق الآية يبين إن الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائه ويلبسهم لباس القوة والقدرة ويوقع في قلوبهم أنهم ذوو طول ومنعة وعتاد، فيسهم ذلك في نشر الفساد في الأرض ويخضع لهم رقاب الناس ويطوع لهم القلوب، فلا يقف في وجههم أهل الحق بالإنكار، ولا يفكر أحد في الانقضاض عليهم ودفعهم عما هم فيه من الشر والفساد، والله سبحانه وتعالى يُعرِّف أولياءه من المؤمنين حقيقة الشيطان ووهن أوليائه مهما بدأت قوتهم الظاهرية والمادية ومهما بلغ بطشهم وجبروتهم، فالقوة الوحيدة التي يجب أن تُخشى ويُحسب لها حساب هي قوة الله القوة، التي تملك النفع والضر، وهي القوة التي يخشاها المؤمنون، وهم حين يخشونها وحدها أقوى الأقوياء، فلا تقف لهم قوة في الأرض، لا قوة الشيطان ولا قوة أولياء الشيطان"[1]،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]

والإنسان في جهله وضلاله بدل أن يلتجئ إلى خالق الكون ومربيه، ومسيره، إلى صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى إلى من بيده ملكوت السماوات والأرض، إلى من بيده كل شيء، إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، من يسمع سره ونجواه، إلى الحكيم العليم، إلى الغني القدير، إلى صاحب الأسماء الحسنى والصفات الفضلى، اتجه الإنسان إلى غير الله عز وجل، بحسب رؤيته غير الصحيحة رأى أن المال قوة فانكب على المال يسعى في جمعه وادخاره، وشعر أن المال قوة، وأنه يعصمه من كل البلايا والمحن، فالذي يركن إلى المال، ويعتمد عليه، ويلوذ به، ويراه حصناً له من كل مكروه إنسان جاهل.

وقد يعتقد بعض البسطاء من الناس أن القوة المادية كفيلة بأن تدفع عن أصحابها كل مكروه، وتحسم لهم النصر والغلبة في الدنيا، لاسيما بعد أن توصل العقل البشري إلى أنواع من السلاح الفتاك، وسلاح الحماية والوقاية بما لا يدع مجالاً لخيال البشر أن يظن ظانٌّ بهزيمة من ملك هذه القوة والعدة المادية العظيمة، ولكن القرآن الكريم يقص علينا من أخبار الأمم السابقة ما يدحض هذه الأوهام، قال تعالى حكاية عن عاد، قوم هود عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 521/1).

وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، والخطاب لأهل مكة، ويقصد منه أن الله مكن عاداً من قوة الأبدان وطول الأعمار وكثرة الأموال وأعطاهم من الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم في أمر الدين، فقد كانوا أشد من أهل مكة بطشاً وقوة، وأكثر منهم عدداً، وأموالاً، وأولاداً، فما استعملوها إلا في طلب الدنيا ولذاتها، فلما أنزل بهم العذاب ما أغنى ذلك عنهم شيئاً(1)، وقد وصف الله تعالى قوة عاد بالعظيمة التي لم يوجد لها مثيل بين الأمم في عصرهم، وقال سبحانه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [الفجر: ٦ – ٨].

كفاية رب العالمين التي يضل عنها المهزوم:

قوة اللّه وحدها هي القوة، وولاية اللّه وحدها هي الولاية، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

وإلى من يلوذ بقوى ظاهرة في الأرض يطلب عندهم الأمان وينشد في كنفهم العز، وإلى من يضل عن نصرة الله تعالى وكفايته كما قال تعالى: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزمر: 36-38]فمن يضلل عن كفاية الله سبحانه وتعالى، ويتعلق بغير الله، ويطلب من غير الله، ويلوذ لغير الله، جاء هذا المثل موجهاً له قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١]

فهؤلاء جميعا تخدعهم قوة الحكم والسلطان يحسبونها القوة القادرة التي تعمل في هذه الأرض، فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم، ويخشونها ويفزعون منها، ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها، أو

(1) انظر: الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل (مج 165/4)– الشنقيطي، أضواء البيان (مج 399/7).

يضمنوا لأنفسهم حماها! وتخدعهم قوة المال، يحسبونها القوة المسيطرة على أقدار الناس وأقدار الحياة، ويتقدمون إليها في رغب وفي رهب ويسعون للحصول عليها ليستطيلوا بها ويتسلطوا على الرقاب كما يحسبون! وتخدعهم قوة العلم يحسبونها أصل القوة وأصل المال، وأصل سائر القوى التي يصول بها من يملكها ويجول، ويتقدمون إليها خاشعين كأنهم عباد في المحاريب! وتخدعهم هذه القوى الظاهرة، تخدعهم في أيدي الأفراد وفي أيدي الجماعات وفي أيدي الدول، فيدورون حولها، ويتهافتون عليها، كما يدور الفراش على المصباح، وكما يتهافت الفراش على النار! وينسون القوة الوحيدة التي تخلق سائر القوى الصغيرة، وتملكها، وتمنحها، وتوجهها، وتسخرها كما تريد، حيثما تريد.

وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى سواء كانت في أيدي الأفراد، أو الجماعات، أو الدول كالتجاء العنكبوت إلى بيته، وهي حشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو، ولا وقاية لها من بيتها الواهن.

وإن أصحاب الدعوات الذين يتعرضون للفتنة والأذى، وللإغراء والإغواء، لجديرون أن يقفوا أمام هذه الحقيقة الضخمة ولا ينسوها لحظة، وهم يواجهون القوى المختلفة، هذه تضر بهم وتحاول أن تسحقهم، وهذه تستهويهم وتحاول أن تشتريهم، وكلها خيوط العنكبوت في حساب اللّه، وفي حساب العقيدة حين تصح العقيدة، وحين تعرف حقيقة القوى وتحسن التقويم والتقدير.

إلى من ينخدع بالباطل فيورث قلبه يأسًا وعمله فتورًا، أو ينخدع فيركن إلى الذين ظلموا، أو ينخدع فيلوذ بعدو الله، فيضرب الله مثلاً لبيان الحقيقة مهما بدا الظاهر مغايرًا لذلك وخدّاعًا.

قوة الله وحدها هي القوة، وولاية الله وحدها هي الولاية، وما عداها فهو واهن ضئيل هزيل؛ مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل البطش والطغيان والتنكيل.

"هذه الحقيقة الضخمة هي التي عني القرآن بتقريرها في نفوس الفئة المؤمنة، فكانت بها أقوى من جميع القوى التي وقفت في طريقها وداست بها على كبرياء الجبابرة في الأرض ودكت بها المعاقل والحصون"[1].

"لقد استقرت هذه الحقيقة الضخمة في كل نفس، وعمرت كل قلب، واختلطت بالدم، وجرت معه في العروق، ولم تعد كلمة تقال باللسان، ولا قضية تحتاج إلى جدل، بل بديهة مستقرة في النفس، لا يجول غيرها في حس ولا خيال".[2]

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2737).

(2) المرجع السابق (مج 5/ 2737).

الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد على الله شرك:

إن مغزى الآية هو الابتعاد عن كل أنواع الشرك، فهذه هي القضية، فمن يعتمد على غير الله كمن يعتمد على بيت العنكبوت وبالتالي فقد وضع الأمر في غير موضعه وظلم نفسه، وإن الشرك لظلم عظيم وبالتالي فقد وقع في الشرك، فالذي يعتمد على غير الله ﷻ كمن التجأ إلى بيت العنكبوت، فهؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفًا كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١ – ٨٢]، وقال تعالى: وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ ﴾ [يس: ٧٤ – ٧٥]، وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ ﴾ [هود: ١٠١] والقضية قضية نفسية، هناك من يأخذ بالأسباب، وهو مشرك، وهناك من يأخذ بالأسباب، وهو مؤمن، المؤمن مطالب بأن يأخذ بالأسباب، والمشرك يأخذ بالأسباب، الفرق دقيق جداً، المؤمن يأخذ بالأسباب، ويعتمد على الله، المشرك يأخذ بالأسباب، ويعتمد عليها، لأنه اعتمد على الأسباب استحق من الله أن يتخلى عنه، وأن يريه ما الأسباب، وما تفعل الأسباب وحدها[1]

(1) انظر: موسوعة النابلسي www.nabulsi.com، بتاريخ 2016/01/15م.

المبحث الرابع: دلالة السورة على توحيد الأسماء والصفات

المطلب الأول: تعريف توحيد الأسماء والصفات

أولاً: تعريف توحيد الأسماء والصفات لغةً:

الأسماء لغةً: جمع اسم وفي اللسان: " اسم هو مشتق من السمو، وهو الرفعة "[1] ويقول ابن القيم : " الاسم هو اللفظ الدال على المسمى" [2]

الصفات لغةً: " جمع صفه، والصفة أصلها وصف، والواو والصاد والفاء: أصل واحد، هو تحليه الشيء، ووصفته أصفه وصفا، والصفة: الأمارة اللازمة للشيء"[3]

ثانياً: تعريف الأسماء والصفات اصطلاحاً :

"الإيمان الجازم بتفرد الله سبحانه وتعالى بكل اسم وصفه وردت في كتاب الله، أو سنة رسوله ﷺ، وإثباتها على الوجه الذي يليق بعظمة الله تعالى وجلاله، دون تحريف أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه رسوله محمد ﷺ" [4]

وجاء في لوامع الأنوار: " وَتَوْحِيدُ الصِّفَاتِ أَنْ يُوصَفَ اللَّهُ – تَعَالَى – بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، فَيُثْبَتُ لَهُ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُنْفَى عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ طَرِيقَةَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاتُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَكَذَلِكَ يَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، مَعَ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْ غَيْرِ إِلْحَادٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَلَا فِي الْآيَاتِ، فَإِنَّهُ – تَعَالَى – ذَمَّ الْمُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ وَآيَاتِهِ "[5]

---

(1) ابن منظور، لسان العرب (مج 381/6).

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج 29/1).

(3) انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 6 /115).

(4) ابن تيمية، مجموعة الفتاوي (ج 8/3).

(5) السفاريني، لوامع الأنوار البهية (ج 1/ 129).

فالإنسان لا يعرف ربه إلا بمعرفته صفاته وأسمائه، فإذا ما تم له معرفة ذلك عرف – ربه جل وعلا – وحينئذ يسأل ربه ويدعوه بأسمائه الحسنى كما أمر الله بذلك في محكم التنزيل حيث قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد عرّف السلف ربهم ومعبودهم عن طريق معرفة أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي أثبتها لنفسه في كتابه العزيز، وأثبته له رسوله ﷺ في سنته الشريفة.

وقال الإمام الذهبي: " وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] فهذا رد على الممثلة ، ورد على المعطلة "[1]

هذا هو منهج السلف في تعرفهم على ربهم وهو معرفته لهم عن طريق معرفة أسمائه وصفاته التي أتصف بها كما نطق بها كتابه الكريم ونطقت بها سنة رسوله الأمين ﷺ.

وهناك أمور ينبغي أن تعلم نحو أسمائه تبارك وتعالى:

الأمر الأول:" أنّ أسماءه تعالى لا تدخل تحت حصر ولا يحويها عدد" [2]

لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنّه قال: " مَا أصابَ أحدٌ قَطٌّ هم وَلا حَزَنٌ اللَّهُمّ فقالَ: إنِّي عَبْدُكَ وَابنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا " [3].

---

(1) الذهبي، العرش (ج 31/1).

(2) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج 166/1).

(3) [أحمد: مسند الإمام أحمد، 262/14: رقم الحديث 263، قال الهيثمي: رواه أبو يعلي ورجال الحديث رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان مجمع الزوائد (186/10)]

وأمّا ما ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ" (1)

"فليس المراد منه حصر الأسماء وإنما المراد الإخبار بأن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة، وقد اختلف العلماء في معنى الإحصاء، وأقرب الأقوال إلى الصواب أن المراد بالإحصاء حفظها مع اعتقاد ما دلت عليه والعمل بذلك". (2)

الأمر الثاني: "إنّ من أسماء الله تعالى ما لا يطلق على الرب، إلا مقترناً بمقابله، إذ لو أطلق عليه وحده أوهم نقصاً، تعالى الله عن ذلك، فمن تلك الأسماء المانع يذكر مع المعطي، والضار يذكر مع النافع، والقابض يذكر مع الباسط، والمذل يذكر مع المعز، والخافض يذكر مع الرافع، فمثل هذه الأسماء تطلق على الله مع ذكر مقابلها"(3).

الأمر الثالث: هناك بعض الأفعال أطلقها البارئ سبحانه على نفسه، وهي تدل على صفات الله تعالى تليق به، ولا يجوز أن يشتق له أسماء من تلك الصفات.

مثل قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] ومثل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[آل عمران: ٥٤] ومثل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٤ – ١٥]، ونحو ذلك من الآيات فهذه الصفات تتضمن مدحاً وكمالاً ، للبارئ سبحانه، لكن لا يجوز أن يقال: الله مخادع، ماكر، مستهزئ، ولا يقال: الله يستهزئ، ويخادع ويمكر على سبيل الإطلاق دون ذكر الاستهزاء والمخادعة، والمكر بأعدائه (4)

الأمر الرابع: إنّ دلالة أسمائه تعالى حق على حقيقتها مطابقة، وتضمناً والتزماً، فدلالة اسمه "الرحمن" على ذاته عز وجل، مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمناً، وعلى الحياة وغيرها التزاماً وهكذا سائر أسمائه تعالى فإنّ الله تبارك وتعالى هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق(5).

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، التوحيد / إن لله مائة اسم إلا واحدا، 118/9: رقم الحديث 7392]

(2) ابن حجر، فتح الباري (مج 378/13).

(3) ابن القيم، بدائع الفوائد (ج 167/1).

(4) المرجع السابق (ج 162/1).

(5) المرجع نفسه (ج 163/1).

المطلب الثاني: الآثار الإيمانية العامة للأسماء والصفات

إن للتعبد بالأسماء والصفات آثارا كثيرة على قلب العبد وعمله، قال العز بن عبد السلام- رحمه الله-: "اعلم أن معرفة الذات والصفات مثمرة لجميع الخيرات العاجلة والآجلة، ومعرفة كل صفة من الصفات تثمر حالا علية، وأقوالا سنية، وأفعالا رضية، ومراتب دنيوية، ودرجات أخروية، فمثل معرفة الذات والصفات كشجرة طيبة أصلها – وهو معرفة الذات – ثابت بالحجة والبرهان، وفرعها – وهو معرفة الصفات – في السماء مجدا وشرفا ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[إبراهيم: ٢٥] وهو خالقها إذ لا يحصل شيء من ثمارها إلا بإذنه وتوفيقه، منبت هذه الشجرة القلب الذي إن صلح بالمعرفة والأحوال صلح الجسد كله" [1].

الآثار الإيمانية العامة للأسماء والصفات:

أولاً: محبة الله تعالى:

من تأمل أسماء الله وصفاته وتعلق قلبه بها طرحه ذلك على باب المحبة، وفتح له من المعارف والعلوم أمورا لا يعبر عنها [2]، وإن من عرف الله أورثه ذلك المحبة له سبحانه وتعالى، قال ابن الجوزي[3]: "فينبغي الاجتهاد في طلب المعرفة بالأدلة، ثم العمل بمقتضى المعرفة بالجد في الخدمة لعل ذلك يورث المحبة "[4].

ومراده أن من عرف الله أحبه، ومن أحب الله أحبه الله، وذلك والله هو الفوز العظيم بالجنة والنعيم، والمحبة هي المنزلة التي "فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبوب، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله

---

(1) السلمي، شجرة المعارف والأحوال (ص: 14 – 15).

(2) انظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة (ج1/ 286).

(3) ابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. مواده ووفاته ببغداد :(508_597هـ،1114_1201م)ونسبته الى (مشرعة الجوز)من محالها ،له نحو ثلاث مئة مصنف منها(مناقب عمر بن عبد العزيز) و(روح الارواح) و(شذور العقود في تاريخ العهود) و(المدهش في المواعظ وغرائب الأخبار).

(4) ابن الجوزي، صيد الخاطر (ص 70).

هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال، والتي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه" [1].

وحب الله هو فطرة القلب التي فطر عليها، قال ابن تيمية: "والقلب إنما خلق لأجل حب الله تعالى، وهذه الفطرة التي فطر الله عليها عباده كما قال النبيﷺ (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ)، ثم يقول أبو هريرة ﷺ: اقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[الروم: ٣٠] [2]، فالله سبحانه فطر عباده على محبته وعبادته وحده فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفا بالله محبا له عابدا له وحده" [3].

ومن سلك طريق التأمل في الأسماء والصفات ولاحظ نعم الله عليه كيف لا يكون حب الله تعالى أعظم شيء لديه، قال أبو سليمان الواسطي: "ذكر النعم يورث المحبة"[4]، وإذا شمر العبد إلى تلك المنزلة ورام الوصول إليها وعرف الله بأسمائه وصفاته التفت القلب إلى الله وخلى عن كل ما عداه "لم يكن شيء أحب إليه منه، ولم تبق له رغبة فيما سواه إلا فيما يقربه إليه ويعينه على سفره إليه" [5].

وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه، ولا تمكن محبته إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله.

ولذا كانت محبة الله مقتضية لعدم التشريك بينه وبين غيره فهي باعث التوحيد، ألا ترى أن القلب له وجه واحد، فإذا مال إلى جهة لم يمل إلى غيرها، وليس لأحد قلبان يوحد بأحدهما ويشرك بالآخر.

ثانياً: الذل والتعظيم:

من تحقق بمعاني الأسماء والصفات شهد قلبه عظمة الله تعالى فأفاض على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار، ولا شك أن تمام العبودية لا يتم إلا بتمام الذل والانقياد لله، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلا وافتقارا وخضوعا بحيث يحصل للقلب انكسار خاص لا يشبهه شيء فهو

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج3/ 6 – 7).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجنائز/ إذا أسلم الصبي فمات، 94/2: رقم الحديث 1358]

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج 10/ 134 – 135).

(4) ابن الجنيد، المحبة لله سبحانه (ص24).

(5) ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص 406).

يرى حينئذ أنه لا يصلح للانتفاع إلا بجبر جديد من خالقه وربه ومولاه، وحينئذ يستكثر القليل من الخير على نفسه كأنه لا يستحقه، ويستكثر قليل معاصيه لعظمة الله تعالى في قلبه، وذلك هو سجود القلب، "سئل بعض العارفين أيسجد القلب؟ قال: نعم يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء"[1].

وإذا تأمل العبد ذلك ألا يدعوه إلى تعظيم الخالق العظيم، فلا يستصغر في حقه معصية قط مهما صغرت، ولا يستعظم في حقه طاعة قط مهما عظمت.

قال القرافي[2] – رحمه الله-: في سر تحريم العجب: "إنه سوء أدب على الله تعالى، فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده لا سيما عظمة الله تعالى، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الزمر: ٦٧] أي ما عظموه حقّ تعظيمه" [3].

فتأمل كيف يثمر التأمل في الأسماء والصفات والتعبد بها من معرفة عظمة الله تعالى، وما يثمره ذلك من الأدب مع الله والذل بين يديه واحتقار كل عمل يتقرب به إليه إذ هو قليل في حق عظمته تعالى، وما يثمره ذلك من الخوف منه والبعد عن معاصيه؛ إذ كل عظيم يخشى من مخالفة أمره والوقوع في نهيه فكيف بأعظم عظيم جل وعلا.

ثالثاً: الخشية والهيبة:

قال ابن القيم: – رحمه الله- " كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر: ٢٨]أي العلماء به"[4]، وقال النبي ﷺ: (أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَخْوَفُكُمْ مِنْهُ) [5].

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 429/1).

(2) القرافي هو: أبو العباس أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن البهنسي المصري، من العلماء المالكية، كان إماما بارعا في الفقه ،والاصول ، والعلوم العقلية والتفسير، له من المصنفات جليلة منها :(أنوار البروق في أنواء الفروق) و(والذخيرة) و (والاجوبة الفاخرة في الرد على الاسئلة الفاجرة)، توفى عام أربعة وثمانين وستمائة ، ودفن بالقرافة بمصر .انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون المالكي ،تحقيق: محمد الأحمدي ص 236-239،دار التراث للطبع والنشر _القاهرة والاعلام للزركلي(1\94-95).

(3) الحنفي، الفروق (ج 4/ 227).

(4) ابن القيم، روضة المحبين (ص406).

(5) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ من لم يواجه الناس بالعتاب، 26/8: رقم الحديث 6101]

وفي قول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ يقول البحر ابن عباس في معنى الآية: "إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني" [1].

وقال ابن كثير: "إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر" [2].

"وكيف لا يخشع القلب ويهاب إذا امتلأ بالحب والتعظيم والمعرفة بالخالق العظيم، فإن من عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله وحده" [3].

رابعاً: اليقين والسكينة والطمأنينة:

من عبد الله بأسمائه وصفاته وتحقق من معرفة خالقه جل وعلا، وعظمه حق تعظيمه فإنه ولا شك يصل إلى درجة اليقين.

قال ابن القيم – رحمه الله–: " فاليقين: هو الوقوف على ما قام بالحق من أسمائه وصفاته ونعوت كماله وتوحيده" [4].

وباليقين مع الصبر تنال الإمامة في الدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

وتلك المنزلة العالية الرفيعة هي روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وغم وامتلأ محبة لله وخوفا منه ورضى به وشكرا له وتوكلا عليه وإنابة إليه.

وإذا تيقن القلب نزلت السكينة، وهي الطمأنينة والسكون الذي ينزل في القلب عند اشتداد المخاوف والبلاء، فيزداد ذلك القلب إيماناً وثباتا، ويكسو الجوارح خشوعا ووقارا، ويضفي على اللسان حكمة وصوابا.

---

(1) زاد المسير– ابن الجوزي– (ج 6/ 486).

(2) ابن القيم، روضة المحبين (ص 406).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 3/ 561).

(4) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 2/ 419 – 420).

خامساً: الرضا:

والرضا من ثمرات المعرفة بالله، فمن عرف الله بعدله وحكمه وحكمته ولطفه أثمر ذلك في قلبه الرضا بحكم الله وقدره في شرعه وكونه فلا يتعرض على أمره ونهيه ولا على قضائه وقدره، بل تراه: " قد يجري في ضمن القضاء مرارات يجد بعض طعمها الراضي، أما العارف فتقل عنده المرارات لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترقى بالمعرفة إلى المحبة صارت مرارة الأقدار حلاوة" [1]، وقد كان من سؤال الحبيب ﷺ: (أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا) [2].

وإنما يرضى المؤمن العارف بأسماء الله وصفاته بحكم الله وقضائه؛ لأنه يعلم أن تدبير الله له خير من تدبيره لنفسه، وأنه تعالى أعلم بمصلحته من نفسه، وأرحم به من نفسه، وأبر به من نفسه، ولذا تراه يرضى ويسلم، بل إنه يرى أن هذه الأحكام القدرية الكونية أو الشرعية إنما هي رحمة وحكمة، وحينئذ لا تراه يعترض على شيء منها، بل لسان حاله: رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، وذلك والله محض الإيمان.

سادساً: التوكل.

إنّ من أجل ما يثمره التعبد بالأسماء والصفات أن يعتمد القلب على الله ويخلص في تفويض أمره إليه، وذلك حقيقة التوكل على الله.

والتوكل من أعظم العبادات تعلقا بالأسماء والصفات، ذلك أن مبناه على أصلين عظيمين.

الأول: علم القلب، وهو يقينه بعلم الله وكفايته وكمال قيامه بشأن خلقه، فهو القيوم سبحانه الذي كفى عباده شئونهم، فبه يقومون وله يصمدون.

والثاني: عمل القلب، وهو سكونه إلى العظيم الفعال لما يريد وطمأنينته إليه وتفويض أمره إليه ورضاه وتسليمه بتصرفه وفعله؛ إذ كل شيء يمضي ويكون فبحكمه وحكمته وقدره وعلمه، لا ينفذ شيء في الأرض ولا في السماء عن قدرته، فله الحكم كله، وإليه يرجع الأمر كله [3].

---

(1) الجوزي، صيد الخاطر (ص69).

(2) [أحمد: مسند الإمام أحمد، 5/ 191: رقم الحديث 21710]، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(1/ 697)، وصححه الألباني في (تخريج كتاب السنة لابن أبي عاصم)

(3) ابن القيم، انظر: طريق الهجرتين (ص 426).

ومتى ما أخلص القلب ذلك لله علما وعملا كان من سابقي المتوكلين وصادقي المفوضين والمستسلمين، وإنه والله لغاية الأنس والعز أن يعتمد الإنسان في جميع أمره وشأنه على الله تعالى.

سابعاً: الإخلاص:

إنّ إدراك معاني الأسماء والصفات على التحقيق يحمل العبد على إفراد الله بالقصد والابتعاد عن صرف شيء من العبادة لغيره تعالى، ولذا كان من أعظم ما يخلص العبد من دنس الرياء ملاحظة أسماء الله وصفاته، فمن لاحظ من أسماء الله الغني دفعه ذلك إلى الإخلاص لغنى الله تعالى عن عمله وفقره هو إلى الله عز وجل.

ومن تأمل اسم الله العليم فإنه يعلم أن ما أخفاه عن أعين الناس من ملاحظة الخلق لا يخفى على الله لعلمه التام بكل شيء، ومن تأمل اسم الله الحفيظ حمله ذلك على ترك الرياء؛ لأن كل ما يفعله العبد محفوظ عليه سيوافى به يوم القيامة.

وإذا صنع ذلك كان عمله كله لله، فحبه لله، وبغضه لله، وقوله لله، ولحظه لله، وعطاؤه لله، ومنعه لله، فلا يريد من الناس جزاء أو شكورا، ولسان حاله قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٩]

المطلب الثالث: دلائل توحيد الأسماء والصفات من خلال السورة

توحيد الأسماء والصفات يدل على توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن له، فالله ﷻ أخبرنا بأسمائه الحسنى لندعوه بها، ولقد ورد في السورة ما يدل على أسمائه وصفاته .

أولًا: الله:

لقد ورد لفظ الجلاله " الله " في هذه السورة أربع عشرة مرة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣]

"قول ابن عباس في تفسيره للاسم الشريف الأقدس: بأنه ذو الألوهية والعبودية، على خلقه أجمعين وقد أخذه المفسرون وقرروه، واستحسنوه"(1).

وقيل معناه الذي استحق أن يعبد، وقيل معناه" واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال والمعنى واحد "(2)

"إنَّ هذا الاسم دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا؛ وذلك لأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم (الله)، واسم الله دال على كونه مألوهاً معبوداً تألَهُهُ الخلائق محبه وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمن لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله" (3)

يقول الحافظ ابن القيم: "اسم "الله" دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى بالدلالات الثلاث:

أ- فإنه دال على الإلهية المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له سبحانه مع نفي أضدادها عنه تعالى، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزه عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى الأسماء الحسنى إلى هذا "الاسم العظيم" كقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ويقال: الرحمن الرحيم، القدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم، من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز ونحو ذلك.

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (مج 54/1).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 54/1).

(3) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 32/1-33).

ب– فعلم أن اسم "الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله.

جـ– واسم "الله" دال على كونه مألوهاً، معبوداً، تألهُهُ الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه من الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمننتين لكمال الملك والحمد"[1].

"وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم الجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله"[2].

ثانياً: الرب:

لقد ورد لفظ الجلاله " الرب" في هذه السورة خمس مرات، فقد ورد في مقام النصر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠] ورد في الدعاء ، وطلب النصر من الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٠]

وورد في مقام الإيمان والهجرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

وجاء في مقام اعتراف الكفار به مع عنادهم وتكبرهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ [العنكبوت: ٥٠]

وجاء في مقام وصف المؤمنين باعتمادهم وتوكلهم عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٩]، واسم الله الرب يدل باللزوم أيضا على انفراد الله بتدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم، والقيام على شئونهم، واللطف بهم، والعناية والهداية إلى ما يصلحهم والقضاء والحكم بينهم وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم وغير ذلك من صفات الكمال، واسم الله الرب دل على صفة من صفات الذات والأفعال.

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 56/1).

(2) الجامي، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص79).

ففي هذه الآيات ما يدل على أنه لا ناصر إلا الله، حيث طلب منه لوط ﷺ النصرة والتجأ إليه بالهجرة، وهذا يدل على أحقيته في العبادة حيث هاجر لعبادة ربه، كما أنّ المؤمنين يتوكلون عليه سبحانه ، والتوكل من العبادة (1).

فالله سبحانه رب الأرباب، ومعبود العباد، يملك الممالك والملوك، وجميع العباد، وهو خالق ذلك ورازقه، وكل رب سواه غير خالق ولا رازق، وكل مخلوق فمملك بعد أن لم يكن، ومنتزع ذلك من يده، وإنما يملك شيء دون شيء، وصفة الله مخالفة لهذا المعنى، فهذا الفرق بين صفات الخالق والمخلوقين.

فمن عرف ذلك لم يطلب غير الله تعالى له رباً وإلهاً، بل رضى به سبحانه وتعالى ربا، ومن كانت هذه صفته ذاق طعم الإيمان وحلاوته، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ذَاقَ طَعْمَ الإيمانِ: مَنْ رَضِيَ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمَّدٍ رَسُولاً)(2).

ثالثاً: العليم:

لقد ورد اسم الجلاله " العليم " في هذه السورة ثلاث مرات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢]

قال ابن الأثير: " العليم: هو المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها ودقيقها وجليلها على أتم الإمكان"(3).

فصفة العليم يدل على صفة العلم لله جل وعلا ، وإذا تدبر القارئ السورة وجدها تدل على علمه سبحانه بما فيها من أخبار الماضين وحال المؤمنين ونعيمهم وبوؤس الكافرين وشقائهم، مما يطول ذكره مما فصله في مواضعه .

وقد وردت هذه الصفة لربنا جل وعلا في سبع مواضع من السورة .

---

(1) انظر: الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة (ص 1140).

(2) [مسلم: صحيح الإمام مسلم، الإيمان/ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا62/1: رقم الحديث36]

(3) الجزي، النهاية في غريب الحديث والأثر (ج 3/ 292).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ١١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٠]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٢]

فهذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم دالة على إثبات صفة العلم لله ﷻ، وقد دلت سنة المصطفى ﷺ الله عليه وسلم على إثبات هذه الصفة بما لا يدع مجالاً للشك فمن ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي لله عنهما عن النبي ﷺ قال: (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ: لا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللَّهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللَّهُ، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ) (1)

فالله تعالى يعلم ذاته لا يعلمها إلا هو تعالى، فمن يجرؤ أن يخبرنا عن الله تعالى ما لم يخبرنا هو نفسه سبحانه وتعالى؟ وهو تعالى يعلم كل شيء عن مخلوقاته من دقائق الخلق، ودقائق التدبير، وهو يعلم كل شيء عن خلقه في كل زمان ومكان، لا يعزب عنه شيء من خلقه، من جماد، وإنسان، وحيوان، وسماوات، وأرض، وجان، فهو يعلم كل ما يدور في السموات من كواكب وأقمار، ورياح، وسحاب، وأمطار.

ويعلم ما في لأرض، من كنوز، ونبات، وأحياء، وأموات، ويعلم ما في البر والبحر وما في الجبال ولأنهار وما في الغابات والقفار، ويعلم قطرة ماء وكل حبة رمال، ويعلم كل ذرة، بل يعلم مكونات الذرة من إلكترون، وبروتون، ونيوترون ويعلم أدق من ذلك .

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد / قول الله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد)، 116/9: رقم الحديث 7379]

وهو يعلم أعمال العباد وسعيهم، ويعلم أرزاقهم وآجالهم، ويعلم ما تخفيه صدورهم ويعلم أخيارهم واشرارهم، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار .

وهو يعلم أعداد الملائكة ويعلم أصناف الجن وكفرانهم، فهو الذي يعلم ما كن وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والله تعالى استأثر بعلمه الغيبي لا يعلمه ملك مقرب أو نبي مرسل، إلا من أعلمهم الله .

فالله سبحانه وتعالى يعلم ذاته الكريمة وصفاته العليا، وعلم العباد يقتصر على علم ذوات المخلوق ولا علم لهم بذات الخالق العظيم ، فعلم العباد في علم الله كقطرة في بحار الدنيا.

رابعاً: القدير:

لقد ورد اسم الجلاله " القدير " في هذه السورة مرة واحدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠]

" والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائداً عليه ولا ناقصاً عنه، ولذلك لا يصح أن يوصف به إلا الله تعالى "[1]

فالقادر: هو من القدرة على الشيء، يقال قدر يقدر قدرة فهو قادر، وقدير، كقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

"فالقدير هو صاحب القدرة على التي لا نهاية لها، فلا يعجزه شيء، وهو الذي يخلق الخلق العظيم بكلمة كن ومن عظيم قدرته أن خلق الخلق وبعثهم عنده كخلق نفس وحدة، ومن قدرته سبحانه انه جعل خلقه يفعلون ما يشاء هو بمشيئتهم هم، والخلق لا يقدرون على فعل شيء إلا ما أقدرهم عليه سبحانه، ولا ينبغي للعباد أن يعتقدوا أن صفة القدرة التامة يمكن أن يتصف بها غيره من الموتى أو السحرة، فيعطونهم بذلك صفة القدرة التي لا تنبغي إلا للقدير سبحانه – ومن ظن أنه يملك القدرة التامة على تسخير الأرض أتاه الله فدمره ودمر فعله" [2].

---

(1) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص394).

(2) عبد الوهاب، الشرح الميسر لكتاب التوحيد (ص: 253).

فالله سبحانه وتعالى لكمال قدرته يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا، والبر، برًا، والفاجر فاجرًا، وهو الذي جعل إبراهيم ﷺ وآله أئمة يدعون إليه ويهدون بأمره، وجعل فرعون وقومه أئمة يدعون إلى النار.

ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء سبحانه أن يعلمه إياه، ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، ولا يعجزه أحد من خلقه ولا يفوته، ولكمال غناه استحال إضافة الولد والصاحبة والشريك والشفيع بدون إذنه إليه، ولكمال "عظمته وعلوه" وسع كرسيه السموات والأرض، ولم تسعه أرضه ولا سماوته ولم تحط به مخلوقاته، بل هو العالي على كل شيء وهو بكل شيء محيط، ولا تنفد كلماته ولا تبدل، ولو أن البحر يمده سبعة أبحر مدادًا وأشجار الأرض أقلامًا فكتب بذلك المداد بتلك الأقلام لنفد المداد وفنيت الأقلام ولم تنفد كلماته، إذ هي غير مخلوقة، ويستحيل أن يفنى غير المخلوق بالمخلوق[1].

خامسا: القدرة:

لقد وردت صفة " القدرة " في هذه السورة ثمان مرات، وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالقدرة " وهي صفة ذاتية قائمة بذاته "[2] ، فهو قادر على كل شيء لا يعترضه عجز ولا فتور، ولا يفوته مطلوب.

فالقدير: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب ويصرفها على ما يشاء ويريد.

والقرآن كله دال على قدرة الله جل وعلا ، ومما ورد في سورة العنكبوت من ذلك قوله سبحانه : قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤]

فهذا نفي لعجزه سبحانه ممن يتوهم ذلك فيكفر به ويظن أنه يعجز الله وهو من أضعف مخلوقاته .

ومن ذلك قوله سبحانه :قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]

---

(1) انظر: ابن القيم، طريق الهجرتين (1ج/211).

(2) البيهقي، الاعتقاد (ص18).

"فالله سبحانه لا يعجزه أحد من أهل سماوته وأرضه بل هو القاهر فوق عباده، فكل شيء خائف منه فقير إليه وهو الغني عما سواه " [1].

كما أنّ من الآيات الدالة على قدرته سبحانه ما قصه الله علينا من قصص الأولين وإنجائه المؤمنين وإهلاكه المعاندين، فمثلاً قوله سبحانه عن إبراهيم ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]

كذلك من الآيات الدالة على قدرته سبحانه وتعالى في السورة نجاة لوط وإهلاك قومه قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٢]

وكذلك بيان ضعف مخلوقاته التي تعبد من دونه، وأنه لا قوة لها بدون الله ﷻ كما جاء واضحاً من خلال السورة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤١] .

فكل ما يعبد من دون الله لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك ذلك لغيره، والإيمان بقدرة الله ﷻ أصل من أصول الإيمان بربوبية الله على قدرته سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

ففي خلق السموات والأرض دلالة واحة على قدرته سبحانه وتعالى، كما دلل على قدرته بالبعث والحشر بعد الخلق والموت لمن نظر وتأمل في مخلوقاته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

سادساً: المشيئة:

لقد وردت صفة " المشيئة " في هذه السورة مرة واحدة، وقد أثبت الله عز وجل لنفسه المشيئة في القرآن الكريم، فقال سبحانه في سورة العنكبوت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١]

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 651/3).

"فأخبر أنا لا نشاء شيئاً إلا أن يكون الله قد شاء" [1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً مرتبة المشيئة: " وهي الإيمان بأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما في السموات وما في الأرض من حركة، ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد"[2].

وقال العلامة ابن القيم: "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن هذا عمود التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وخالفهم في ذلك من ليس منهم في هذا الموضع وإن كان منهم في موضع آخر فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، وأن يشاء ما لا يكون، وخالف الرسل كلهم وأتباعهم من نفي مشيئة الله، ولم يثبت له سبحانه، مشيئة واختياراً أوجد بها الخلق كما يقوله طوائف من أعداء الرسل من الفلاسفة وأتباعهم"[3]

سابعاً: السميع:

لقد ورد اسم الجلاله " السميع" في هذه السورة مرتان، وهذا الاسم من أسمائه سبحانه وتعالى، وهو يدل على كماله جل وعلا؛ لأنّ السميع لا بد له من سمع .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

ففي هاتين الآيتين قرن الله عز وجل السمع بالعلم، وأما السمع فهو ثابت في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

"والسميع بمعنى السامع إلا أنه أبلغ في الصفة وبناء فعيل بناء المبالغة كقولهم عليم من عالم وقدير من قادر، وهو الذي يسمع السر والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت ، وقد

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ص68).

(2) هراس، العقيدة الواسطية مع شرحها (ص133/ 134).

(3) ابن قيم الجوزية، شفاء العليل (ص43).

يكون السماع بمعنى القبول والإجابة ومنه قول المصلي (سمع الله لمن حمده)، معناه: قبل الله حمد من حمده "[1]

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قل: كنا مع النبي ﷺفي سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا "، ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: " لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ "، أَوْ قَالَ: " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) [2]

وقد ثبت عن النبي ﷺأنه قال: (إِذَا قَالَ الإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فَقُولُوا: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ يَسْمَعِ اللَّهُ لَكُمْ) [3] "فجعل سمعه لنا جزءاً وجواباً للحمد فيكون ذلك بعد الحمد، والسمع يتضمن مع سمع القول قبوله وإجابته "[4]

ومن آمن بسمع الله عز وجل فإنه لا يتكلم إلا بما يرضي الله جل وعلا لأنه سامع له محاسبه على ما تلفظ به ، كما أن المؤمن يلح على الله في الدعاء، إذا علم أنه يسمع فإن من يسمع يجيب .
فإذا استشعر المؤمن ذلك فإنه مما يكون سبباً في سعادته في الدنيا والأخرة لأنه يراقب الله فيما يقول فإذا تخلى عن ذلك فإنه يكون سبب هلاكه لأن اللسان مزلة الإنسان.

ثامناً: الرحمة:

لقد وردت صفة " الرحمة " في هذه السورة خمس مرات .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ العنكبوت: ٢٣

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

---

(1) الخطابي، شأن الدعاء (ص59).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد والسير/ ما يكره من رفع الصوت في التكبير، 57/4: رقم الحديث 2992]

(3) [مسلم: صحيح مسلم، الصلاة / التشهد، وهو جزء من حديث طويل فيه صفة الصلاة عن أبي موسى الأشعري 303/1: رقم الحديث 62]

(4) ابن تيمية، جامع الرسائل (ج 16/2).

"ومما دلل به سبحانه على ربوبيته في هذه السورة إثبات رحمته، والرحمة مشتقه من الرحمن فمن أسمائه جل وعلا الرحمن الرحيم، وهما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الأخر، والرحمن يختص بالله سبحانه وتعالى ولا يجوز إطلاقه في غيره، وهو الذي رحم كافة خلقه بان خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم"[1] ، ""الرحمن" يجمع كل معني الرحمة من الرأفة والشفقة والحنان واللطف والعطف"[2]

والله هو الرحمن أي ذو الرحمة الواسعة التي وسعت الخلق في أرزاقهم وأسباب معاشهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر والصالح والطالح .

وإنّ من تأمل هذا الاسم الكريم أثمر ذلك في قلبه أمورا عظيمة، فقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وكيف لا يحب الإنسان من أفاض عليه رحمته وعطفه ومنته وفضله ومن هو أرحم به من أمه، جاء في الصحيح أنه (قدم على رسول الله ﷺ سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ فَقَالَ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) [3].

تاسعاً : الرازق والرزاق:

لقد ورد لفظ الجلاله " الرازق"و"الرزاق" في هذه السورة ثلاث مرات.

من أسماء الله ﷻ "الرازق والرزاق " قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٦٢]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]

(1) الزجاج، شرح أسماء الله الحسنى (ص28) .

(2) ابن منده، كتاب التوحيد (ج 47/2)، وانظر جامع البيان عن تأويل القرآن (مج 1/ 57).

(3) [مسلم: صحيح مسلم، التوبة / سعة رحمة الله تعالى 4/ 2109: رقم الحديث 2754]

الرزاق: "هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها " [1](ومنه الرازق الذي يرزق عباده ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٦]

فالله سبحانه وتعالى رزق العباد كلهم، فلم يخص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولي دون عدو، يسوقه إلى الضعيف الذي لا حيل له، ولا مكتسب فيه، كما يسوقه إلى الجلد القوي ذي المرة السوي "[2]، قال ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ) [3]، فالله ﷻ هو الذي خلق العباد وخلق أرزاقهم وأوصل أرزاقهم إليهم .

والأرزاق إما دنيوية وهي الأقوات لكل إنسان وحيوان، أو دينية وهي الإيمان، ويخص بها من أحب من بني الإنسان، والله ﷻ يدبر أرزاقه للعباد بغاية الإحكام، ولا ينقص رزقه عن ذوي العصيان، والله تعالى يقدر رزقه في السماء فيبسطه لمن يشاء ويقدره على من يشاء، فلا يستطيع أحد أن يصل إلى السماء حتى يمنعه أو ينقصه، فالله يرزق من يشاء بغير حساب، وفضل بعض الناس على بعض في الرزق .

ينبه الله عباده إلى الاستدلال على توحيده وإفراده بالعبادة، أنه سبحانه هو المستقل بالخلق والرزق لا يشاركه أحد في ذلك، وإذا كان كذلك، فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد، ولهذا قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣]أي: كيف تصرفون بعد هذا البيان عن عبادة الله وحده.

عاشراً: الخالق:

لقد ورد لفظ الجلاله " الخالق " في هذه السورة خمس مرات، ومن أسماء الله الدالة على ربوبيته " الخالق " " وهو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سابق"[4].

وجاء في السورة ما يدل على ذلك وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤].

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ص 16) .

(2) الخطابي، شأن الدعاء (ص 54).

(3) [أبو داود: سنن أبي داوود ، البيوع/ التسعير، 322/5: رقم الحديث 3451]

(4) البيهقي، الاعتقاد (ص 15).

وإذا نظر الإنسان إلى عجائب المخلوقات ازداد إيماناً ويقيناً، فالنظر إلى بديع صنع الله في الأشياء يزيد الإيمان كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١] .

وقد أمر سبحانه بالنظر إلى مخلوقاته التي تدل على ربوبيته وألوهيته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢٠].

والخلق اسم مشترك بين الله وعباده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

ولكن الخلق في اسم الله تعالى، هو ابتداء تقدير الشيء، فالله تعالى خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

والخلق فعل من أفعال الله عز وجل قائم بذاته غير المخلوق، فإنه مفعوله، وقد خلق الخلق بمشيئته، ويمتنع قيامه بغيره، فدل على أن أفعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته، وقد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن[1].

فالله ﷻ أوجد الخلق من العدم على الكيفية التي يريد، وخلقهم بقول كن فكانوا، بلا معين ولا مشير ولا شريك، والله تعالى جعل مراحل الخلق تقدير ثم إيجاد وفق هذا التقدير، وهو الذي خلق آدم بيديه وخلقه من طين من جميع الأرض بلا أب ولا أم، وخلق من آدم زوجه، وخلق منهما ذرية، رجالاً ونساء .

والله ﷻ خلق الإنسان في سبعة أطوار، فخلق حواء من آدم عليه السلام بلا أم، وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، وخلق الجن من نار، وخلق الملائكة من نور، والله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم، وفاوت بين العباد في خلقهم وأخلاقهم، وخلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من جماد وأحياء ، وخلق حركاتهم وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم .

فخلق الله عظيم محكم فلا يستطيع مخلوق أن يخلق مثله، فضلا عن أن يخلق أفضل منه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [لقمان: ١١]، وفي

(1) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج 229/6 ، 436/12).

الآية تحدي لجميع الخلق من الجن والإنس وغيرهم، وهذا يدل وحدانية الله سبحانه وتعالى وهو وحده المستحق بالعبادة.

الحادي عشر: العزيز:

لقد ورد لفظ الجلاله " العزيز" في هذه السورة مرتان.

ومن أسماء الله عز وجل " العزيز"، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىۡءٍۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

العزيز: "هو الغالب الذي لا يغلب، والمنيع الذي لا يوصل إليه وقيل: هو القادر القوي، وقيل هو الذي لا مثل له، وهو من صفات الذات"[(1)].

قال ابن بطال: "العزيز يتضمن العزة، والعزة يحتمل أن تكون صفة ذات بمعنى القدرة والعظمة، وأن تكون صفة فعل بمعنى القهر لمخلوقاته والغلبة لهم، ولذلك صحة إضافة اسمه إليها، قال: ويظهر الفرق بين الحالف بعزة الله التي هي صفة ذاته والحالف بعزة الله التي هي صفة فعله، فإنه يحنث في الأولى دون الثانية، بل هو منهي عن الحلف بها، كما نهى عن الحلف بحق السماء وحق زيد"[(2)]

وقد تطلق العزة على مخلوقاته، فهي عزه على قدره فقط قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف: ٥١].

ولكن العزة الحقيقية هي عزة الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨]

وقد تضاف إلى الأعداء بمعنى الذل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ [ص: ٢]

فهو القوي المنيع الغالب، الذي لا يقدم أحد على مغالبته، سبحانه، ومن حاول مغالبته تعالى قهره وانتقم منه .

ومن عزته ﷻ أنّه سيعز دينه ويظهره، ويعز أولياءه وينصرهم، وهو الذي أعز أهل طاعته فلم يذلهم بعبادة غيره، ومن عزته أنه لا يحتاج إلى معين أو مشير أو وزير، وغناه وعلوه وظهوره فوق

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ص15).

(2) ابن حجر، فتح الباري (ج 369/13).

عدوه، ومن عزته تفرده فلا يشبهه أحد من خلقه، ومن عزته أن المخلوق لا يستطيع إدراك كيفية صفاته، لأنه لا نظير له في مخلوقاته، وهو في عزته رحيم عادل غير ظلوم .

إن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى المعز المذل فإنه يجد في العزة مظهراً من مظاهر الثقة بالله تعالى ورسوخ اليقين والقوة في الدين، فاسم الله العزيز يجعل العبد يذل لعزته، ويتعزز بعظمته، فهو العزيز وكل خلائقه أذلاء له، وهو يعطي العزة لمن أطاعه، فهم بعزته يتعززون على من خالفهم، فإن العزة له ولرسوله وللمؤمنين .

ويجب على المسلم أن لا يطلب العزة إلا من الله العزيز، ولا يطلبها إلا بما يحبه الله، والله لا يحب إلا طاعته، وكذلك اسم العزيز يجعل العبد لا يذل بعبادة غير الله، فإن الشرك بالله هو الذل لمن أشرك به مع الله ، وإن الذل لله لهو عين العزة .

الثاني عشر: الحكيم:

لقد ورد لفظ الجلاله " الحكيم" في هذه السورة مرتان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٤٢]

فالله سبحانه وتعالى له الإحكام والإتقان في خلقه، ولا تجد في خلق الله ولا أمره خللاً ولا تفاوت، وهو الذي له الحكمة البالغة في إيجاد خلقه، وهو الذي له الحكمة البالغة في شرعه بكمال العدل، وهو الذي له الحكمة البالغة في قدره وتدبيره بكمال العدل والإحسان، فالحكيم ذو الحكمة البالغة الذي تنزه عن العبث لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يشرع شيئاً باطلاً.

فعلى العباد أن يتحاكموا إلى شريعة الله جل وعلا وأن يحكموا بها بينهم في الأمور كلها، والاستسلام لحكمة الله البالغة، والانقياد لأحكام الله تعالى .

ويقول ابن القيم في اسم الله(الحكيم) :"... من لوازمه ثبوت الغايات المحموده المقصودة له بأفعاله، ووضعه الأشياء في موضعها، وإيقاعها على أحسن الوجوه، فإنكار ذلك إنكاراً لهذا الاسم ولوازمه، وكذلك سائر أسمائه الحسنى".[1]

---

(1) ابن القيم، مدارج السالكين (ج 55/1).

الثالث عشر: الغني:

لقد ورد لفظ الجلاله " الغني" في هذه السورة مرتان.

ومن أسمائه تعالى " الغني "، أخبر الله غناه عن خلقه في هذه السورة بقوله تعالى﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦]

والغني: "هو الغني الذي استغنى عن الخلق، وقيل : المتمكن من تنفيذ إرادته في مراداته، وهذه صفة يستحقها بذاته"[1]

"والله هو المستغني عن الخلق بقدرته، وعز سلطانه، والخلق فقراء إلى تطوله، وإحسانه"[2]قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

وهو الذي أغنى الخلق بأن جعل لهم أموالاً وبنين كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨]، والله سبحانه لا يحتاج إلى مخلوقاته فلا يحتاج إلى صاحبة ولا ولداً، ولا يحتاج لطاعة الطائعين ولا تزيد طاعتهم في ملكه شيئاً ولا تنقصه معصية العاصين، ولا توهن من شانه .

"ومن كمال غناه تعالى أنه لا ينقص ما في يمينه رغم كثرة جوده، وهو الذي أظهر غناه لخلقه ليسألوه من فضله، فيعطيهم من المنن ما يستدلون به على دائم النعم، فيجتهدوا لتحصيل النعيم الباقي بعد ما رأوا لذة النعيم الفاني، وهو غني عنهم وعن تأييدهم لملكه، فليست به حاجة إليهم وهم فقراء محتاجون" [3]، فمن شاهد كمال غنى الله رأى تمام فقره إلى غناه، ورأى ضعفه عند البلاء وعند شكواه، ورأى تقصيره في طاعة مولاه، ولولا معونته ما استطاع حمده، ولولا توفيقه ما رقى إلى شكره، ومع ذلك يرى إحسان ربه مدراراً ويرى عمله على العجز داراً .

---

(1) البيهقي، الاعتقاد (ص 19).

(2) الزجاج، تفسير أسماء الله الحسنى (ص63).

(3) الخطابي، شأن الدعاء (ص92) .

الرابع عشر: الهادي:

لقد ورد لفظ الجلاله " الهادي" في هذه السورة مرة واحدة.

من أسماء الله عز وجل " الهادي" "هو الذي هدى خلقه إلى معرفته وربوبيته، وهو الذي هدى عباده المؤمنين إلى صراطه المستقيم" (1)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكان من الدعاء النبي ﷺ (اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (2).

فالله سبحانه وتعالى يهدي مخلوقاته لمعاشهم وتكاثرهم وتجنب ما يضرهم في الدنيا، وهو الذي يهدي خلقه في ظلمات البر والبحر، ويهديهم لما ينفعهم، وهو تعالى يخص أهل محبته بالهداية لما يحبه من الطاعة، ويوفقهم لفعلها ويثيبهم عليها، وهو سبحانه يهدي المجاهدين، ويزيد هدى المهتدين، فيهدي قلوبهم ويصلح بالهم ويجعل منهم أئمة هادين، فسبحان الهادي المضل، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله .

وإن الهداية إلى الصراط المستقيم أجل مطلوب وأعظم مسؤول، ونيله أشرف المواهب، وهي أكبر نعمة ينعم بها الهادي سبحانه على من يشاء من عباده، وأجل مننه الواصلة إلينا، فعلى العبد أن يسأل الله تعالى الهداية إلى الصراط المستقيم، ولهذا فإن العبد في اليوم والليلة، يسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم، كما في سورة الفاتحة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]

الخامس عشر: صفة المعية:

المعية صفة من صفات الله عز وجل، تليق بجلاله وعظمته أثبتها سبحانه في كتابة وسنة رسولهﷺ.

وورد في السورة قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

---

(1) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (مج 106/13)

(2) [مسلم : صحيح مسلم، صلاة المسافرين وقصرها / الدعاء في صلاة الليل وقيامه، 534/1: رقم الحديث 770]

"ومعية الله ﷻ بحسب ما تطلق عليه، فقد تكون بمعنى الاطلاع كما في الآية السابقة، وقد تكون بمعنى العلم والهيمنة والإحاطة، وتكون بمعنى النصرة والتأييد، كما ورد في الآية السابقة"[1]

فإذا عرف العبد أن الله معه؛ فلا شك أنه يراقب الله، يعرف أن الله مطلع عليه، وأنه لا تخفى عليه خافية، فإذا آمن بأن الله معه، أي عالم به ومطلع عليه ورقيب على أعماله؛ فإن ذلك يحمله على مراقبة الله، وعلى خوفه، وعدم الخروج عن طاعته، وعدم ارتكاب شيء من معاصيه، تقول له نفسه وقلبه: كيف تتجرأ على مخالفته وهو مراقب لك ولأعمالك؟ ويحمله هذا على إصلاح الأعمال وعدم إفسادها، وعلى الإكثار من الحسنات والبعد عن السيئات، هذه فائدة الإيمان بالمعية العامة.

"وأمّا المعية الخاصة، فإن الإنسان إذا عرف أن هذا العمل يحظى أهله بمعية الله، حرص على أن يكون من أهله، فيحرص على أن يكون من أهل التقوى والإحسان والصبر والإيمان، ويكثر من الذكر والدعاء" [2]، وأي فضيلة تداني فضيلة من كان الله معه! وأي مزية توازي مزية من هو من أهل هذه الطبقة الشريفة، والمنزلة السامية؟!

"فمتى حظي العبد بمعية الله هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حقه أمانا، فبالله يهون كل صعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الهموم والغموم والأحزان؛ فلا هم مع الله، ولا غم ولا حزن"[3] وإنما الحزن كل الحزن لمن فاته الله، فمن حصل الله له فعلى أي شيء يحزن؟ ومن فاته الله فبأي شيء يفرح، وإذا كان الله معك، فمن تخاف؟ وإذا كان عليك، فمن ترجو؟ [4]

ومعية الله "من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال، هما السبب الذي تنال به، والله سبحانه سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة، ويشكرها، ويعرف قدرها، ويحب المنعم عليه، فتصلح عنده هذه النعمة، ويصلح بها قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، "فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه، فليقرأ على نفسه: أليس الله بأعلم بالشاكرين" [5].

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوي (ج 103/5 – 495).

(2) الشوكاني، الفتح الرباني (مج 3/ 1360).

(3) ابن القيم، الداء والدواء (ص 288).

(4) انظر: الدرر السنية (ج 2/ 168).

(5) ابن القيم، زاد المعاد (3/ 17).

الفصل الثاني

النبوات

المبحث الأول: تعريف النبي ﷺ والرسول والفرق بينهما.

المطلب الأول: تعريف النبي لغةً واصطلاحًا

أولًا: تعريف النبي لغةً:

النبي مشتق من النبأ، وهو الخبر، ومنه سمي النبي نبياً لأنه مخبر عن الله، قال تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ - ٢]، وجمعها أنبياء نباء وأنباء والنبيئون، والاسم: النبوءة، والمختار ترك الهمزة.

وقال الكسائي: "النبي: الطريق، والأنبياء: طرق الهدى"[1].

وقيل النبي: "من أوحي إليه بملك، أو ألهم في قلبه، أو نبه بالرؤيا الصالحة"[2]

وقيل" النبي من النبوة والنباوة، وهي الارتفاع من الأرض؛ لارتفاع قدره؛ ولأنه شرف على سائر الخلق."[3] ويتضح مما سبق أن لفظ النبي في اللغة يدور حول معنيين وهو الإخبار، إذ النبي يخبر عن الله تعالى، والمعنى الآخر وهو الرفعة إذ النبي رفيع القدر عند الله تعالى .

ثانيًا: تعريف النبي اصطلاحًا:

وتعددت تعريفات النبي ومن هذه التعريفات، "فالنبي من لا كتاب له وبعث لتقرير شرع من قبله"[4]

فالنبي هو الذي أوحي إليه بشرع من قبله وأمر بتبليغه، دون أن ينزل عليه كتاب.

"فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيخبرهم بأمره ونهيه، وخبره؛ وهم ينبئون المؤمنين بما أنباهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي"[5].

---

(1) الأزهري، تهذيب اللغة (ج 349/15).

(2) الجرجاني، التعريفات (ص239).

(3) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ص53).

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل (ج 75/4).

(5) ابن تيمية، النبوات (717/2).

المطلب الثاني: تعريف الرسول لغةً واصطلاحًا

الرسول لغةً:

"الرسول مأخوذ من الارسال، أي البعث والتوجيه والرسول بمعنى الرسالة وهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه"[1].

ويعود أصل كلمة الرسول إلى رَسَلَ وهو الانبعاث على التؤدة، فالرسول هو المنبعث لقومه. [2]

والرسول: اسم من أرسلت وكذلك الرسالة، وأرسلت فلاناً في رسالة، فهو مرسل ورسول، ويقال: جاءت الإبل أرسالاً إذا جاء منها رسل بعد رسل، وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسول أي ذو رسالة[3].

وعلى ذلك فالرسل إنما سموا بذلك؛ لأن الله أرسلهم وبعثهم بالرسالات إلى أممهم وكلفهم بحملها وتبليغه، قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٤].

الرسول اصطلاحًا:

" هو الذي ينبئه الله، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خالف أمره كنوح فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض وقد كان قبله أنبياء كشيت وإدريس وقبلهما آدم كان نبياً مكلماً"[4].

الرسول: هو رجل ذكر بالغ أرسل بشرع جديد لأمة من الأمم كسائر الرسل أو للناس كافة كخاتمهم محمد ﷺ وأنزل عليه مع الرسالة كتاباً جديداً [5]

قال الكلبي، والفراء: "كل رسول نبي، من غير العكس"[6].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب(مج 2/14/11).
(2) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (ص352).
(3) انظر: االجرجاني، التعريفات (ص110).
(4) ابن تيمية، النبوات(ص255).
(5) انظر: الهراس، شرح العقيدة الواسطية (ص52).
(6) االجرجاني، التعريفات (ص 110).

المطلب الثالث: الفرق بين النبي والرسول

اختلف العلماء في تعريف كل من النبي والرسول على أقوال

القول الأول: أنّه لا فرق بين الرسول والنبي[1]

والرد على هذا القول كالآتي:

1- من خلال المعنى اللغوي يتضح من أصل كلمة نبي أن من معانيها الإخبار.

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ ﴾ [الحج: ٥٢] العطف يشعر بالتغاير ولو كان الرسول بمعنى النبي ما عطف النبي على الرسول.

3- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥١] إن وصف موسى بالرسول والنبي يقتضي التغاير في المعنى لأنه لا ترادف في القرآن الكريم.

القول الثاني: أن هناك فرق بين الرسول والنبي، واختلفوا في التفريق بينهما:

فالفريق الأول يقول: أن النبي هو إنسان أوحي له بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول: هو إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

"أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس، فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها."[2]

والرد على هذا القول كما يلي:

1- أن ترك البلاغ من كتم العلم، ويستحيل ذلك على الأنبياء

2- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] فالله تعالى أخذ الميثاق من بني إسرائيل بالبلاغ، فلا يستقيم أن لا يأخذ على الأنبياء البلاغ.

---

(1) انظر: الماوردي، النكت والعيون (ج 34/4).

(2) أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (158).

3- إن اختلاف الذين مع الأنبياء من الأتباع، يتضح أنّ النبي كانَ يبلغ عن ربه.

4- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ وَالنَّبِيَّانِ يَمُرُّونَ مَعَهُمُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ) (1)

القول الثالث:

" الرسول من بعث بشرع جديد والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله أو يراد بالرسول من بعث بكتاب وبالنبي من بعث بغير كتاب"(2)

"الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق"(3)

وهذا الرأي عليه الجمع الأكبر من العلماء

قال القاضي(4) عياض – رحمه الله-: " والصحيح والذي عليه الجمع الغفير أنّ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا"(5)

القول الراجح:

"من خلال استعراض أقوال العلماء يتضح أن الرسول هو من بعث بشرع جديد كالرسولﷺ، "والنبي هو إنسان أوحي إليه بشرع سواء أمر بتبليغه أو لم يؤمر"(6).

وهذا ما قرره ابن تيمية: " فالنبي هو الذي ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأ الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، واما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول"(7)

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الطب/ من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو، 7/ 126 رقم الحديث 5705]

(2) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مج 75/4).

(3) الماوردي، النكت والعيون (ج 34/4).

(4) القاضي عياض هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو، أبو الفضل العلامة القاضي عالم المغرب ولد سنة 476هـ وأصله أندلسي إمام الحديث في وقته، وأعلم الناس بعلومه، توفي مغرباً عن وطنه، سنة 544هـ، ودفن في مراكش. انظر: تذكرة الحفاظ ، الذهبي(ج67/4- 69).

(5) القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج 488/1).

(6) الأشقر، الرسل والرسالات (ص14).

(7) ابن تيمية، النبوات (ص255).

المطلب الرابع: وجوب الإيمان بالرسل

من المسلمات البديهية في الإسلام التي أعتبرها ركناً أساسياً من أركان الإيمان والعقيدة: الإيمان بالنبوة والوحي، والتصديق برسالات الله ورسله إلى خلقه، الذين بعثهم مبشرين ومنذرين، لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فلا يصح إيمان مؤمن، ولا يدخل في دين الله عز وجل، ولا يقبل في جماعة المؤمنين، ما لم يؤمن بكل نبي أنزل.

والإيمان بالرسل من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا به، وقد دلت النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب الإيمان بالرسل، وقد جاءت كثير من النصوص القرآنية مبينة ومفصلة ومؤكدة لهذه القضية، وقد قرن الله سبحانه وتعالى الإيمان بالرسل والإيمان بالله في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، وهناك الكثير من الأدلة التي تؤكد وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل وبيانها كالآتي:

أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

1- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ...فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾[آل عمران: ١٧٩]

فالآية الكريمة مستعمل فيها فعل الأمر الذي يدل على الوجوب، فالإيمان بالرسل مقترن بالإيمان بالله تعالى فالإيمان بالرسل من الأعمال المستحقة لرضوان الله تعالى والاجر العظيم.

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]

فالمسلمون يؤمنون بما آمن به الرسل وبما أمرهم الله تعالى بالإيمان به فالإيمان بالرسل من جملة ما أمر الله تعالى الإيمان به.

3- ومما يدلل بوجوب الإيمان بالرسل الوعيد الذي أعده الله تعالى لمن لا يؤمن بالرسل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾ [الفتح: ١٣]

ثانيًا: الأدلة من السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: (الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ).[1]

ظاهر الحديث الذي يسأل فيه جبريل عليه السلام عن حقيقة الإيمان، حيث لا يتم إلا بأركانه الستة والتي منها الإيمان بالرسل عليهم السلام .

(1) [البخاري: صحيح البخاري، الإيمان/ سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، 19/1: رقم الحديث 50]

المبحث الثاني: الأنبياء المذكورون في سورة العنكبوت

المطلب الأول: محمد ﷺ :

لقد كان الحديث في أول السورة عن الابتلاء والفتنة، وأن الإيمان الحقيقي لا يتحقق إلا بالصبر والمجاهدة، وكان خير قدوة في ذلك هو محمد ﷺ، ولقد فضل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ على الأنبياء والمرسلين، لذلك ابتدأت به بالمطلب الأول، وقد ورد في هذه السورة ما يدل على أمره بالدعوة ﷺ حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى آمراً رسوله والمؤمنون بتلاوة القرآن وهو تلاوته وإبلاغه للناس"[1].

إنّ الله ﷻ لم يترك الناس بدون هدى فقد أرسل الرسل لإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك بالله إلى نور الإيمان والهداية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]

لقد جاء سيدنا محمد ﷺ في فترة كانت البشرية أحوج ما تكون فيها للهداية والعودة إلى الله حيث كان الكفر والشرك بالله مطبقاً على الدنيا وكان هذا هو حال البشرية في تلك الحقبة المظلمة من تاريخها إلا من رحم الله من بقايا كانت على الحنيفية.

وقد امتثل ﷺ، فقام بالدعوة خير قيام، فامتثاله ﷺ من باب الدعوة بالقدوة الحسنة ،فقد كان قدوة للناسﷺ بالعمل بما يأمره الله عزو جل به.

" فقد جاهد في الله حق جهاده وشرع في ذلك من حين بعث إلى أن توفاه الله عزو جل، فإنه لما نزل عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [المدثر: ١ – ٤] شمر عن ساق الدعوة وقام في ذات الله أتم قيام، ودعا إلى الله ليلاً ونهاراً وسراً وجهراً، ولما نزل عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] صدع بأمر الله، فدعا إلى الله الصغير والكبير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، والحمر والأسود، والجن والإنس" [2] .

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 660/3).

(2) ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد (ج 12/3).

وقد بدأ الدعوة بأهم شيء وهو التوحيد والإخلاص لله عز وجل بقوله؛ اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً[1].

ولكن هذ النداء خالف ما اعتاد عليه القوم وهو لم يجاملهم لقرابتهم أو لسبب أخر، ومعظمهم أحس بأن هذا خطر عليه وعلى مركزه بين الناس.

فبدأوا بالعداء لرسول الله ﷺ ومن أسلم معه وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٢].

فتنة الرسول ﷺ وأصحابه وسلم في دينهم وأهلهم:

قال ابن اسحاق:" ثم إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فأغروا برسول الله ﷺسفاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله ﷺ مظهر لأمر الله لا يستخفي به، مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم، وإعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم"[2] .

ومع ذلك هو مستمر على دعوته، وقد حدث ﷺ عن بعض ما لقى من قومه، وقد بيّن الله هذا الإيذاء في كتابه الكريم بعدة آيات منها قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦].

وإنّ أول السورة نزل بهم، فقوله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه وغيره: "يريد بالناس قوماً من المؤمنين كانوا بمكة، وكان الكفار من قريش يؤذونهم ويعذبونهم على الإسلام، كسلمة بن هشام، وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد، وعمار بن ياسر، وأبوه وسمية أمه وعدة من بني مخزوم وغيرهم"[3]، كما فتن بعض الصحابة بأحبابه وذويه، ومما ذكر الله في هذه السورة قوله سبحانه:" ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]

---

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدى خير العباد (ج 13/3).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية (ج 308/1).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 232/13).

فهذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص، فعن مصعب بن سعد عن أبيه، أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: وعمت أن الله وصاك بوالديك وأن أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجهد فقام ابن لها يقال له: عمارة، فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٥] [1].

وقد ابتلي صحابة رسول الله ﷺ بما حصل لهم من فارق الأهل والوطن والمال حينما أمروا بالهجرة، قال تعالى:"﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِي وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وذلك لما اشتد أذى المشركين للرسول ﷺ وأصحابه أذن لهم بالهجرة.

فأمر الرسول ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وذلك في السنة الخامسة من البعثة [2] ففي هذه الآيات إشارة إلى استمرار البلاء والفتنة وأن الإنسان لا بد أن يبتلى ويمتحن، فإن كان من العارفين بالله وصبر وثبت على إيمانه، فإنه سيحصل له من الفوز والفلاح ما حصل للمؤمنين قبله الذين قص الله علينا قصصهم، وإن أعرض، ولم يتعظ، ولم يعتبر كما أمر فنهايته للهلاك، والفتنة العظيمة التي لا فتنة بعدها، وهي عذاب الله كما قال تعالى:﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الذاريات: ١٣ – ١٤].

وكان ما كان من إيذاء المشركين، واستمر في الدعوة إلى الله عز وجل، وصبر على أذى قومه، وتحمل حتى أذن الله له بالقتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، كما قال تعالى :" ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣] بعد ذلك أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة، وأقام بمكة ينتظر أن يأذن الله له بالخروج والهجرة إلى المدينة، وقد وصلها المسلمون قبله وانتشر فيها الإسلام، فنزلت أكثر آيات الأحكام فيها، وقد واجه أهل الكتاب ،فدعاهم إلى الإسلام ،وجادلهم بالتي هي أحسن﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

(1) انظر: الواحدي، أسباب النزول (394).

(2) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (ج 344/1).

القرآن الكريم أعظم بينات النبي محمد ﷺ:

إنّ القرآن الكريم هو أعظم بينات سيدنا محمد ﷺ قال تعالى:﴿ قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقد امتن الله على رسوله وعلى أمته بما يغني عن أهل الكتاب، وما عندهم – بهذا القرآن العظيم– الذي لا لبس فيه ولا مراء، كما قال سبحانه: ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩]

وقد بين الله تعالى أنه أكبر معجزة للرسول ﷺ حينما طلب الكفار المعجزات، وبين أن مهمة الرسول ﷺ هي الإنذار والإنابة، وقد قام بها خير قيام صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١ – ٥٢]

فهذا القرآن الذي جذب مسامعهم وعجزوا أن يأتوا بمثله أو سورة أو بعض سورة من مثله، كما تحداهم الله بفصاحته وبلاغته مع ما اشتهر به القوم من الفصاحة والبيان، ولكن قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]

ومع الموقف المخزي ممن حارب الله ورسوله، فإن رسولنا ﷺموجه من ربه، فهو الذي أدبه ممتثل لما في كتابه، لذلك كان موقفه أن استكفى بالله واعتمد عليه سبحانه.

ولقد أمن بعلم الله الذي يعلم السر وأخفى، وعلم حال هؤلاء القوم فوكل الأمر إليه سبحان، قال تعالى:"﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

ولكن القوم استمروا في جهلهم وتمادوا في غيهم فطلبوا العذاب العاجل إن كان محمداً صادق فيما يقول، قال تعالى: ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٣]

"إنّه تجريد العقيدة من كل وهم وكل شبهة، وإيضاح حدود الرسول ﷺ وهو بشر مختار، فلا تتلبس بصفات اللّه الواحد القهار، ولا تغيم حولها الشبهات التي غامت على الرسالات حين برزت فيها الخوارق المادية، حتّى اختلطت في حس الناس والتبست بالأوهام والخرافات، ونشأت عنها الانحرافات، وهؤلاء الذين يطلبون الخوارق يغفلون عن تقدير فضل اللّه عليهم بتنزيل هذا القرآن"[(1)]

جدال أهل الكتاب ومحاورتهم:

لقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وذلك على سبيل الدعاء لهم إلى الله عز وجل، والتنبيه لهم على حججه وبراهينه رجاء إسلامهم، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]

" فانظر كيف جمعت هذه الآية الكريمة بين أمرِ المسلمين بالتمسّكِ بالحقّ وهو توحيدُ الله تعالى والإسلامُ له وبالدعوةِ إلى ذلك وبين حُسن معاملة أهل الكتاب. ومِن بلاغةِ هذه الآية وجمالها أنه لم يأمر تعالى بالجدال بالتي هي أحسن فلم يقل: وجادلوا أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وإنما نهى عن كلّ جدالٍ إلا الجدال بالتي هي أحسن، وهذا أبلغ في الأمر بمراعاة الأدب في النقاش والحوار والمناظرة، مما يدلّ على براءة الإسلام من التعصّب والحقد الدينيّ، وأنه ليس عنده إلا مقارعةُ الحجّة بالحجّة."[(2)]

لذلك يجب دعوة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار إلى الإسلام باللين والحسنى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] إلا بالخصلة التي هي أحسن، أي: ألطف وأرفق، وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، بأن تدعوه إلى الله تعالى برفق ولين، وتبين له الحجج والآيات، من غير مغالبة ولا قهر؛ ليخرجوا من الظلمات إلى النور، وإقامة الحجة عليهم؛ ليحي من حي عن بينه ويهلك من هلك عن بينة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2746).

(2) الشحود، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام (ج 4/ 130).

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] أمّا حوارهم لأجل النزول عند رغبتهم، وإرضائهم، وتحقيق أهدافهم، فمنكر عظيم وشر مستطير، وفتنة كبيرة تفتن الأمة عن دينها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

المطلب الثاني: نوح عليه السلام

قد ذكر الله ﷻ قصة نبي الله نوح عليه السلام في هذه السورة بإجمال وإيجاز وبين موقفه من قومه ،وموقف قومه منه قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٤ – ١٥]

ومن خلال هذه الآيات يتبين أنّ نوحاً عليه السلام رسول من عند الله لم يكن كاذباً وأنه هو أول رسول إلى أهل الأرض بعد أن عبدت الأصنام وانتشر الشرك في الأرض،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٥٩]

" إنّ الفساد لما انتشر في الأرض وعم البلاء بعبادة الأصنام فيها، بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه، فكان أول رسول بعثه الله إلى الأرض"(1).

الاستمرار في الدعوة إلى الله:

استمر نوح عليه السلام في دعوة قومه إلى الله تعالى فترة طويلة قرابة الألف سنة ذكرها الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، وكان نوح عليه السلام يدعوهم كل وقت،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ [نوح: ٥]

لقد دعاهم نوح عليه السلام بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة، وتبليغ الرسالة، وبذلك اتخذ سيدنا نوح عليه السلام في دعوته إلى الله أسلوبي الدعوة السري على انفراد بالمدعو، والأسلوب العلني في الأسواق والمجالس العامة فكان يدعو قومه إلى الله سراً وجهراً ليلاً ونهاراً قال تعالى مخبراً عنه﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٨ – ٩]

(1) الطبري، قصص الأنبياء (116/1).

بعد أن دعا نوح عليه السلام قومه مدة طويلة قاربت ألف عام كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]، فلم يؤمن به إلا القليل دعا الله تعالى بالنصر على الكافرين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ [القمر: ١٠]

وهذا يدل على طول المصابرة في سبيل الدعوة إلى الله ﷻ، والصبر من أهم صفات الدعاة إلى الله، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من المكاره والتكذيب وصبروا عليها، فهم قدوة للدعاة إلى الله ﷻ، وما أحوج الدعاة إلى الصبر.

ولقد كان نوح عليه السلام مثلاً أعلى في الصبر، والحرص على جلب الخير لقومه، فليعتبر بذلك الدعاة الذين يغلب على نفوسهم اليأس، الذين لا يجدون نصير ولا معين من الذين يدعونهم، فهذه دعوه للدعاة إلى الصبر على المكاره والمحن في طريق الدعوة إلى الله ﷻ .

انجاء الله لنوح والمؤمنين:

ولقد طال الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]

رغم هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم(1)، وهم أصحاب السفينة الذين قال الله عنهم: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥].

وهم الذين آمنوا به الذين ممن أمر أن يحمل منهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]

ويؤخذ من ذلك نجاة المؤمنين من الهلاك ورحمة الله بهم، ونصره لهم مهما طال الزمن، وطال العهد إذا استمروا على ما هم عليه، وقد دلل القرآن على ذلك بآيات وقصص كثيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]

(1) الطبري، قصص الأنبياء (ج 121/1).

وقد بين الله سبحانه وتعالى هلاك من حاد عن الصراط المستقيم بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]

وقد أمر الله نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة وأن يحمل فيها المؤمنين وأن يحمل أيضاً من كل زوجين اثنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [هود: ٤٠]

وقال سبحانه: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَصْحَـٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥].

أول انحراف عن العقيدة وأول رسول :

وبعد أن كان الناس أمة واحدة على التوحيد حصل الزيغ والانحراف، وكان أول انحراف حدث هو الغلو في تعظيم الصالحين، ورفعهم إلى مرتبة الآلهة المعبودة .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عند تفسير قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣].

قال: " صَارَتِ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ أَمَّا وَدٌّ كَانَتْ لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ، وَأَمَّا سُوَاعٌ كَانَتْ لِهُذَيْلٍ، وَأَمَّا يَغُوثُ فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ بِالْجَوْفِ عِنْدَ سَبَإٍ، وَأَمَّا يَعُوقُ فَكَانَتْ لِهَمْدَانَ، وَأَمَّا نَسْرٌ فَكَانَتْ لِحِمْيَرَ لِآلِ ذِي الْكَلَاعِ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ، وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ " [1].

فهذا أول انحراف وجد في تاريخ البشرية عن التوحيد، فأرسل الله إليهم أول رسله نوحاً عليه السلام مصداقاً لوعده الذي أعطاه لأبي البشر آدم بإرسال الرسل وإنزال الكتب هداية للبشرية .

---

(1) [البخاري: صحيح البخاري، تفسير القرآن/ ودا ولا سوعا ولا يغوث ويعوق، 667/8: رقم الحديث 4920]

والدليل على أن نوحاً كان أول رسول مبعوث، حديث الشفاعة الثابت في الصحيح، وفيه: (...فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا) (1).

والنصوص التي بين أيدينا من كتاب ربنا تدل دلالة واضحة على أن نوحاً قد دعا إلى التوحيد الخالص، فقد قال لقومه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الأعراف: ٥٩]

والذين استجابوا لدعوة التوحيد هم ضعفاء الناس، وتنكّر لها السادة والزعماء الذين يظنون في أنفسهم العقل والذكاء حيث استكبروا عن متابعة الحق: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الأعراف: ٦٠]، والملأ المذكورون في الآية هم السادة والكبراء، وقد أخبر ربنا عن حالهم بقوله: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ [هود: ٢٧]؛ أي: اتبعوك بدون تأمل عميق، وتفكير ونظر، وهذا الذي رموهم به هو ما يجب أن يُمدحوا به، فإن الحق إذا ظهر لا يحتاج إلى نظر، بل يجب اتباعه.

وتعجبوا أن يبعث الله رسولاً بشراً فقالوا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا ﴾ [هود: ٢٧]، وقوله تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وطلبوا منه أن يطرد الضعفاء والمساكين الذين تابعوه فرفض طلبهم فأخبر عن ذلك قائلاً: ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ [هود: ٢٩] .

وقد تطاول الزمان وكثرت المجادلة بينه وبينهم فدعا عليهم فأهلكهم الله بالطوفان، وأنجى نوحاً والمؤمنين برحمة منه، وخلت الأرض من الظالمين، ولم يبق فيها إلا الموحدون.

وهكذا استمرت رحمة الله وعنايته ببني آدم كلما ضلوا وزاغوا أنزل إليهم هُداه يضيء لهم الظلمات.

هذه هي قصة البشرية الحقيقية صراع طويل بين الحق والباطل، بين الرسل الذين يعرضون الهدى والحق، وبين الضالين المعرضين عن التوحيد المتمسكين بما أَلْفَوْا عليه الآباء والأجداد، وبأهوائهم ومعتقداتهم الباطلة.

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم ، الإيمان/ أدنى أهل الجنة منزلا، 185/1 رقم الحديث 194]

المطلب الثالث: إبراهيم عليه السلام

لقد تحدث الله سبحانه وتعالى في بداية السورة عن الفتنة والابتلاء، وقد بين أن الذين من قبلنا فتنوا فكان منهم خليله إبراهيم عليه السلام، وقد كان خليل الرحمن من الصادقين حقا مع شدة ما ابتلي به من عدم استجابة قومه له حتى أقرب الناس إليه وهو أبوه وما أصابه من الأذى في جنب الله حتى القي في النار عليه السلام، وفارق الأهل والوطن صابراً محتسباً.

لقد اختار الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام ليكون إماماً للناس قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [البقرة: ١٣٠]

وقد استجاب إبراهيم عليه السلام لأمر ربه بالإسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]

وفي هذه السورة يقوم إبراهيم عليه السلام، بالاستجابة لأمر الله وهي دعوة قومه إلى عبادة الله وحده وبراءته من الشرك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٦]

وقد جعل الله النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

بيان حقيقة الباطل:

في هذه السورة ذكر الله عز وجل دعوته قومه إلى توحيد الله وما فعل به قومه، وما جازاه الله به من أجر في الدنيا وثواب في الأخرة.

إن من فقه إبراهيم عليه السلام، في الدعوة إلى الله أن بدأ أول ما بدأ بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك مع الله، فبدأ إبراهيم عليه السلام، بأصل الأصول وقمة القمم وهي الدعوة إلى التوحيد ورفع الشرك من الأرض وذلك قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤] قد كان قومه أهل شرك، ويتضح ذلك من خلال آيات القرآن الكريم وقد جادل قومه عن الكواكب وأنها لا تستحق العبادة، وجادل قومه عن فساد الأصنام وأنّها لا تنفع ولا تضر ولا تقي شيئاً.

فأول ما بدأ بقومه هو الدعوة إلى توحيد الله وإخلاص الدين له ونبذ الشرك ورفضه، وكان إبراهيم عليه السلام يسلك كل السبل في سبيل إقناع قومه بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام، وذلك عبر بيان حقيقة تلك الأصنام وأنها لا تنفع ولا تضر، ولا تملك شيئاً، وأن ما بينهما من مودة ستنقلب يوم القيامة إلى عداوة، ويلعن بعضهم بعضاً، كما قال تعالى مخبراً بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

لم يستجب قوم إبراهيم عليه السلام له، فقرر أن يلقنهم درساً عملياً؛ ليؤكد لهم صحة ما يدعوا له وصحة ما قاله عن هذه الآلهة المزعومة المتمثلة في الأصنام، أنها لا تنفع ولا تضر ولا تنفع نفسها فضلاً عن أن تقدم شيئاً من النفع أو الضر لغيرها؛ فقرر تحطيم هذه الأصنام في حين غفلة منهم، ولم يبقي إلا كبيرهم وجعل الفأس معلقاً برقبته، وكان يريد بذلك اختباراً عقلياً لعقول أغلقت على الشرك دون الالتفات إلى الحقائق، وبعد ذلك دار الحوار الذي راجعوا أنفسهم من خلاله أن الأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تدفع عن نفسها شيئاً، ثم نكسوا على رؤوسهم بعد ذلك.

لذلك على الدعاة إلي الإسلام أن يسلكوا هذه الطريقة، طريقة إبراهيم عليه السلام حسبما تقتضيه الحال، فيناظروا دعاة الباطل، مبينين لهم فساد معتقداتهم الباطلة، فإن الدعوة إلي الحق كما تكون بتزيينه وذكر محاسنه للترغيب فيه، واستمالة النفوس إليه تكون بتشويه الباطل وذكر مساويه ومخازيه، تنفيراً منه ليهرب المبطلون عنه، وتتفتح قلوبهم للحق، فلتزموه.

قرار الكفرة من قوم إبراهيم إلقاؤه في النار:

بعد قيام الخليل عليه السلام بتحطيم الأصنام ليعلم قومه حقيقتها؛ وأنها لا تنفع ولا تضر؛ ليصرف الناس وجوههم إلى الله تعالى بدلاً من التوجه إلى تلك الأصنام، ولكنهم أساءوا إلى من أحسن إليهم، ولمن أراد لهم النجاة ولمن يريد إخراجهم من الظلمات إلى النور، فأخذتهم العزة بالإثم وتأمروا على صاحب هذه الدعوة المباركة، فأجمعوا أمرهم فقرروا قتل نبي الله إبراهيم عليه السلام بإلقائه في النار، وإحراقه وهذا من أعظم البلاء قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]

فنجاة إبراهيم عليه السلام فيها من الآيات أن الله خالق الأسباب وقادر على سبلها فهو الذي جعل النار مادة للإحراق، وبقدرته سبحانه سلبها هذه القدرة من أجل إبراهيم عليه السلام.

وكانت النار بردًا وسلامًا على ابراهيم، عليه السلام خرج منها بمعجزة عظيمة منّ الله بها عليه، وأبت النار أن تحرق الا الكفار، فإنها لا تحرق الأنبياء بأمر الله ,وهذه معجزة من معجزات ابراهيم عليه السلام التي منّ الله بها عليه، خرج إبراهيم عليه السلام من النار كما لو كان يخرج من حديقة، وتصاعدت صيحات الدهشة الكافرة، خسروا جولتهم خسارة مريرة وساخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٠]

ومع كل هذه العجائب فإن النمرود وقومه ظلوا على كفرهم وعنادهم ولم يؤمن إلا القليل لكنهم أخفوا إسلامهم خوفاً من ملكهم الكافر الذي سيلقى جزاءه العادل يوم القيامة.

وهكذا يكون نصرُ الله لأوليائه؛ فإنه سبحانه قد قضى في قضائه، أنه من عادى له وليًّا فقد آذنه بالحرب، ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] وهكذا المكر السيئ لا يَحيق إلا بأهله، إخوة يوسف لما بغَوا عليه واحتالوا له، ومكروا به، وقالوا: اطرحوه أرضًا، وجعلوه في باطن الجب، جعله اللهُ على خزائن الأرض، وفتح له من أبواب رحمته، ومكنه في الأرض.

تكريم إبراهيم عليه السلام باصطفاء ذريته:

أوضح الله عز وجل أنّ النبوة و الكتاب جعلا في ذرية إبراهيم عليه السلام بصفة عامة، " وقد عوض الله إبراهيم عليه السلام عن وطنه وقومه وأهله عوضه عن هذا كله ذرية تمضي فيها رسالة الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكل الأنبياء وكل الدعوات بعده كانت في ذريته، وهو عوض ضخم في الدنيا وفي الآخرة"(1)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

وهو فيض من الله تعالى، فالذي أجمع الطغيان على حرقه بالنار، فكان كل شيء من حوله بردا وسلاما، وعطفا وإنعاما، جزاء وفاقا، وهذا من أعظم المناقب والمفاخر، أن تكون مواد الهداية والرحمة والسعادة والفلاح في ذريته، وعلى أيديهم اهتدى المهتدون، وآمن المؤمنون، وصلح الصالحون(2).

---

(1) الشحود، المفصل في أحكام الهجرة (1/ 223)

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن، (مج 2732/5).

المطلب الرابع: لوط ﵇

لقد بين الله في هذه السورة دعوته﵇ باختصار وصبره عليهم، وتبين فيها صبر نبيه على البلاء والفتنة، كما ان قومه على العكس من ذلك.

لقد أرسل الله عز وجل لوطاً ﵇ إلى قوم قد تعدّوا حدود الله عز وجل أكبر تعدٍّ فعبدوا غيره وانغمسوا في ارتكاب الفواحش في مجالسهم جهاراً من غير خجل، ولا مروءة، واقترفوا المنكرات التي لم يألفها بني آدم، ألا وهي إتيان الذكران من العالمين، وكانوا يقطعون السبيل على النّاس فينهبوا أموالهم ويعتدوا عليهم بغير حق، كان أولئك القوم يسكنون قرى "سدوم "و"عمّورة" وما حولها على شاطئ البحر الميت أو ما يسمّى "بحر الملح," فجاءهم لوط ﵇ ومكث فيهم يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له وينهاهم عن الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، قال تعالى وعن واقعهم وأصلهم،: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٢٦]

لقد آمن لوط ﵇ لإبراهيم ﵇، وقد هاجر لوط ﵇ مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام من العراق وتبعه في جميع أسفاره ورحلاته.

موقف الملائكة من قوم لوط ﵇:

إن قوم لوط ﵇ لما سمعوا دعوة نبيهم﵇ لهم إلى توحيد الله وعبادته حيث كانوا يعبدون الأصنام ويستعملون المنكرات ومنها فاحشة اللواط لم يك عندهم جواب لنبيهم فهددوه بالإخراج من بينهم ونفيه من الأرض، حيث قال تعالى :﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٨٢] لم يكن هذا جواباً فإن الجواب في وقت المناظرة إما الإعتراف والإذعان بها أو ردها ببيان فسادها وكل ذلك لم يحصل بل هددوه بالإخراج وهذا سفه منهم ومكابرة فوضعوه موضع الجواب وهكذا كل مكابر يفقد الحجة والدليل يستعمل السفه والمكابرة أو التهديد والوعيد، وبما أن لوط﵇ ينهاهم عن عملهم القبيح ولا يوافقهم على عملهم فالبعض منهم يقول للبعض الآخر أن هؤلاء يتطهرون من أعمالنا ولا يشاركوننا فيها.

أمام اصرار قوم لوط﵇ على كفرهم وطغيانهم وانغماسهم في المنكرات والفواحش، أراد الله تبارك وتعالى نصر نبيه لوط﵇ وإهلاك أولئك الكفار الخبثاء فأرسل الله عز وجل الى قوم لوط ﵇ ملائكة كرامًا لإهلاكهم، ليقلبوا قراهم عاليها سافلها وينزلوا العذاب بهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]

وهذا المشهد، مشهد الملائكة مع إبراهيم عليه السلام، مختصر في هذا الموضع لأنه ليس مقصودًا قد سبق في قصة إبراهيم عليه السلام أن اللّه وهب له إسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام وولادة إسحاق عليه السلام هي موضوع البشرى، ومن ثم لم يفصل قصتها هنا لأن الغرض هو إتمام قصة لوط عليه السلام، فذكر أن مرور الملائكة بإبراهيم عليه السلام كان للبشرى، ثم أخبروه بمهمتهم الأولى: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١][1].

وينتقل إلى مشهد ثالث، مشهد لوط عليه السلام وقد جاء إليه الملائكة في هيئة فتية صباح ملاح وهو يعلم شنشنة قومه، وما ينتظر ضيوفه هؤلاء منهم من سوء لا يملك له دفعا، فضاق صدره وساءه حضورهم إليه، في هذا الظرف العصيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

ويختصر هنا هجوم القوم على الضيوف، ومحاورة لوط عليه السلام لهم، وهم في سعار الشذوذ المريض، ويمضي إلى النهاية الأخيرة، إذ يكشف له الرسل عن حقيقتهم، ويخبرونه بمهمتهم، وهو في هذا الكرب وذلك الضيق[2].

استنكاره عليهم إتيانهم الفاحشة:

معلوم أن كل نبي يبدأ دعوته بالتوحيد لله عز وجل والبراءة من الشرك، إلا أن لوطاً عليه السلام في هذه السورة بدأ دعوته بالنهي عن الفاحشة ولم يذكر الله عز وجل أنّه دعا قومه إلى التوحيد، ولكن لوط عليه السلام ركز على النهي عن الفاحشة التي انتشرت بين قومه، لأنها ما انتشرت هذه الشناعة إلا لعدم إيمانهم بالله، ولقد كان قوم لوط عليه السلام من قساوة قلوبهم وفساد أخلاقهم يتجاهرون بفعل فاحشة اللواط ولا يستترون ولا يستحون، فلما بعث الله تعالى نبيه لوطًا عليه السلام إليهم دعاهم إلى دين الإسلام وعبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن فعل هذه المحرمات والمنكرات وتلك الأفاعيل المستقبحة، ولكنهم استمروا على كفرهم وإشراكهم وتمادوا في ضلالهم وطغيانهم وفي المجاهرة بقبيح أعمالهم.

---

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2734).

(2) انظر: المرجع السابق (مج 5/ 2734).

استنكر لوط عليه السلام على قومه ما يقومون به من الأعمال السيئة؛ كإتيانهم الرجال شهوة من دون النساء وقطعهم السبيل وإتيانهم في ناديهم المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨ – ٢٩].

ومن خطاب لوط عليه السلام لقومه يظهر أن الفساد قد استشرى فيهم بكل ألوانه، فهم يأتون الفاحشة الشاذة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين، يأتون الرجال، وهي فاحشة شاذة قذرة تدل على انحراف الفطرة وفسادها من أعماقها، فالفطرة قد تفسد بتجاوز حد الاعتدال والطهارة مع المرأة، فتكون هذه جريمة فاحشة، ولكنها داخلة في نطاق الفطرة ومنطقها[1].

"فأما ذلك الشذوذ فهو انخلاع من فطرة الأحياء جميعا، وفساد في التركيب النفسي، فقد جعل اللّه لذة المباشرة الجنسية بين الزوجين متناسقة مع خط الحياة الأكبر، وامتداده بالنسل الذي ينشأ عن هذه المباشرة، فأما المباشرة الشاذة التي كانوا يفعلون، فلا هدف لها، ولم يجهز اللّه الفطرة بالتذاذها تبعا لانعدام الهدف منها، فإذا وجد فيها أحد لذة فمعنى هذا أنه انسلخ نهائيا من خط الفطرة، وعاد مسخاً لا يرتبط بخط الحياة! ويقطعون السبيل، فينهبون المال، ويروعون المارة، ويعتدون على الرجال بالفاحشة كرها، وهي خطوة أبعد في الفاحشة الأولى، إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض" [2].

موقف قوم لوط عليه السلام من دعوته:

فهو التبجح في وجه الإنذار، والتحدي المصحوب بالتكذيب، والشرود الذي لا تنتظر منه أوبة، وقد أعذر إليهم رسولهم فلم يبق إلا أن يتوجه إلى ربه طالبا نصره الأخير.

لقد كان موقف قوم لوط عليه السلام من دعوته هو التكذيب، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٠] والتهديد بإخراج آل لوط قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ [النمل: ٥٦]، والاستعجال بالعذاب .

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2733).

(2) المرجع السابق (مج 5/ 2733).

فلمّا دعاهم عليه السلام إلى الفطرة السليمة والأخلاق السّويّة من عبادة الله ﷻ وحده والتنزّه عن الخبائث والفعال القبيحة، ردّوا عليه بالمناقضة والتهديد والوعيد بأن يخرجوا نبيّهم الناصح ورسولهم الأمين من بينهم، والعجب أن الذي حملهم على ذلك أنّهم لا يحبّون المتطهّرين ويكرهون من يأمر بالفضيلة والعفاف، فانظر إلى تلك النّفوس الخبيثة والقلوب العمياء كيف جعلوا أفضل الحسنات بمنزلة أقبح السيئات وجعلوا غاية المدح ذمّا فانقلبت موازين فطرتهم لانتكاس قلوبهم وأبصارهم فرماهم نبيّ الله لوط عليه السلام بالجهل والإسراف وذهاب عقولهم ورشدهم، لم يكتفوا بتهديد نبيّهم بالأذى، بل استعجلوا العذاب والبلاء تأكيدا لكفرهم وإشهارا لتكذيبهم نبيّهم عليه السلام.

إنّ مهمة الداعية الأولى هي الدعوة إلى تقوى الله، والأخذ بالأساليب الحكيمة لإخراج الناس مما هم فيه من فساد وضلال، وأن يكون عمل الداعية ليس تحصيلاً لأجر أو كسباً لسمعة، بل الالتزام بأمر الله في الدعوة إلى دينه الحق، وإخراج الناس من حمأة الظلمات، أن أصحاب الإيمان العميق، والخلق القويم، والغيورين على طهارة النفوس وأعراض الناس، يستميتون في الذب عن دينهم، وعن كل ما أمر الله تعالى بالدفاع عنه، وهذا ما رأيناه في قصة لوط عليه السلام، فلم يترك وسيلة من وسائل الترغيب أو الترهيب إلا طرقها، فهو تارة يأمرهم بتقوى الله، وتارة ينكر عليهم فعلتهم الشنعاءقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٨]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ** ﴾ [الحجر: ٧١] وتارة يلتجئ إلى الله بالدعاء.

إن لوطاً عليه السلام على الرغم من قوة إيمانه، وعلو همته، وعظيم غيرته، تمنى أن تكون له قوة باطشة، تردع قومه عن منكرهم، وتردهم عن باطلهم، وأنه لا بأس على المسلم أن يستعين بغيره لنصرة الحق الذي يدعو إليه، ولخذلان الباطل الذي ينهى عنه، هذا ما نفهمه من قوله تَعَالَىٰ: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ** ﴾ [هود: ٨٠][1]

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2733).

المطلب الخامس: شعيب ﵇

دعا نبي الله شعيب ﵇ قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غير الله ونهاهم عن الظلم والفساد وأخذ أموال الناس بالباطل عن طريق النقص في المكيال والميزان، ولكن لم يؤمن بدعوته إلا العدد القليل من قومه مع أنهم كانوا في بحبوحة العيش والرزق، فقد بسط الله عليهم الرزق في عيشهم استدراجًا منه لهم وابتلاءً مع كفرهم بالله سبحانه وتعالى وعدم شكرهم لله على ما أعطاهم ورزقهم من النعم الوفيرة.

وسط هذا المجتمع الفاسد والكفر والضلال الذي كانت تعيش فيه قبيلة مدين حيث كانوا يُفسدون في الأرض ولا يصلحون، بعث الله فيهم رجلًا منهم هو رسول الله شعيب ﵇ فدعاهم إلى دين الإسلام، وعبادة الله وحده لا شريك له؛ لأنه هو الذي يستحق العبادة وحده دون غيره، ونهاهم عليه السلام عن الفساد والأفعال القبيحة التي كانوا واقعين فيها، وأمرهم بالعدل والميزان بالقسط وأن لا يبخسوا الناس حقوقهم، وأن لا يقطعوا الطرق على المارة ويأخذوا أموال الناس بالباطل.

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه شعيباً إلى مدين ليدعوهم إلى عبادة الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

وقد سجل القرآن ما دعاهم إليه من فضائل بعد الإيمان فقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥] وهذه دعوة الرسل كلهم الدعوة إلى توحيد الله ﷻ.

يبين الله لنا في هذه السورة أمر شعيب﵇ مع قومه حينما وجدهم على غير هدى من إشراكهم بالله وبخسهم حقوق الناس، وكان موقفهم الاستهزاء والسخرية.

مخاطبة شعيب ﵇ بلفظ (يا قوم)

مما يوحي إشعاره لهم بأنهم جزء منه وهو جزء منهم وما يهمهم هو محل اهتمامه، وكان هدفه هو ليس المخالفة لهم ولكنه داعية إصلاح ويطلب التوفيق من الله تعالى، فقد كان يبدي لهم الخير

والخوف عليهم من عذاب الله قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] وقال أيضاً: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴾ [هود: ٨٤].

فكان أول ما دعاهم إليه هو التوحيد، وقد حصل بينه وبينهم جدال فقد جادلهم ووعظهم في الله كما قصه الله علينا في القرآن الكريم، وكل ذلك يدلل على تغلغل الشرك في قومه، وإعراضهم عن الله مع ما نصبه الله عز وجل لهم من الأدلة والبراهين الواضحة وكذلك البينة التي جاءهم نبيهم بها.

شعيب عليه السلام يدعوهم للإيمان باليوم الأخر :

ومما دعى شعيب عليه السلام قومه إليه هو إيمانهم باليوم الآخر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]" ارجو بعبادتكم إياه جزاء اليوم الأخر، وذلك يوم القيامة(1)

وبلا شك أن من آمن باليوم الأخر وما فيه من عرض وحساب وجزاء فإنه سيعمل ما يرضي الذي قدر هذا اليوم وأمر للإيمان به، لذلك عقب شعيب بعده بالنهي عن الفساد في الأرض بقوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

لأنّ من أفسد في هذه الحياة الدنيا وأقام على معصية الله فإنه لا يرجوا ما عند الله ولا يطمع بجنته ولم يخف من ناره.

موقف قوم شعيب من دعوته:

واجه قوم شعيب دعوته عليه السلام بعد كل هذه المحاولات والنصائح بالسخرية والاستهزاء وعدم الإستجابة لدعوته والتكبر عن إتباع الحق وقالوا له على سبيل التهكم والاستهزاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (20ج/148).

[هود: ٨٧] رغم المحاولات العديدة والأساليب المختلفة التي بذلها نبي الله شعيب في دعوة قومه إلى الدين الحق وترك المنكرات والقبائح التي كانوا يفعلونها، تجاهل قومه الخبثاء دعوته واستمروا على جهلهم وضلالهم وكفرهم وردوا عليه بالسخرية والاستهزاء، قال الله تبارك وتعالى إخبارًا عن قوم شعيب:

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴾ [هود: ٩١]، لم يفيق القوم ولم يرعووا مما هم فيه من الغطرسة والتكبر والتجبر في الرض بإفسادها والاعتداء على أهلها، فكان ردهم لنبي الله رداً شنيعاً حيث كذبوه وجادلوه بالحجج الواهية والتنقص والاستهزاء التي قصها الله علينا ، فكان عاقبتهم الهلاك والدمار .

كان موقف قوم شعيب عليه السلام أن واجهوه بالتكذيب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، واتهموه بالسحر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٨٥]، زعموا أن اتباع شعيب خاسرون وذلك ليصدوا من يريد اتباعه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٠].

المطلب السادس: هود عليه السلام

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[العنكبوت: ٣٨] لم يرد في السورة دعوة النبي هود عليه السلام لقومه وجدالهم له ولكن هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ ليتعظوا ويعتبروا ولا يقعوا يما وقع فيه القوم.

أرسل الله سبحانه وتعالى هوداً عليه السلام إلى عاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]

وقد دعاهم هود عليه السلام إلى التوبة والاستغفار، وإلى عبادة الله تعالى، وإن قاموا بذلك أرسل الله إليهم المطر الكثير الذي تكون به حياة النبات والحيوانات التي يحتاجونها في معاشهم، وأن الله سيزيدهم بذلك الإيمان قوة إلى قوتهم، قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود: ٥٢].

وعاد كانت تسكن بالأحقاف في جنوب الجزيرة بالقرب من حضرموت، وثمود كانت تسكن بالحجر في شمال الجزيرة بالقرب من وادي القرى، وقد هلكت عاد بريح صرصر عاتية، وهلكت ثمود بالصيحة المزلزلة، وبقيت مساكنها معروفة للعرب يمرون عليها في رحلتي الشتاء والصيف، ويشهدون آثار التدمير، بعد العز والتمكين، وهذه الإشارة المجملة تكشف عن سر ضلالهم، وسر ضلال الآخرين، فقد كانت لهم عقول، أمامهم دلائل الهدى؛ ولكن الشيطان استهواهم وزين لهم أعمالهم، وأتاهم من هذه الثغرة المكشوفة، وهي غرورهم بأنفسهم، وإعجابهم بما يأتونه من الأعمال، وانخداعهم بما هم فيه من قوة ومال ومتاع، فصدهم عن السبيل، سبيل الهدى الواحد المؤدي إلى الإيمان، وضيع عليهم الفرصة، وكانوا يملكون التبصر، وفيهم مدارك ولهم عقول.(1)

موقف عاد من دعوة هود عليه السلام:

إنّ عاداً بدلاً من إيمانهم برسول الله إليهم واتباعهم له أصروا على ما هم فيه من الكفر بالله، والإشراك به، ومجادلة نبيهم عليه السلام بحجج واهية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٦]

لقد بذل هود عليه السلام ما في وسعه من أداء رسالة ربه، ولكنهم أصروا على كفرهم، وعنادهم، وتمسكهم بعبادة الأصنام، ولقد تبرأ من شركهم وتحداهم أن يمسوه بسوء وأعلن توكله على الله تعالى

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2735).

الذي بيده نواصي جميع الخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [هود: ٥٣ – ٥٦].

ولقد اتهموا هود عليه السلام بالسفاهة كذباً وزوراً، بعدما قدموا حججاً واهية، وتبين لهم صدق ما يقول وصدق ما جاء به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦]

فكان رده عليه السلام أنه ليس الأمر كما تقولون ولكنه الرسالة القوية والنبوة وليست السفاهة كما ذكر الله ذلك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٧].

ولقد أصاب قوم عاد ما يصيب الكفرة والمشركين من الجحود والعناد والاستكبار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥].

وسنن الله تعالى أن الباطل مهما كانت له صولات وجولات إلا أن الحق هو الغالب، والعاقبة تكون لأهله، وهم يرثون الأرض، والله تعالى لا يتركهم بل هو ناصرهم، ومؤيدهم، وحافظهم من كيد الأعداء، وقد انجى الله نبيه هوداً عليه السلام ومن معه من كيد الكافرين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴾ [هود: ٥٨] وقال أيضاً: ﴿ قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١].

المطلب السابع: صالح عليه السلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٨] "ثمود قوم صالح كانوا يسكنون الحجر، قريباً من وادي القرى، وكانت العرب تعرف مساكنها جيدا وتمر عليها كثيراً."[1] لم يرد في السورة دعوة صالح عليه السلام لقومه وجدالهم له، ولكن هذا الخطاب لأمة محمد ﷺ؛ ليتعظوا ويعتبروا ولا يقعوا فيما وقع فيه القوم.

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه صالح عليه السلام إلى قوم ثمود؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى ، وقد أيد الله عزّ وجل نبيه صالحاً عليه السلام ببينة طلبها قومه بأن أخرج لهم ناقة من الصخرة كما طلبوا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةًۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣] وقال جل وعلا: ﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤].

فهذه تدل على قدرة الله لهم ولغيرهم، فهي خرجت من صخرة ملساء فتمخضت بها تمخض الحامل ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها، كذلك كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم وتسقيهم اللبن مكانه [2].

وقد ذكر صالح عليه السلام قومه بما غمرهم الله به من النعم وأن جعلهم خلفاء عاد وبواهم في الأرض وأعطاهم القدرة على نحت الجبال وبناء البيوت والقصور قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًاۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤].

وكذلك دعاهم إلى تقوى الله ﷻ، وذكرهم بخطورة معصيته، وأعلمهم أنه لن يطلب منهم شيئاً مقابل دعوته لهم، وهو الذي يريد الخير لهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٥].

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 658/3).

(2) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير (ج 224/3).

موقف قوم صالح عليه السلام من دعوته:

دأبت قوم ثمود دأب الأمم السابقة في الكفر والتكذيب برسل الله عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١]

وقد كان تكذيبهم ذلك بما كان عليه الآباء والأجداد من الشرك والكفر، وقد اتهموه بالسحر، وهذا دأب أمم الكفر، وكأنه يوصي بعضهم بعضاً بأن يتهموا رسل الله بالسحر، كذلك عقروا الناقة، بل حاولوا قتل صالح عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ٤٨ – ٥٠]

ولما قضى المولى جل وعلا بنزول العذاب على ثمود بكفرهم نجا نبيه صالحاً عليه السلام ومن معه من المؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

المطلب الثامن: موسى عليه السلام

ذكر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام مشيراً أنه جاء قومه بالبينات الواضحة وكان من أوضح إبطال سحرهم الذي اشتهروا به، وخدعوا به الناس، وكان ممن عارضه وتكبر على دعوته وعدم الاستجابة له " قارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة، وفرعون ملك مصر في زمان موسى عليه السلام، ووزيره هامان القبطيان الكافران بالله تعالى وبرسوله"(1)، فكان عاقبتهم ومن كفر بالله ورسله كما أشار الله سبحانه في قوله: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

اختيار الله لموسى عليه السلام للنبوة والرسالة:

بدأ الوحي من الله تعالى إلى موسى عليه السلام بعد أن عاد من مدين عندما ناداه الله من جانب الطور الأيمن، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم: ٥١ - ٥٢] وقال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص: ٢٩ – ٣٠].

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى إلى فرعون وملأه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩] وقال أيضاً: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ١٧ – ١٩] ولكن فرعون طغى وتكبر وأفسد في الأرض وادعى لنفسه الربوبية قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[النازعات: ٢٤]، وأدعى الألوهية أيضاً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 658/3).

موقف فرعون وقومه من موسى عليه السلام :

لقد تواطأت الأمم على تكذيب رسل الله تعالى، وتواطؤا على اتهامهم بالسحر، وأنهم ماضون على سنة أباءهم في الكفر برسل الله، ورسالاته، وكان فرعون وقومه يقلدون أسلافهم من أمم الكفر في ذلك، ورغم أنهم يتيقنون في داخل نفوسهم بصدق موسى عليه السلام وصدق ما جاء به من البينات إلا أنهم جحدوا آيات الله ظلماً وعلواً قال تعالى:﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل: ١٤] وقال سبحانه:﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُواْ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القصص: ٣٦]

"وقارون كان من قوم موسى عليه السلام فبغى عليهم بثروته وعلمه، ولم يستمع نصح الناصحين بالإحسان والاعتدال والتواضع وعدم البغي والفساد، وفرعون كان طاغية غشوما، يرتكب أبشع الجرائم وأغلظها، ويسخر الناس ويجعلهم شيعا، ويقتل ذكور بني إسرائيل ويستحيي نساءهم عتوا وظلما، وهامان كان وزيره المدبر لمكائده، المعين له على ظلمه وبطشه... فلم يعصمهم الثراء والقوة والدهاء، من أخذ اللّه، ولم يفلتوا من عذابه، بل أدركهم وأخذهم... وهؤلاء الذين ملكوا القوة والمال وأسباب البقاء والغلبة، قد أخذهم اللّه جميعا، بعد ما فتنوا الناس وآذوهم طويلا"[1].

(1) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 5/ 2735).

المبحث الثالث: الجزاء من جنس العمل، وعقوبات إهلاك الأمم المكذبة للرسل

المطلب الأول: أنواع عقوبات الأمم

إن المتتبع للسنن الإلهية الثابتة في الأمم السابقة وما حل بهم من صور الهلاك وإحلال العقاب بسبب انحرافها عن الصراط المستقيم والمنهج القويم، يجد أن هذه العقوبات كثيرة متنوعة، قص الله تعالى بعضها في كتابه مجملة ومفصلة، كما أمر سبحانه العباد بالتدبر وأخذ العبرة والعظة مما حل بهذه الأقوام وعدم السير على طريقهم ومنهجهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٧] فالعقوبة الإلهية سنة من سنن الله التي لا تتغير ولا تتبدل، وقال السعدي[1]: "فكل من هؤلاء الأمم المكذبة أخذنا بذنبه على قدره، وبعقوبة مناسبة له" [2]

وهذه العقوبات تنقسم إلى قسمين:

أولاً: العقوبات الإنذارية

تعريف الإنذار: قال ابن فارس[3]: "النون والذال والراء كلمة تدل على تخويف أو تخوف، منه الإنذار: الإبلاغ؛ ولا يكاد يكون إلا في التخويف وتناذروا: خوف بعضهم بعضاً، ومنه النذر، وهو أنه يخاف إذا أخلف والنذير: المنذر، والجمع النذر..." [4].

---

(1) السعدي هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي: مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة(بالقصيم)، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها، له نحو 30 كتاباً، (تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن) و(القواعد الحسان في تفسير القرآن) و(طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول) و (القواعد والأصول الجامعة)، وصدر بعد وفاته كتاب(سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي)، لبعض مريديه، انظر: الزركلي: الأعلام(ج340/3).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مج 60/4).

(3) بن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين من أئمة اللغة والأدب ولد سنة 329هـ، وأصله من قزوين وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري وإليه نسبته، كان شافعياً فقيهاً ثم انقل في أخر عمره إلى مذهب مالك، وله العديد من المؤلفات: (مقاييس اللغة وحلية الفقهاء) توفي في الري سنة 395هـ. انظر الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي(ج181/7-183)، الأعلام الزركليج193/1).

(4) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 331/5).

فهو وسيلة من وسائل التخويف من خطر قادم، أو خطب داهم، فالسحاب نذير المطر، والدخان نذير النار، وهكذا جرت سنة الله تعالى في خلقه أن يجعل لكل خطر محتمل أو خطب آت، من ينذر به ويخوف منه قبل قدومه .

وهو الذي لا يؤدي إلى زوال الأمة بالكلية، كالطاعون والطوفان والكوارث من خسف ومسخ، وقد عذب الله به فرعون وبني إسرائيل، وهذا النوع من العذاب لا يؤدي إلى فناء الأمة المعذبة برمتها، كما حدث للعرب، فإن الله لم يبدهم جميعا بالرغم من وجود المشركين بينهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥]

أقسام الإنذار

الإنذار البياني:

وهذا الإنذار عن طريق الرسل والأنبياء يصل إلى أقوامهم، بحيث يحذر النبي ﷺ قومه من بطش الله وانتقامه، وعظيم عذابه، ويبين لهم أن الاستمرار على العناد والكفر مدعاة لنزول عذاب الله، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢١][1]

الإنذار بالعقوبة:

وهي مرحلة أشد حزماً من الإنذار البياني، وأكثر صرامة في التعامل مع الأمم المكذبة، ولا تتبع أنبيائها، بل تكذب وتعرض، وتستمر في محاربة دعوة النبي ﷺ ، وهناك من النفوس من لا يجدي معها الكلام، ولا ينفع النصح، فتحتاج إلى ما هو أشد، وتحتاج إلى تنبيه ووخز قاس، كي تستيقظ من غفلتها وتصحو من سكرتها، وتعلم أن لها إلهاً يأخذ بالذنب، والعقوبات الإنذارية تختلف عن عقوبات الاستئصال في الهدف، فإن العقاب الاستئصالي هدفه إهلاك الأمم المكذبة وفنائها بعد عدم خيرتها.

أما العقوبات الإنذارية فإنها تنبيه للأمة الغافلة، التي بقي فيها صلاح، كي ترجع إلى الصراط المستقيم، وتسلك الدرب القويم، ومنها العقوبات الإنذارية الحسية، والعقوبات الإنذارية المعنوية .

---

(1) الرياحي، عقوبات الأمم المكذبة في الدنيا (دراسة موضوعية)، (ص32).

ثانياً: العقوبات الاستئصالية:

تعريف الاستئصال:

من مادة "أصل"، والأصل هو أسفل كل شيء، يقال: "قعد في أصل الجبل، وأصل الحائط، وقلع أصل الشجر، ثم كثر حتى قيل: أصل كل شيء: ما يستند وجود ذلك الشيء إليه، فلأب أصل الولد ، والنهر أصل للجدول"[1].

فمعنى الاستئصال في اللغة يدور حول معاني الهلاك، والقتل، والقطع، وهذا المعنى ينسجم مع عقوبات الإهلاك العام التي حلت بالأم المكذبة.

وقد وصف الاستئصال في القرآن الكريم بعدة أوصاف، منها العذاب الأليم، العذاب العظيم، العذاب الغليظ، العذاب المحيط، فالاستئصال هو: العقوبة القاضية التي تقضي على من نزلت به حيث لا تبقي ولا تذر، أي تهلك الأمة بأكملها، وتباد برمتها؛ فلا يبقى منهم أحداً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مريم: ٩٨] ويبقي الله تبارك الله وتعالى منهم آثارهم، وديارهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الصافات: ١٣٧ – ١٣٨] كما حدث لقوم نوح عليه السلام، وعاد، وثمود، وقوم شعيب عليه السلام أهل مدين، وقرى قوم لوط عليه السلام، وغيرهم لا يعلمهم إلا الله تعالى؛ ولكن ينجي الله صالحيهم، كما حصل مع نوح عليه السلام والذين آمنوا معه، ولوط وابنتيه.

---

(1) الزبيدي، تاج العروس (ج 447/27).

المطلب الثاني: إغراق قوم نوح عليه السلام بالطوفان

ذكرنا في المبحث السابق قصة نوح عليه السلام من خلال السورة، وسنعرض في هذا المطلب قصة عذاب الله لقوم نوح ،الذين كذبوه ولم يتبعوه عليه السلام.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]

قوم نوح هم أول الأمم الهالكة التي وردت قصتها في القرآن الكريم، وقد أرسل الله إليهم نوحاً عليه السلام عليه السلام بعد انحرافهم عن التوحيد والشرك، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، ونبذ عبادة الأصنام، لكن العناد كان قد تمكن من القوم فلم يزدادوا إلا كفراً وتكذيباً رغم الفترة الطويلة التي قضاها نوح عليه السلام بين ظهرانيهم وهي ألف سنة إلا خمسين عاماً.

بعد كل هذا الجهاد، وبعد هذا العناء، وهذا التوجيه، والتنوير، والإنذار، والوعد بالمال والبنين والرخاء، كان العصيان، وأوحى الله إلى نبيه نوح عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: ٣٦]

حتى ما تحمله أرحامهم إن قدر لهم الخروج في الدنيا، لا يسوؤنك فإن النصر قريب، والنبأ عجيب، وهنا كان الدعاء على قومه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح: ٢٦ – ٢٧]

وقال تعالى: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٨ – ٣٩]

"استهزءوا بالسفينة؛ فلم يكن يعرفونها ولا كيفية استعمالها، وسخروا منه فقد كان يصنعها بعيداً عن الماء وكانوا يتضاحكون، ويقولون: يا نوح، صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً"[1].

"وقد ألهم قلب نوح أن الأرض تحتاج إلى غسل يطهر وجهها من الشر العارم الخالص، الذي انتهى إليه القوم في زمانه؛ ومن أجل هذا استجاب الله دعوته، فغسل وجه الأرض من ذلك الشر"[2]

---

(1) الألوسي، روح المعاني (مج 11/50-51).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 6/3717)(مج 4/1879).

عقوبات قوم نوح:

أولاً: الهلاك بالغرق في الدنيا

لما أصر قوم نوح عليه السلام على الكفر بالله والتمسك بالعقيدة الفاسدة وعبادة الأصنام، وبعد أن دعا عليهم بعد أن مكث قرابة الألف عام، وهو يدعوهم فلم يستجيبوا له عند ذلك حل بهم عذاب الله في الدنيا بالغرق قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الصافات: ٧٥ – ٧٦] قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفرقان: ٣٧].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وهذا الطوفان(1) الذي أهلك الله به قوم نوح لم يكن من قبيل الفيضانات التي تحدث بين الحين والأخر في مختلف بقاع الأرض، بل كان عذاباً عاماً أعده الله لاستئصال المجرمين، وتطهير الأرض من دنسهم، وقد وصف القرآن الكريم الطوفان وصفاً بديعاً موجزاً، يظهر هول وشمول العذاب الذي معه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: ١١ – ١٤]

ثانياً: إدخالهم النار بعد الغرق

وانتقلوا بعد الغرق مباشرة إلى النار في حياة البرزخ كما ذكر الله ذلك في كتابه الكريم وعطف دخولهم على النار على غرقهم بحرف الفاء الذي يفيد التعقيب أي: أنهم بعد غرقهم أدخلوا النار قَالَ تَعَالَى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]

وهكذا طويت صفحة الظالمين، ليبدأ فصلًا جديدًا من فصول التاريخ بنوح عليه السلام ومن معه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [هود: ٤٨].

---

(1) الطوفان : هو كل حادثة تحيط بالإنسان. (المفردات312)، لكنه صار متعارفاً عليه في الماء المغرق المتناهي في الكثرة، سواء اكان مطراً أو سيلاً (اللسان2723/5).

المطلب الثالث: عقاب قوم لوط ﷺ بالحاصبة والإمطار بالحجارة

ذكر الله العذاب الذي حل بقوم لوط ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: ٣٣ – ٣٤]

"لما سرى لوطﷺ بأهله كما وصف الله بقطع من الليل أمر جبريل ﷺ فأدخل جناحه تحت مدائنهم فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب، ثم جعل عاليها سافلها، وأمطرت عليهم حجارة من سجيل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [القمر: ٣٨ – ٣٩]"[1]

نزول العذاب بقوم لوط:

لما أصر قوم لوط ﷺ على الكفر والإستمرار في الفاحشة أذن الله بهلاكهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٣ – ٧٧] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود: ٨٢ – ٨٣] ولما قلبوا الفطرة السليمة، قلب الله قراهم.

يقول الشنقيطي [2]مبيناً علة عذاب الله عز وجل بهذا اللون من العذاب: "قوم لوطﷺ لكونهم قلبوا الأوضاع بإتيان الذكور دون الإناث، فكان الجزاء من جنس العمل قلب الله عليهم قراهم، والعلم عند الله تعالى"[3].

ويقول سيد قطب: " هي صورة للتدمير الكامل الذي يقلب كل شيء ويغير المعالم ويمحوها، وهذا القلب، وجعل عاليها سافلها أشبه شيء بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة، المرتكسة من قمة الإنسان إلى درك الحيوان، بل أحط من الحيوان، فالحيوان واقف ملتزم عند فطرة الحيوان"[4].

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 247/7).

(2) الشنقيطي هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي الشنقيطي: ولد عام: 1325هـ، مفسر ومدرس من علماء شنقط(موريتانيا) ولد وتعلم بها، وحج عام: 1367هـ واستقر مدرساً في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة عام 1381هـ، له كتب منها(أضواء البيان في تفسير القرآن) و(منع جواز المجاز) و(أداب البحث والمناظرة) و(ألفية في المنطق) توفي بمكة سنة1393هـ. انظر: الزركلي: الأعلام(ج45/6)، بتصرف.

(3) الشنقيطي، أضواء البيان (ج 443/8).

(4) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 1915/4).

ويقول أيضاً: "ولكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر، وهو الماء المحي المنبت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة–ماء النطف– في غير ما جعل له، وهو أن يكون مادة حياة وخصب، والله اعلم بقوله ومراده، واعلم بسننته وتدبيره" [1].

فالجزاء من جنس العمل، كما كان فسادهم وطغيانهم، كان عذاب الله عليهم من مادة فسادهم.

"وقد امطروا مطراً مهلكاً مع ما صاحبه من عواصف، ترى كان هذا المطر المغرق والماء الدافق؛ لتطهير الأرض من ذلك الدنس الذي كانوا فيه، والوحل الذي عاشوا وماتوا فيه" [2]

وهذه العقوبة آية من آيات الله تعالى، ودلالة على قدرته سبحانه وتعالى، يقول الإمام الرازي:" اعلم أن هذا العمل كان معجزة قاهرة من وجهين: أحدهما: أن قلع الأرض وإصعادها إلى قريب من السماء فعل خارق للعادات، والثاني: أن ضربها من ذلك البعد البعيد على الأرض بحيث لم تتحرك سائر القرى المحيطة بها ألبته ولم تصل الآفة إلى لوط عليه السلام وأهله مع قرب مكانهم من ذلك الموضع معجزة قاهرة أيضاً"[3] .

ولقد تقدمت الملائكة إلى لوط ﵇، آمرين له بأن يسرى هو وأهله من أخر الليل، ولا يلتفت منكم أحد عند سماع صوت العذاب إذا حل بقومه .

وهكذا أصبحوا عبرة لمن مر عليها، كانوا يقطعون الطريق، ويخونون الرفيق، يأتون في ناديهم المنكر، جعلهم الله عز وجل عبرة إلى هذا اليوم فجعل مكانهم بحيرة منتنة لا يستفاد منها ولا من حولها وهي المعروفة حالياً بالبحر الميت[4]

فهذا عذاب الله فهلاكهم كان بألوان من أشد العذاب، إذ قلب الله قراهم فجعل عاليها سافلها، ورافق ذلك صيحة عظيمة، ومطر بحجارة من سجيل، فأبيدوا عن آخرهم وبقيت قصتهم عبرة للمعتبرين.

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 2648/5).

(2) المرجع السابق (مج 1316/3).

(3) الرازي، مفاتيح الغيب (مج 31/18).

(4) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 3/2،357/579).

المطلب الرابع: أخذ قوم شعيب ﷺ بالرجفة

أصرّ قومُ شعيبﷺ على الكفر بالله تعالى كالذين من قبلهم من الأمم المكذبة، بعد أن دعاهم نبيهم لتوحيد الله تعالى، حيث يقول المولى جل وعلا: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[العنكبوت: 36] ، وقد أذن الله بنزول العذاب بالكفرة وذلك لكفرهم وتكذيبهم؛ لأنهم لم يرعوا، ولم يفيقوا مما هم فيه من الغطرسة والتكبر والتجبر في الأرض بإفسادها والاعتداء على أهلها، فكان ردهم لنبي اللهﷺ رداً شنيعاً حيث كذبوه وجادلوه بالحجج الواهية والتنقص والاستهزاء .

وقد جمع عليهم أنواعاً من العقوبات وصنوفاً من المثلات وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات وظله أرسل عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات.

فقد توعدوا نبي الله بالإخراج من القرية، وأرجفوا نبي الله وأصحابه، فقابل الإرجاف بالرجفة، والإخافة بالخيفة وهذا مناسب لهم فالجزاء من جنس العمل .

يقول سيد قطب " الرجفة والجثوم جزاء التهديد والاستطالة، وبسط الأيدي بالأذى والفتنة، ويرد السياق على قولهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٠] هؤلاء الذين توعدوا وهددوا للمؤمنين بالخسارة ، فيقرر– في تهكم واضح– أن الخسران لم يكن من نصيب الذين اتبعوا شعيباً، إنما كان من نصيب قوم أخرين، وهم الذين كذبوا شعيباً " [1]

وقد ورد في عقوبة الله لقوم شعيب ثلاث آيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٩١]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ [هود: ٩٤ – ٩٥]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء: ١٨٩]

---

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن (مج 1322/3).

المطلب الخامس: إهلاك قوم هود عليه السلام بالريح الصرصر

أرسل هود عليه السلام إلى قبيلة من الجبارين تسمى(عاد)، وعاد من القبائل العربية البائدة وهم بنو عاد بن عوص بن إرم ابن سام بن نوح عليه السلام، ويقال لعاد هؤلاء: عاد الأولى، أما الثانية فمتأخرة[(1)]

"وكانوا من العمالقة الأشداء الذين زادهم الله بسطة في الجسم، وكانوا يعيشون في ترف العيش ودعة، وتقدموا على أمم زمانهم من الناحية العمرانية، فكانوا يبنون القصور الفخمة ويقيمون القلاع والحصون، ووهبهم الله بساتين يانعة، وعيوناً جارية، وخيرات كثيرة" [(2)]

ورغم هذه النعم الكثيرة لم يؤد القوم واجب شكرها، ووقعوا بجهلهم بما وقع به من قبلهم الأمم البائدة من أسباب العقوبات الإلهية، فكانت النتيجة أن جرت عليهم سنة الله في الإهلاك، فهي لا تتأخر عند وقوع أسبابها، وقد قام هود عليه السلام بواجب الدعوة والتذكير، والنصح والإرشاد والتوجيه، إلا أن قومه كانوا أصحاب قلوب قاسية جافية امتلأت كفراً وكبراً.

قال تعالى في ذكر الحوار الذي كان بين هود عليه السلام وقومه قبيل إنزال العقوبة الإلهية عليهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٩ – ٧٠]

فرد عليهم هود بكلمات فاصلة، حسمت مصير القوم وأنبئتهم بالهلاك القريب الآجل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٧١]

فالمحصلة أن القوم لم يستمعوا لنصيحة نبيهم فرجعوا بالخسران المبين وخاب سعيهم، وبارت أعمالهم، واستحقوا عقاب الله تعالى، وقضي عليهم بالهلاك.

لقد بدأت فصول عقوبتهم عندما حبس عنهم قطر السماء مدة، حتى اشتد عليهم الجهد والإعياء- وهذه عقوبة في حد ذاتها- فاستغاثوا واستنجدوا، فأرسل الله عليهم سحاباً كثيفاً من السماء، فلما رأوه فرحوا واستبشروا، وظنوا أنه غيث غزير جاء لغوثهم، وحسبوا أن الرحمة قد

(1) انظر: كحاله، معجم قبائل العرب (ج 700/2).

(2) الصابوني، النبوة والأنبياء (ص238).

أدركتهم، فلما وصل السحاب أظلتهم منه سحابة سوداء قاتمة، ففزعوا وخافوا، وأدركوا أنه العذاب الذي توعدهم به نبيهم هود، ثم هبت عليهم الريح المدمرة التي ساقت ذلك السحاب، وكانت ريحاً شديدة قاتلة.

وقد فاجأتهم الريح فدمرتهم، فصاروا بعد الهلاك لا يرى إلا أثار مساكنهم، إذ اجتاحت الأموال، وأذهبت الأنفس، وجعلتها أثراً بعد عين.

وقد وصف القرآن الكريم الريح التي أهلك الله بها عاداً بأوصاف تثير الهلع في القلوب، والفزع في النفوس من شدتها وقوتها وهول عذابها، فقد وصفت بأنها، مدمرة، ذات صوت صاعق، شديدة الهبوب، ريح عقيم، ريح مستأصلة، هذه هي أوصاف الريح التي أرسلها الله تعالى على قوم عاد كما صورها القرآن الكريم، حيث جمعت بين قوة التدمير، وشدة العصف والبرد، وهي مع هذا عقيم لا خير يرتجى منها، سلطها الله تعالى على قوم جفاة متكبرين، كانوا يزعمون أنهم الأقوى لكن الله تعالى أبطل زعمهم، وأهلكهم وجعلهم كأعجاز النخل الخاوية الهشة الضعيفة، ودمر الله بنيانهم، وأفنى حضارتهم.

فانظر كيف كان عقاب عاد من جنس أعمالهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ [الفجر: ٦ – ٨]

"وسواء عماد بيوتهم وقصورهم فهو كناية عن طول أجسادهم ووفرة أموالهم، وتوافر القوة عندهم، فأخذوا بالريح وهو أرق وألطف ما يكون، مما لم يكونوا يتوقعون منه آية مضرة ولا شدة" (1)

وما هذه الريح إلا تذكيراً بقوة الله للناس التي لا تدانيها قوة، وتذكيراً للمسلمين بأن الله تعالى قوي عزيز يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، وأنه قادر على نصرتهم إذا ما توكلوا عليه حق التوكل، وأخلصوا دينهم له، فالريح هي من جند الله تبارك وتعالى.

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان (ج 442/8).

المطلب السادس: أخذ قوم صالح بالصاعقة

أرسل الله تعالى نبيه صالحاً عليه السلام إلى قبيلة ثمود، وكانت ثمود تعبد الأصنام، كقبيلة عاد من قبلها، فبعث الله إليهم رسولاً منهم يذكرهم نعم الله عليهم، ويأخذ بأيديهم إلى طريق الهداية والرشاد، وكانوا أهل خصب ووفرة ونعيم كما أخبر عنهم المولى جل وعلا: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٥٠]

فكانوا يعيشون في رخاء اقتصادي، وينعمون بالبساتين الزاهرة، والعيون الجارية، التي وصفها القرآن بالجنات، لجمالها وطيب العيش فيها، وكانوا كذلك يعيشون في تطور عمراني، فكانوا ينحتون الجبال، ويشكلونها قصوراً فارهة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤]

ورغم هذه النعم المحيطة بالقوم، والتي كان يجب أن تقابل بالشكر لله سبحانه وتعالى، لم يؤمن لصالح عليه السلام إلا نفر قليل من المستضعفين، وأما الكبراء فقد كذبوا وتكبروا على دعوة التوحيد، وكانوا يحاورون الضعفاء على وجه السخرية والاستهزاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥]

" مضت سنة الله تعالى بأن يسبق الفقراء المستضعفون من الناس إلى إجابة دعوة الرسل واتباعهم إلى كل دعوة إصلاح؛ لأنه لا يثقل عليهم أن يكونوا تبعاً لغيرهم، وأن يكفر بهم أكابر القوم المتكبرون، والأغنياء المترفون؛ لأنه يشق عليهم أن يكونوا مرؤوسين، وأن يخضعوا للأوامر والنواهي التي تحرم عليهم الإسراف الضار، وتوقف شهواتهم عند حدود الحق والاعتدال، وعلى هذه السنة جرى الملأ من قوم صالح"[1]

لقد طلب هؤلاء المستكبرون من صالح عليه السلام ما يشهد صدقه، فأيده الله بمعجزة الناقة التي كانت آية عظيمة تدل على قدرة الله تعالى، وقد حذرهم نبيهم من التعرض لها بسوء، وإلا عاجلتهم

---

(1) رضا، تفسير المنار (مج 448/8).

العقوبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴾ [هود: ٦٤]

لكن القوم وقعوا في المحظور، وخالفوا أمر رسولهم في عدم التعرض للناقة، فعقروها ما كان سبباً رئيسياً في إيقاع العقوبة بهم.

لما أصر القوم على الشرك، وعقروا الناقة، وحاولوا قتل صالح ﷺ، استحق القوم نزول العقوبات الإلهية عليهم بعد هذه الجرائم التي ارتكبوها، وبعد انقطاع الأمل بصلاحهم، بعدما جاهروا بالكفر والعصيان، كانت النتيجة أن صب عليهم سوط عذابه، وسلط عليهم جند انتقامه، وقد توعدهم صالح ﷺ بنزول العذاب عليهم بعد ثلاثة أيام من قتلهم للناقة كما أخبر الله تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴾ [هود: ٦٥]

وقد نزل بقوم ثمود ثلاث عقوبات، وهي الرجفة، والصاعقة، والصيحة

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٧٨ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٨ – ٧٩] قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٧]

فجاءتهم صيحة من السماء ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح، وزهقت الأنفس في ساعة واحدة، والمعنى فأختهم الزلزلة فأصبحوا في دارهم باركين على ركبهم، أو منكبين على وجوههم ميتين[1] لم تبق منهم باقية، خمدوا وهمدوا كما يهمد يبيس الزرع والنبات.

وقال تعالى: ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴾ [الذاريات: ٤٣ – ٤٥].

قال الزمخشري" والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار، قالوا تنقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه، وهي نار لطيفة حديدة، لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فأحرقت نحو النصف ثم طفئت"[2] .

(1) انظر: الفراء، معاني القرآن (ج384/1).

(2) الزمخشري، الكشاف (مج 118/1).

قال الشنقيطي" وأما ثمود فأخذوا بالصيحة الطاغية؛ لأنهم نادوا صاحبهم فتعاطى فعقر، فلمّا كان نداؤهم صاحبهم سبباً في عقر الناقة كان هلاكهم بالصيحة الطاغية"[(1)] فالجزاء من جنس العمل.

وهكذا أرسلت على القوم صيحة واحدة، فعلت بهم ما فعلت، مما جعلهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴾ [القمر: ٣١]"وقد صار القوم كالهشيم بعد هذه الصيحة، وهو مشهد مفزع مفجع، يعرض رداً على التعالي والتكبر، فإذا المتعالون المتكبرون هشيم، وهشيم مهين كهشيم المحتظر "[(2)]

وانظر إلى هذه اللمحة الخاطفة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٢ – ٨٤]

هذا الأمن في البيوت الحصينة في صلب الجبال، وهذه الصيحة التي تأخذهم فلا تبقي لهم مما جمعوا ومما كسبوا ومما بنوا ومما نحتوا شيئاً يغني عنهم ويدفع الهلاك الخاطف، هذه اللمحة التي تلمس القلب البشري لمسة عنيفة، فما يأمن قوم على أنفسهم أكثر مما يأمن قوم بيوتهم منحوتة في صلب الصخور، وما يبلغ الاطمئنان بالناس في وقت أشد من اطمئنانهم في وقت الصباح المشرق الوديع، فإذا كل شيء ذاهب، وإذا كل وقاية ضائعة، وإذا كل حصن موهوب، صيحة تلحقهم فتهلكهم في جوف الصخر المتين[(3)]

فليعتبر الطغاة بهؤلاء الهالكين، ولينظروا إلى سوء تدبير الخاسرين، لا بالناقة اعتبروا، ولا لتعويضهم اللبن شكروا، وعتوا عن النعم وبطروا، وأوعدوا بالعذاب فما حذروا، فكفروا وما شكروا فأقبلت النقم .

---

(1) الشنقيطي، أضواء البيان (ج 442/8).

(2) سيد قطب، في ظلال القرآن (ج 3433/6).

(3) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (ج 2151/4–2152).

المطلب السابع: إغراق فرعون وقومه

لقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى عبادة الله وحده، وإرسال بني إسرائيل مع موسى عليه السلام ليخرجوا من العبودية في مصر إلى الأرض المقدسة، لكن الكبر والعتو حال بين فرعون والإيمان، فلم تنفعه الآيات والمعجزات التي جاء بها موسى عليه السلام، فكذب وعاند، وادعى الربوبية والألوهية، وشايعه قومه في كفره وعناده، وكانوا بذلك يسعون إلى حتفهم ومصيرهم السيء.

عرض القرآن الكريم قصة الصراع بين موسى عليه السلام، وفرعون ومن معه من الملأ المستكبرين، وقد تعددت حلقات هذا الصراع، حلقة التحدي بالحجة والبرهان، وحلقة التحدي الذي وقع بين موسى عليه السلام وبين السحرة بأمر من فرعون، وقد استكبر فرعون على موسى عليه السلام.

لكن الله تعالى كان لفرعون وملئه الذين استكبروا بالمرصاد،" ولما بلغ ظلمه نهايته جاءت سنة الله وقضى الملك أن يخفض هذا الفرعون ويزول ملكه ويرفع هذه الأمة المستضعفة أمة بني إسرائيل، وإذا أراد الله أمراً هيأ له أسباباً حيث ولد موسى عليه السلام وتربى في قصر فرعون... ولما كبر موسى عليه السلام آتاه الله العلم والحكمة كما هو شأن كل الأنبياء، فنصح فرعون بلطف ولم ينتصح له كعادة الظالمين والمتجبرين في كل العصور، ثم جاءت النذر والإنذارات لفرعون وآله فتعاقبت عليهم المجاعات والسنون ونزل عليهم الدم وأذتهم كثرة القمل والضفادع وآكل حرثهم الجراد.. وحتى أخذهم الطوفان وأغرقوا في اليم وهو مليم، ولما تمت الحجة ولم يبق للظالمين عند الله عذر سقطت الحضارة الفرعونية، وهلك فرعون وآله استئصال وتلك عاقبة الظالمين"[(1)]

وقد عاقب الله فرعون وقومه بسبع من العقوبات ولكن سورة العنكبوت تعرضت بالإجمال إلى الغرق، بعد أن استمر القوم في الكفر والضلال، وبعد أن نسبوا الفضل في الإنعام والرزق لأنفسهم، لا إلى الله تعالى أنزل الله تعالى عليهم عقوبة الطوفان والغرق في اليم الذي غشيهم، وأفسد عليهم عيشهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]

ومن اللطيف ذكره ان الله تعالى قد أرسل عليهم الطوفان الجارف، بعد سنين القحط والجفاف التي كانوا يتمنون فيها الماء، ليتخلصوا من الجفاف العارم الذي اجتاح البلاد، وأرسل الله تعالى إليهم الماء الذي طال انتظاره، لكن لا لينجيهم من القحط والجدب، وإنّما ليتسبب في كارثة أخرى تنضم إلى الكوارث السابقة، ليدمر ما تبقى من ثمارهم ودورهم وبساتينهم، عقوبة لهم وزجراً لهم عن غيهم.

---

(1) المودودي، نحن والحضارة الغربية (ص74)م.

لقد علا فرعون في الأرض، تجبر وطغا وبغى وآثر الحياة الدنيا، وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم، وهم بنو إسرائيل.

يقدر الطاغوت شيئاً، ويقدر الله شيئاً غيره، والله يريد غير ما يرد فرعون.

وإرادة الله وقدرته تتحدى، تتحدى بطريقة مكشوفة فرعون وهامان وجنودهما، فها هو موسى عليه السلام الذي لم يكن مرباه إلا في دار فرعون، كان لهم سبب الدمار والهلاك والعقوبة، ليعلم أن الله هو الفعال لما يريد، وأنه هو القوي الشديد.

إن فرعون لما كان يتباهى ويقول: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١]

فكان الطوفان والغرق بالماء من جنس ما كان يفتخر به فرعون، ولكنه اليوم متلف للزروع والثمار، فقد كان يتطاول بهذه النهار فجعل الله هلاكه من جنسها .

"أبى فرعون إلا أن يدوم جحوده وعناده، فأغرقه الله في البحر، كما أغرق قلبه في بحر الكفر "[1] لقد ضاعت عزة فرعون واقتداره على البغي والظلم، ضاعت العزة الباطلة، وسقط الاقتدار الموهوم، وأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، أخذهم أخذاً شديداً يناسب ما كانوا عليه من ظلم وبطش وجبروت، وقد جعل الله ما حل من إنتقام فرعون وقومه بإغراقهم آية للعظة والعبرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٧]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢]

---

(1) القشيري، لطائف الإشارات (ج 54/5).

الفصل الثالث

الغيبيات

المبحث الأول: الملائكة والكتب السماوية

المطلب الأول: تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً

تعريف الملائكة لغةً :

"جمع ملك، والملك واحد الملائكة أصله مألك من الألوكة؛ ثم تصرفوا في لفظة لتخفيفه فقالوا: ملأك ثم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة فقالوا: ملك جمعه ملائك وملائكة والألوكة هي الرسالة"(1).

"ومنه قول العرب: الفرس يألك باللجام ويعلكه، إذا مضغ الحديدة، وقولهم: ألكني إلى فلان، بمعنى أبلغ رسالتي إليه"(2).

تعريف الملائكة اصطلاحاً:

" مخلوقون من النور، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، ميسرون للطاعات معصومون من المعاصي مسخرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، أمناء على الوحي في حفظه وتبليغه"(3) .

فالملائكة عباد مكرمون خلقهم الله من نور يسبحون بالليل والنهار ولا يفترون ولا يسأمون ولا يستكبرون، ولا يعلم عددهم إلا الله، اختارهم الله لعبادته وتنفيذ أوامره، وأعطاهم القدرة على ذلك، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون .

والملائكة هم سفراء الله إلى أنبيائه ورسله في تبليغ الوحي والشرائع، والملائكة هم رسل الله إلى الأرض، فهم الذين يبلغون الشرائع وينفذون الأوامر من الله تعالى، وهم أقوياء أشداء، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

---

(1) المعجم الوسيط (مج 24/1)، وانظر لسان العرب (مج 535/1)، تاج العروس (ج 48/27).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (132-133).

(3) الصهناجي، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (ص98) .

المطلب الثاني: الملائكة من خلال السورة

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان المؤمن إلا به، وقد خلق الله الملائكة من نور فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خُلِقَتْ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ) [(1)].

ووصفهم سبحانه بأنهم يخافونه، ولا يعصونه، ويفعلون ما يؤمرون به، قال تعالى﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠]

وقال سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦]

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل)عليه السلام ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالًا .

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور، وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة.[(2)]

وقد وردت الإشارة إليهم في هذه السورة بقوله سبحانه﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣١ - ٣٣]

---

(1) [مسلم : صحيح مسلم ، الزهد والرقائق / في أحاديث متفرقة، 2294/4 رقم الحديث 2996]

(2) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص 64).

من خلال ما ورد في السورة من ذكر الملائكة مع لوط وإبراهيم عليهما السلام يتبين:

1. أن الملائكة قادرة على المجيء في صورة بشر، وذلك واضحاً من خلال ما جاؤوا لإبراهيم عليه السلام فلم يعرفهم حتى كشفوا عن حقيقتهم.
2. وجاؤوا على لوط عليه السلام في صورة شباب حسان الوجوه، وضاق لوط بهم وخشي عليهم من قومه فقد كانوا قوم سوء يفعلون السيئات ويأتون الذكران من العالمين.
3. من وظائف الملائكة إهلاك الأقوام الظالمة وذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ويتبين ذلك من خلال إهلاكهم لقوم إبراهيم ولوط عليهما السلام.
4. "وعلمهم يسبق علمنا وذلك بأمر الله سبحانه وتعالى ويتبين ذلك عندما قال: إبراهيم عليه السلام للملائكة: إن في القرية التي تريدون إهلاكها لوطاً، وليس هو من الظالمين، قال الملائكة نحن أعلم بمن فيها، "وإنما كان الملائكة أعلم من إبراهيم بذلك لأن علمهم سابق على علمه؛ ولأنه علم يقين مُلقى من وحي الله فيما سخر له أولئك الملائكة إذ كان إبراهيم لم يوح الله إليه بشيء في ذلك، ولأنه علم تفصيلي لا إجمالي، وعمومي لا خصوصي"[(1)]

ولم يرد تفصيل في شأنهم، وإنما دل القرآن في غير هذه السورة على وجوب الإيمان بهم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

فلا يتم الإيمان إلا بالإيمان بهم، قال تعالى:﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]

والآية الواردة في السورة تدل على أنهم رسل من رسل الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، حيث أرسلهم الله سبحانه وتعالى لإهلاك قوم لوط حينما عصوا أمر الله.

والله سبحانه وتعالى كلفهم بأعمال مختلفة حسب ما يؤمرون به، لا يفترون عن عبادة الله كما قال سبحانه:﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (مج 10/ 490).

ويجب على المؤمن الإيمان والاعتقاد الجازم بأن لله تعالى خلقاً أسماه الملائكة، خلقهم من نور، ومنهم من أعطاه الله قدره على التمثل بأنواع مختلفة الشكل بإذن الله تعالى مناسبة للحال التي يأتون فيها[1]

ونحن نؤمن بهم على سبيل الإجمال، فنؤمن بمن أخبرنا الله عنهم كجبريل وميكال وإسرافيل ومالك، وملك الموت، وملك الجبال وغيرهم ممن أخبرنا الله عنهم ونؤمن بهم إجمالاً.

---

(1) انظر: فقيهي، مناهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان (ص21).

المطلب الثالث: موت الملائكة

الملائكة يموتون كما يموت الإنس والجن، وقد جاء ذلك صريحاً من خلال الآيات القرآنية، قال تعالى من خلال السورة﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]، و﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨]، وكذلك عموم قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن: ٢٦]

فالملائكة تشملهم الآية، لأنهم في السماء، فهذه النفخة الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء، ويقول الله –عز وجل–: لمن الملك اليوم؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول(لله الواحد القهار).[1]

ومما يدل على أنهم يموتون قوله تعالى:﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨]

قال ابن كثير: " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا" [2]

و عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهمَّ إني أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تضلني، أَنْتَ الحي الذي لاَ يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ)[3].

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: هل جميع الخلق حتى الملائكة يموتون ؟

---

(1) انظر: الأشقر، عالم الملائكة الأبرار (ص 12).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 273/4).

(3) [مسلم : صحيح مسلم ، الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ، 2086/4 رقم الحديث 2717]

فأجاب: " الذي عليه أكثر الناس أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة، وحتى عزرائيل ملك الموت ، والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه، وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة أتباع أرسطو وأمثالهم، ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أو اليهود والنصارى، كأصحاب رسائل إخوان الصفا وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس، وأنه لا يمكن موتها بحال، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم"[1].

والقرآن وسائر الكتب تنطق بأن الملائكة عبيد مدبرون كما قال سبحانه: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [النساء: ١٧٢] ، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ، وقال: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]، والله سبحانه قادر على أن يميتهم ثم يحييهم، كما هو قادر على إماتة البشر والجن ثم إحيائهم، وقد قال سبحانه ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧] [2].

فنقول وبالله التوفيق أنه من خلال ما تقدم من آيات وأحاديث، أن الملائكة تموت ولكن الدليل إنما أثبت موتهم يوم النفخ في الصور، وأما قبل ذلك فلا علم لنا به، وما لا علم لنا به فالواجب حتمًا فيه أن نقول: لا نعلم، والله تعالى أعلم .

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج 259/4).

(2) انظر: المرجع السابق (ج 259/4).

المطلب الرابع: الكتب السماوية وأهمية الإيمان بها

الكتب لغة:

قال ابن فارس: الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، يقال كتبت الكتاب أكتبه كتباً، وكتب الكتاب كتباً.[1]

الكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، مثل فراش بمعنى مفروش، وإله بمعنى مألوه، وغراس بمعنى مغروس.

"ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، وسمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض، ومنه الكتيبة من الجيش سميت كتيبةً؛ لاجتماعها، وانضمام بعضها إلى بعض، ومنه تسمية الخياط كاتباً؛ لأنه يجمع أطراف الثوب إلى بعض"[2] .

"والكتاب: الصحف المجموعة، والرسالة، جمعه كتب كالقرآن والتوراة والإنجيل"[3] .

والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها، ويعبر عن الإثبات، والتقدير والإيجاب، والفرض، والقضاء بالكتابة، ووجه ذلك أن الشيء يراد، ثم يقال، ثم يكتب، فالإرادة مبدأ، والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد به توكيده بالكتابة التي هي المنتهى، ويعبر بالكتاب الحجة الثابتة من جهة الله ومنه قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨] ويعبر عن الإيجاد، وعن الإزالة، وعن الإفناء بالمحو، وغير ذلك، وأمثلة الكل في القرآن[4].

الكتب اصطلاحاً:

"أما في الشرع: فالمراد بها الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله؛ رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة"[5].

---

(1) انظر : ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (مج 158/5).

(2) الحمد، رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة (ج 5/ 1).

(3) مصطفى، الزيات، وأخرون، المعجم الوسيط (مج 775/2،774).

(4) انظر: الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (مج 423/1).

(5) ابن عثيمين، رسائل في العقيدة (ص23).

"فالإيمان بالكتب هو التصديق بكل ما أنزل الله على الأنبياء من الكتب، والصحف المتضمنة للوصايا، والحكم والأحكام، والشرائع، والآداب، والخلاق، والكتب: هي التوراة والزبور، والإنجيل، والقرآن، وأما الصحف فهي: صحف إبراهيم وموسى"(1).

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ ، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، والزبور الذي أوتيه داود عليه السلام وأما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صح من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء(2).

أهمية الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب الإلهيّة المنزلة جزءٌ لا يتجزّأ من منظومة الإيمان الكليّة، لا يكتمل ولا يتحقّق إلا بها، قال الله سبحانه وتعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه مادحاً المؤمنين: ﴿وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ [آل عمران: ١١٩] أي بالكتب كلّها، وفي خطابٍ إلهي آخر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦] فقد قرن سبحانه الإيمان بكتبه بالإيمان به، وجعل عاقبة الكفران بها كعاقبة الكفران به، سواء بسواء.

فالإيمان بالكتب أصل من أصول العقيدة، وركن من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله عليهم السلام .

---

(1) الزحيلي، التفسير الوسيط (مج 168/1).

(2) انظر: ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص 66).

وقد أثنى الله ﷻ على الرسل الذين يبلغون عن الله رسالاته فقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كما أخبر سبحانه أن الرسول والمؤمنون آمنوا بما أنزل من عند الله من كتب، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]،ومما يدل على أهميته أن الله أمر المؤمنين بأن يؤمنوا بما أنزله كما في قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

ومما يدل على أهميته أن الله أهلك الأمم بسبب تكذيبهم برسالاته، كما أخبر الله عن صالح بقوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩].

كذلك من أنكر شيئاً مما أنزل الله فهو كافر كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]. (1)

"ولقد أنزلت الكتب السماوية كلُّها لغايةٍ واحدةٍ، وهدف واحد وهو أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها"(2) .

---

(1) انظر: الحمد، رسائل الشيخ في العقيدة (ج5/ 3).

(2) الأشقر، الرسل والرسالات (ص235).

المطلب الخامس: الكتب السماوية من خلال السورة

لقد ورد ذكر الكتب بالإشارة إلى وجوب الإيمان بما أنزل من عند الله، وهو قوله سبحانه:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومعلوم أن اهل الكتاب هم اليهود والنصارى[1] وهم الموجودون حين بعثة النبي ﷺ ، وكتبهم هي التوراة والإنجيل.

وذكر الله سبحانه وتعالى في السورة القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥ – ٤٧]

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ – ٥١]

ومن خلال هذه الآيات يتبين أن الكتب السماوية هي:

القرآن العظيم: وهو كتاب الله الذي أنزله على نبينا محمد ﷺمصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وهو آخر كتب الله نزولا وأشرفها وأكملها، والناسخ لما قبله من الكتب وقد كانت دعوته لعامة الثقلين من الإنس والجن، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾[المائدة: ٤٨] [2].

التوراة: وهي كتاب الله الذي أنزله على كليمه موسى عليه السلام[3]، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ

(1) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (مج21/1).

(2) انظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ج 136/1).

(3) انظر: المرجع السابق (ص133).

عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]

الإنجيل:وهو كتاب الله الذي أنزله على عيسى ابن مريم عليهما السلام[1]، قال تعالى﴿ **وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة: ٤٦]

الزبور: وهو كتاب الله الذي أنزله على داوود عليه السلام[2] ، قال تعالى﴿ **وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا** ﴾ [الإسراء: ٥٥]

الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام والتي أخبر عنها بقوله﴿ **أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ** ﴾ [النجم: ٣٦ – ٣٧][3]

كيفية الإيمان بالكتب السماوية:

إن الإيمان بالكتب من أركان العقيدة الإسلامية الستة، ودعامة من دعائمها الأساسية التي لا تقوم العقيدة إلا بالإيمان بها كلها، فكما أنزل القرآن، فقد أنزل من قبله كتباً، وسماها لنا، فيجب الإيمان بالكتب وتصديقها كلها، فالإيمان بها يكون إجمالاً، وتفصيلاً فيجب الإيمان على التفصيل بما سماه الله منها في القرآن الكريم.

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على سائر الرسل ولم يخبرنا الله تعالى بأسمائها وإنما جاء الخبر في كتاب الله ان لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها إلى قومه قال تعالى:﴿ **كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ** ﴾ [البقرة: ٢١٣]

فالواجب الإيمان بهذه الكتب التي لم تسم إجمالاً، كما يجب الإيمان بان هذه الكتب نزلت بالحق والنور والهدى، وتوحيد الله – سبحانه– في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، وما ألصق بها

---

(1) انظر: نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص143).

(2) انظر: المرجع السابق (ص135).

(3) انظر: المرجع نفسه (ص135).

مما يخالف ذلك إنما هو من تحريف البشر الذين يحرفون الكلم عن مواضعه بسبب ما علق بقلوبهم من مرض الإلحاد.

يقول شارح الطحاوية: "وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه من التوراة، والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله، وأما الإيمان بالقرآن فالإقرار به، واتباع ما فيه، ذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب، فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أتتهم من عند الله، وأنها حق، وهدى، ونور، وبيان، وشفاء "[1]

وقد بين الكتاب والسنة أن الإيمان بالكتب أحد أركان الإيمان الستة قال تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] "فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته"[2]

وقد أوجب الحق سبحانه في كتابه الإيمان بجميع الكتب السماوية قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

فهذه الآية تدل على وجوب الإيمان بالكتب على وجه العموم وبالقرآن على وجه الخصوص .

ومما تقدم يتبين أن الإنسان مطالب بالإيمان بالكتب السماوية السابقة من حيث أنها نزلت من عند الله تعالى، وأن الانقياد بها كان فرضاً على الأمم التي نزلت إليها تلك الكتب، كما يجب الإيمان بأن تلك الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا، ويجب الإيمان أن القرآن الكريم نسخ ما في التوراة والإنجيل قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

(1) الحنفي، شرح الطحاوية (ص350).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 608/1).

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالإيمان بالكتب السابقة إيمان مجمل، يكون بالإقرار بها بالقلب، أما القرآن، بالإقرار به بالقلب واللسان أولاً ثم باتباع كل ما جاء به، وتحكيمه في كل كبيرة وصغيرة في حياة الأمه، مع الاعتقاد الجازم بأنه كلام الله منزل وغير مخلوق.

والإيمان كذلك بأن كل ما قبل القرآن منسوخ، وأن القرآن مهيمن على جميع الكتب التي سبقته، وأن فيه الكفاية قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥١]

فالواجب على المسلم الإيمان بالكتب وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً مشتملة على هدى العباد مبينة لهم ما يصلح دينهم ودنياهم موضحة ما عليهم من واجبات وما لهم من أجور، والتفريق بين الكتب السماوية هو تفريقٌ بين الرسالات، وبين المُرسَلين، بالرغم من أن الذي أرسلهم واحد، ولذلك كان الإيمان الشامل بهذه الكتب هو العقيدة التي ينبغي أن يرتكز عليها المؤمن، ولا يُقبل منه سواها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٦ – ١٣٧] ، وكذلك في تعالى: ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٨٤] فالموضعان القرآنيّان يُشدّدان على ضرورة الإيمان بهذه الكتب جميعاً دون التفريق بينها، وجعل هذه المنظومة الإيمانيّة هي سبيل الهُدى الأوحد، الموصل إلى رضوان الله وغفرانه: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾[البقرة: ١٣٧]، والإخلال بهذه العقيدة بل بجزءٍ منها، مجافاةٌ لصراط الله المستقيم، ومحادّاةٌ لله ورسوله، فعاقبتها الشقاق والاختلاف، والتنازع والافتراق، ومجانبةٌ للحق، فالواجب هو الإيمان بجميع الكتب التي أرسلها الله على أنبيائه وعدم التفريق بينها.

المطلب السادس: التوراة والإنجيل والقرآن من مشكاة واحدة

أنزلت الكتب السماوية كلُّها لهدف واحد، وهدف واحد وهو أن يُعْبَدَ الله وحده لا شريك له، ولتكون منهج حياة للبشر الذين يعيشون في هذه الأرض، تقودهم بما فيها من هداية إلى كل خير، ولتكون روحاً ونوراً تحيي نفوسهم، وتكشف ظلماتها، وتنير لهم دروب الحياة كلها.

التوراة والإنجيل والقرآن من مصدر واحد، من مشكاة واحدة.

تتفق الكتب السماوية في أمور عديدة منها:

1_ وحدة المصدر: فمصدرها واحد؛ فهي منزلة من عند الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ١ – ٤].

2_ وحدة الغاية: فالكتب السماوية غايتها واحدة، فهي كلها تدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى دين الإسلام؛ فالإسلام هو دين جميع الرسل عليهم الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: ٣٦]، فالغاية: هي الدعوة إلى دين الإسلام، وإلى عبادة الله وحده لا شريك له.

3_مسائل العقيدة: فالكتب اشتملت على الإيمان بالغيب، ومسائل العقيدة، كالإيمان بالرسل، والبعث والنشور، والإيمان باليوم الآخر إلى غير ذلك، ومسائل العقيدة من باب الأخبار التي لا تنسخ.

4_القواعد العامة: فالكتب السماوية تقرر القواعد العامة، التي لابد أن تعيها البشرية؛ كقاعدة الثواب والعقاب، وهي أن الإنسان يحاسب بعمله، فيعاقب بذنوبه وأوزاره، ولا يؤاخذ بجريرة غيره، ويثاب بسعيه، وليس له سعي غيره كما قال تعالى: ﴿ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٦ – ٤١]، ومن ذلك الحث على تزكية النفس، وبيان أن الفلاح الحقيقي لا يتحقق إلا بتزكية النفس بالطاعة لله، والعبودية له، وإيثار الآجل على العاجل.

ومن تلك القواعد أن الذي يستحق وراثة الأرض هم عباد الله الصالحون؛ ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]

ومن ذلك أن العاقبة للتقوى وللمتقين، كما قال تعالى: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[طه: ١٣٢]

5_العدل والقسط: وهذا من مواطن الاتفاق؛ فجميع الأنبياءعليهم السلام حملوا ميزان العدل والقسط، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[الحديد: ٢٥]

6_محاربة الفساد والانحراف: وهذا ما اتفقت عليه الرسالات؛ سواء كان الفساد عقدياً أو خلقياً، أو انحرافاً عن الفطرة، أو عدواناً على البشر، أو تطفيفاً في الكيل والميزان، أو غير ذلك.

7_الدعوة إلى مكارم الأخلاق: فالكتب كلها دعت إلى مكارم الأخلاق، كالعفو عن المسيء، وكالصبر على الأذى، وكالقول الحسن، وبر الوالدين، والوفاء بالعهد، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، والتواضع، والعطف على المساكين، إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق.

8_كثير من العبادات: فكثير من العبادات التي نقوم بها كانت معروفة عند الرسل وأتباعهم، كالصلاة، والزكاة، ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]. [1]

(1) انظر: الأشقر، الرسل والرسالات (234،243،249).

المطلب السابع: بيان القرآن لتحريف اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل

ومن أصول الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى "القرآن الكريم "هو آخر كتب الله نزولًا، وأنه ناسخ لكل كتاب أُنزل من قبل من التوراة، والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبقَ كتابٌ يُتَعَبَّدُ به سوى "القرآن الكريم ."قال الله تعالى :﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[المائدة: ٤٨]

ويجب الإيمان بأن "التوراة "و"الإنجيل "قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم.

فالإيمان بالكتب السابقة المنزلة على الرسل لا يقتضي إقرار ما يوجد بأيدي اليهود والنصارى من التوراة والإنجيل، فإنها بدلت وحرفت، والذي لم يصل إليه التحريف نسخ بالقرآن .

والكتب السماوية السابقة أصابها التحريف، والتبديل، والتغيير، قال تعالى عن اليهود الذين نزلت عليهم التوراة :﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ﴾[المائدة: ٤١]

قال ابن كثير: " الصحيح أنها نزلت في اليهوديَّين اللَّذَين زنيا، وكانوا قد بدَّلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم، فحرَّفوا واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة جلدة، والتحميم، والإركاب على حمار مقلوبين" [1].

يقول الله تعالى :﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾[المائدة: ١٣]، وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨]

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (220/5).

فمن أدلة تحريف التوراة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

"إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب، والقائلون هم: اليهود بدليل ما بعده، وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار نبوة محمد ﷺ، وروي أن الذي قالها منهم مالك بن الضيف، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لا بد لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى"[1] .

وقال تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]

فقال تعالى في حق اليهود وتحريفهم للتوراة﴿ ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]

فتحريفهم إياها" بجعلهم الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله، وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب، فهو فيه محق، وإن جاء أحد يسألهم شيئاً ليس فيه حق ولا رشوة أمروه بالحق"[2]

وقد كان هذا التحريف بالزيادة تارة وبالنقص تارة أخرى، فدليل الزيادة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] .

ودليل النقص قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥] . وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

---

(1) ابن جزى، التسهيل لعلوم التنزيل (ج 1/ 268).

(2) الطبري، جامع البيان (مج 1/ 423).

"أما إنجيل النصارى فهو – أيضاً – لم يسلم من التحريف والتبديل، قال تعالى :﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾" [البقرة: ٧٩] [1]

ودليل تحريف الإنجيل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ١٤]، قال بعض أئمة التفسير في تفسير الآية الأخيرة: "أي يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه وافتروا على اللهّ فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولا فائدة في بيانه"[2]

فدلت هذه الآيات على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل، ولهذا اتفق علماء المسلمين على أن التوراة والإنجيل قد دخلهما التحريف والتغيير .

ويعترف النصارى بأن الإنجيل كتاب نزل من عند الله على عيسى عليه السلام إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بهذا الإنجيل كاملاً أو ناقصاً ولا حتى بصورة منه، والأناجيل الموجودة الآن ليست هي النص المطابق للإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام لأن الإنجيل الصحيح كان قد فقد الكثير منه – إن لم يكن كله – قبل كتابة الأناجيل الموجودة حالياً، وذلك لما لحق بالنصارى في ذلك الوقت – وكانوا قلة– من قتل وتحريق وتعذيب وتشريد، مما كان له أثر في ضياع الإنجيل المنزل على عيسىعليه السلام وقد أدى قلة عددهم وخوفهم من العذاب واستتارهم بدينهم ومن ثم تقلص الدعوة وعدم ذيوعها وشيوعها بين بني إسرائيل.

وقد أثبت المحققون من العلماء أن الكتاب المقدس(الجامع للعهدين القديم والجديد) ليس لأي سفر من أسفارهما سند متصل، يصحح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو الرسل أو غيرهم[3] .

وإلى جانب التحريف فإن هناك وسائل أخرى ذكرها القرآن الكريم لا تقل خطورة في تأثيرها عن التحريف والتبديل، ومن هذه الوسائل ما يلي:[4]

---

(1) نخبة من العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص 179).

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 3 / 63).

(3) انظر: العمار، أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة "رسالة دكتوراه (ص437).

(4) انظر: قدح، الأسفار المقدسة عند اليهود وأثرها في انحرافهم عرض ونقد (ص 320 – 321– 322).

1- **الإخفاء :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا** ﴾[الأنعام: ٩١]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ** ﴾[المائدة: ١٥]

2- **الكتمان :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤٦] ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٨٧

3- **إلباس الحق** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ آل [عمران: ٧١] ، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٢].

4- **الكذب والتكذيب :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ** ﴾ [آل عمران: ٩٣]، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٥]

5- **لوي الألسنة بالكتاب :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٧٨]

6- **التعطيل :المقصود به تعطيل أحكام التوراة والإنجيل وعدم إقامتها والعمل بها.** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٦٦] ، و قَالَ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٦٨]. و قَالَ تَعَالَى: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾ [الجمعة: ٥]

7- **الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾[البقرة: ٨٥].

8- **الإهمال :** قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٠١] وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ**

﴿ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

9- **التزوير**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] وتوضح هذه الوسائل مجتمعة الطرق التي تحوّلت بها التوراة والإنجيل وغيرها من كتب إلهية سماوية إلى كتب بشرية خطها رجال الدين من اليهود والنصارى بأيديهم.

المطلب الثامن: الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن لغة:

أولاً: تعريف القرآن لغة:

من قَرَأَ يَقْرَأُ قَرْءاً وقِراءَةً وقُرآناً، فَهُوَ مَقْرُوءٌ، والقُرآن الْجَمْعِ، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدْ قَرَأْتَه، وَسُمِّيَ القرآن قُرْآناً، لأَنه يَجْمَعُ الآيات والسُّوَر، وما فيه من القصَص، والأمْر وَالنَّهْيَ، والوْعد وَالْوَعِيدَ، فيَضُمُّها. وَهُوَ مَصْدَرٌ كالغُفْران والكُفْران. [1]

وقيل: " وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[القيامة: ١٧]، أَي جَمْعَه وقِراءَته، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أَي قِراءَتَهُ."[2]

"وقد ذهب بعض النَّاس إِلَى أَن الْقُرْآن هُوَ اسْم علم غير مُشْتَقّ خَاص بِكَلَام الله، فَهُوَ غير مَهْمُوز."[3]، وروي عن الشافعي أنه كان يقول:" القُران اسْمٌ، وَلَيْسَ بِمَهْمُوزٍ، وَلَمْ يُؤْخذ مِنْ قَرأْت، ولكنَّه اسْمٌ لِكِتَابِ اللَّهِ مِثْلُ التَّوْرَاةِ والإِنجيل، ويَهمز قرأْت وَلَا يَهمز القرانَ، كَمَا تَقُولُ إِذَا قَرَأْتُ القُرانَ". [4]

ثانياً: تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً:

"هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد ﷺ بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل" [5].

---

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب (مج 128/1)- النهاية في غريب الحديث والأثر (ج 4 /30).

(2) ابن منظور، لسان العرب (مج 128/1).

(3) الكفوري، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية (ص720).

(4) ابن منظور، لسان العرب (مج 129/1).

(5) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ج 1 / 172)- القطان، مباحث في علوم القرآن (ص21)- القاسمي، وقواعد التحديث (ص65).

فيجب الإيمان بذلك والإيمان كذلك بأن كل ما قبل القرآن منسوخ، وأن القرآن مهيمن على جميع الكتب التي سبقته، وأن فيه الكفاية قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[العنكبوت: ٥١]

القرآن ناسخ[1] لجميع الكتب السماوية السابقة:

شاء الله تعالى أن ينسخ الكتبَ السابقة كلها، وينزل كتابه الأخير ليبقى في الأرض إلى قيام الساعة وهو القرآن.

وكان كل رسول من السابقين يرسل إلى قومه خاصة، بينما بعث الرسول محمد ﷺ إلى البشرية كافة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وكذلك كانت الكتب السابقة تنزل لأقوام معينين بينما أنزل القرآن للناس كافة :قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القلم: ٥٢]

لذلك اقتصت مشيئة الله أن ينسخ هذا الكتاب الكامل ما سبقه من الكتب جميعاً ويهيمن عليهاقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [المائدة: ٤٨] ولم يعد يقبل من أحد أن يستمسك بما سبق من الكتب ويرفض القرآنقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٨]، قال ابن كثير: قل يا محمد ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ [المائدة: ٦٨] أي: من الدين ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[المائدة: 68] أي: حتى تؤمنوا بجميع ما بأيديكم من الكتب المنزلة من الله على الأنبياء، وتعملوا بما فيها ومما فيها الأمر باتباع محمد ﷺ والإيمان بمبعثه، والاقتداء بشريعته، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى :﴿ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ آل [عمران: ١٩٩] يعني: "القرآن العظيم" [2].

---

(1) النسخ: هو أن يرد دليل شرعي متراخيًا عن دليل شرعي– الجرجاني –التعريفات (ص240).

(2) انظر: شاكر، مختصر تفسير ابن كثير (ج 711/1).

ثم إن إقامة التوراة والإنجيل بالنسبة لأهل الكتاب المخاطبين بهذه الآية معناها: الإقرار بوحدانية الله؛ ذلك أن التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله يقرران هذه الوحدانية تقريراً جازماً، ولكن أهل الكتاب حرفوهما، فالمطلوب منهم هو إقامتها مرة أخرى؛ أي الرجوع إلى أصل التوحيد، ثم إن التوراة والإنجيل قد ذكرا محمداً ﷺ وأمرا باتباعه عند ظهوره؛ فإقامتهما معناها: الإيمان بالرسول محمد ﷺ وما نزل عليه من وحي أي الإسلام :قَالَ تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩]، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

أما القرآن العظيم فهو سليم مما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل، وهو محفوظ من ذلك بحفظ الله له، وصيانته إياه، كما أخبر عن ذلك بقوله:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] "أي حافظوه من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"[1] كما أخبر عن إتمام القرآن وتنزيهه عن كل باطل في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢][2]

ظهور إعجاز[3] القرآن الكريم على مدار الأزمنة :

كانت الرسالة– الكتب المنزلة– على الرسل السابقين منهجاً وتشريعاً فقط وكانت معجزة النبي أو الرسول شيئاً آخر؛ فمثلاً: كانت التوراة منهجاً تشريعياً لقوم موسى، وكانت معجزة العصا، وهكذا بقية الأنبياء عليهم السلام كانت رسالتهم شيئاً، وبيناتهم شيئاً آخر، ما عدا القرآن الكريم فقد جعله الله منهجاً تشريعياً للناس، وهو في نفس الوقت اعظم معجزات النبي الخاتم محمد ﷺ ، قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٩]

وإضافة إلى كونه تشريعاً لهذه الأمة فقد حوى علوماً كثيرة كعلم الغيب الماضي والحاضر في زمن الرسول محمد ﷺ، والمستقبل – وتحدث كذلك عن الكون وما جرى ويجري فيه

---

(1) الطبري، جامع البيان (مج 12/14).

(2) الشحود، المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام (ج 6/ 30).

(3) هو: ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولتها، على شدة الإنسان واتصال عنايته في ذلك، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدمه. (مصطفى البغا، الواضح في علوم القرآن) (ص101).

من أحداث: سواء ما يتعلق بالسماء وما فيها من المجرات، والكواكب والنجوم، وجريان كل جرم في مساره وفق تقدير إلهي متقن من قبل الخالق سبحانه، وعجائب السحب، والأمطار، والفلك، والبحار، والنهار إلى غير ذلك من العلوم التي تقنع كل إنسان أن العلم المثبوت في هذا القرآن الكريم لا يمكن أن يكون إلا من الله الذي يعلم السر في السموات والأرض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦]، وانه لا يمكن أن يكون من قول البشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٢]، وذلك ان كلام الله يتطابق مع ما خلق في الكون، ولا يمكن أن يكون هناك أي تعارض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]، والبشر كلهم يعجزون عن معرفة ما حوى من علم الغيب وهو بذلك يشهد أيضاً أن الذي جاء بهذا القرآن هو رسول من الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]

وظهور معجزة القرآن على مدار الزمنة، وتجددها بتجدد الزمان يشهد بعموم رسالة سيدنا محمدﷺ إلى الناس جميعاً، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص: ٨٧ – ٨٨]

وأنّه عليه أفضل الصلاة ، وأزكى التسليم هو النبي الذي يجب أن يتبعه كل الناس لظهور معجزته التي حوتها رسالته، والمتمثلة في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في كل زمان، لكل جيل من أجيال البشر، ولعدم إمكانية ظهور معجزة غيره من الأنبياء لأن جميع معجزاتهم كانت حسية ورسالاتهم كانت خاصة بأقوامهم، فانتهت معجزاتهم بانتهاء تلك الأمم.

خصائص القرآن الكريم[1]:

لقد ختم الله ﷻ الكتب السماوية بخير كتاب أنزل وهو القرآن الكريم، وقد اجتمع في القرآن الكريم من المزايا والخصائص ما ليس في غيره من الكتب السماوية، **ومن هذه الخصائص ما يأتي:**

1. **إعجازه والتحدي به:** فالقرآن الكريم معجز في ألفاظه ومعانيه وعلومه، فلا يقدر أحد على معارضته، ذلك لأنه من لدن حكيم عليم، ولقد تحدى الله سبحانه وتعالى الخلق على الإتيان بمثله أو بعشر سور مثله، أو بسورةٍ من مثله، وقد ثبت عجزهم في ذلك[2].

وقد أمر الله تعالى من ارتاب في هذا القرآن الذي نزله على نبيه محمد ﷺ أن يأتي بسورة واحدة من مثله، وهذا يتناول أقصر سورة كما عليه العلماء[3] .

---

(1) هي: جمع خصيصه، والخصيصه: الصفه التي تميز الشيء وتحدده، وهي تشمل أيضاً الاصطفاء والاختيار والانفراد بالشيء- (انظر: المعجم الوسيط- إبراهيم مصطفى، وأخرون- (238/1).

(2) انظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم (ص95).

(3) انظر: النيسابوري، غرائب ورغائب الفرقان (مج 583/3).

والقرآن الكريم مشتمل على وجوه كثيرة من الإعجاز شارك فيها غيره من الكتب المنزلة، وهو في الجملة المعجزة العظمى وحجة الله البالغة الباقية التي أيد بها نبيه ﷺ إلى قيام الساعة.

2. **نزوله مرتين:** يختلف القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية في أنه أنزل مرتين، مرة جملة واحدة، ومرة مفرقاً، أما سائر الكتب السماوية فإنها أنزلت جملة واحدة، والنزول الأول للقرآن الكريم هو نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وتوقيت هذا النزول كان في شهر رمضان، وهو ما أفاده قوله تعالى في سورة البقرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وتحديداً في ليلة القدر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، ثم نزل به جبريل ﷺ على محمد ﷺ مفرقاً على حسب الوقائع والأحداث في نيف وعشرين سنة، وهذا هو الإنزال الثاني[1] .

3. **عموم دعوته:** "من الخصائص التي يتميز بها القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية أنه أنزل لهداية الخلق كافة، إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، ولم يخص الله به قوماً دون قوم" [2]، فالقرآن الكريم، كتاب هداية وإرشاد لجميع الناس، ولكن لا يهتدي به، ولا يعمل به إلا من سبق في علم الله أنه من المؤمنين.

4. **تعدد أسمائه:** لم يحظى أي كتاب سماوي فيما حظى به القرآن الكريم به من الشرف والمنزلة، ويدل على ذلك كثرة أسمائه حتى أوصلها بعض العلماء إلى ستة وأربعين اسماً[3] وزاد آخرون وقالوا بل مائة اسم[4]

5. **سماحة الشريعة التي جاء بها القرآن** ويسرها، بخلاف الشرائع في الكتب السابقة، فقد كانت مشتملة على كثير من الآصار، والأغلال التي فرضت على أصحابها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ

(1) انظر: الصابوني، التبيان في علوم القرآن (ص37).

(2) نخبة من العلماء، أصول الإيمان (ص144).

(3) انظر: الرومي، دراسات في علوم القرآن (ص27).

(4) انظر: الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ج 88/1).

ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

6. **تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه:**

القرآن هو الكتاب الوحيد من بين الكتب الإلهية الذي تكفل الله بحفظ لفظه ومعناه من أن يتطرق إليه التحريف اللفظي أو المعنوي[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[فصلت: ٤٢]، وقال عز وجل مبينًا تكفله بتفسيره وتوضيحه على ما أراد وشرع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]

7. **تصديق القرآن لكتب الله وهيمنته عليها:**

القرآن تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة وأصول شرائع الرسل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣].[2]

8. **أن القرآن هو آخر كتب الله نزولا وخاتمها والشاهد عليها.** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران: ٣]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[المائدة: ٤٨] والقرآن آخر الكتب وهو كلام الله، منه بدأ، وإليه يعود، وبه نسخت جميع الرسالات، والكتب التي قبله، ويعني كون القرآن آخر الكتب المنزلة، أن دينه دين خالد، وشريعته باقية، وأنها الرسالة الأخيرة للبشرية كلها، فمن بدلها، فقد ابتغى غير الإسلام ديناً، فلا مجال أبداً لمزاحمة هذا الدين بدين آخر، ولا مجال أبداً لإقصائه عن مكانه الذي خصه الله به، وما حفظ القرآن إلى يوم القيامة، إلا بقاء لهذا الدين إلى يوم القيامة، فالله

---

(1) انظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم (ص157).

(2) انظر: الصَّلاَّبي، الإيمان بالقرآن الكريم والكتب السماوية (ج 46/1).

سبحانه وتعالى متم نوره ولو كره الكافرون وقد أنزله الله على نبينا محمد ﷺ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].[1]

فهذه بعض خصائص القرآن الكريم على سائر الكتب الأخرى مما لا يتحقق الإيمان به إلا باعتقادها وتحقيقها علمًا وعملًا.

(1) انظر: الرومي، خصائص القرآن الكريم (ص 190).

المبحث الثاني: اليوم الأخر

المطلب الأول: معنى الإيمان باليوم الأخر

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، وهو جزء من أجزاء العقيدة الإسلامية، بل قد يكون هو العنصر الأهم الذي يلي الإيمان بالله مباشرة؛ ذلك بأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذي صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود

إن الإيمان باليوم الأخر شأنه كشأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهو من أركان الإيمان وقد ثبت ذلك في حديث جبريل عليه السلام حينما سأل النبي محمد ﷺ عن الإيمان فقال له:(أنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) [1]

وقد حكم الله بكفر من لم يؤمن باليوم الأخر، فقال سبحانه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]

فلا يقبل إيمان العبد إلا بالإيمان بجميع الأركان، وقد وصف الله المؤمنين أنهم يؤمنون باليوم الآخر فقال تعالى﴿ فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ ﴾ [البقرة: ٤]

ولقد قرّر الله سبحانه وتعالى حقيقة هذه الحياة الآخرة في اليوم الآخر، والدار الآخرة في جميع الأديان السماوية، وأنزلها على جميع رسله عليهم الصلاة والسلام، لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان العقيدة في كل الديانات السماوية، فما من دين سماوي إلا وأحد أركان الإيمان فيه الإيمان باليوم الآخر.

فالإيمان باليوم الآخر:

هو الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله تعالى أو في سنة النبي ﷺمما يكون بعد الموت من فتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وما يعقب ذلك من بعث الأجساد ثم حشرها، وتطاير الصحف، والحساب، ووزن الأعمال، والحوض، والصراط، والشفاعة، والجنة، والنار، وما أعد الله تعالى لأهلهما جميعاً[2].

---

(1) [مسلم: صحيح مسلم ، الإيمان/ الإيمان ما هو وبيان خصاله، 1/ 36: رقم الحديث 8، وهو جزء من حديث جبريل عليه السلام الطويل]

(2) انظر: ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه (ص70).

قال شيخ الإسلام: "ويدخل في الإيمان بالله واليوم الأخر كل ما اخبر به النبي ﷺ، مما يكون بعد الموت مثل فتنة القبر وعذابه ونعيمه؛ لأن حقيقة الأمر أن الإنسان إذا مات قامت قيامته وارتحل إلى دار الجزاء"[1].

والإيمان باليوم الآخر "هو من الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها الملل، وجاءت بها جميع الرسل، كما قال تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ "[البقرة: ٦٢][2]

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غرلا غير مختونين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥][3]

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم .: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص: ٨٥][4].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين [5]، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾[الغاشية: ٢٦] وقال: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(1) العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد (ج 72/2).
(2) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل (ج 3/5).
(3) انظر: ابن عثيمين، شرح الأصول الثلاثة (ص71).
(4) انظر: المرجع السابق (ص72).
(5) المرجع نفسه (ص72).

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم، فلولم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه [1]، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]

الثالث: الإيمان بالجنة والنار: وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسله، مخلصين لله متبعين لرسوله. فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر [2]. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧ – ٨].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]

"وأمّا النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٦]". [3]

---

(1) انظر: ابن عثيمين، شرح الأصول الثلاثة (ص73).

(2) انظر: المرجع السابق (ص73).

(3) انظر: المرجع نفسه (ص100).

المطلب الثاني: أهمية الإيمان باليوم الأخر

الإيمان باليوم الآخر هو أحدُ أرْكان الإيمان السِّتة، التي لا بدَّ منها، وإذا نظرْنا إلى القرآن الكريم وجدْناه مِن أوَّله إلى آخِره يعطي اهتمامًا كبيرًا للتذكير بهذا اليوم، حتى إنَّه ليقرن ذلك بالأحكام التشريعية، فيلمح إلى ضرورة انتباه المكلَّف في تعاطيه للمعاملات الدُّنيويَّة أنَّه موقوفٌ غدًا بين يدي ربِّه مجازًى بعمله، إنْ خيرًا، وإنْ شرًّا.

فمِن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[الطلاق: ٢] وقليلة هي السُّور التي لم يأتِ فيها ذِكْر لقضية البعْث والنشور، ممَّا يدلُّ على أهمية الإيمان باليوم الآخِر في حياة المسلِم خاصَّة، وفي حياة الأمَّة عامَّة.

للإيمان باليوم الآخر أهمية عظمى، ومما يدل على ذلك ما يلي:

أنه أحد أركان الإيمان الستة: جاء في حديث جبريل المشهور قوله ﷺعندما سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان : (أنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِر، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)[(1)]

كثرة وروده في نصوص الشرع: فقل أن تمر على صفحة من القرآن الكريم وإلا وتجد ذكراً عن اليوم الآخر، وما فيه من ثواب وعقاب.

كثرة ارتباطه بالإيمان بالله تعالى: فكثيراً ما يرد في القرآن الكريم ذكر اليوم الآخر مرتبطاً بالإيمان بالله قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وقال النبي عليه السلام : (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ).[(2)]

---

(1) سبق تخريجه (ص167).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الأدب/ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ ، 8/ 11:رقم الحديث 6019]

إفراد القرآن الكريم سوراً خاصة في الحديث عن يوم القيامة مثل: القيامة، الإنشقاق، الانفطار، التكوير.

كثرة الثناء على المؤمنين به، وذم الكافرين به: قال الله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٣] وقال في وصف: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴾ [هود: ٩]

كثرة المؤلفات التي تحدثت عنه حيث أفراد العلماء- رحمهم الله- مصنفات خاصة باليوم الآخر وذكر تفاصيله.

كثرة أسماء اليوم الأخر: فاليوم الأخر له أسماء كثيرة والسر في ذلك عظم أمره وكثرة هوله قال القرطبي: " كل ما عظم شأنه كثرت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا جميع كلام العرب، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة[1]

---

(1) القرطبي، التذكرة (ص342،442).

المطلب الثالث: اليوم الأخر من خلال السورة

لقد جاءت الآيات في السورة والتي تتعلق باليوم الأخر على النحو التالي:

ربط الله عز وجل بين الإيمان واليوم الآخر في قوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

وقد قرر الله سبحانه وتعالى اليوم الأخر، فهو موعد سؤال كل من يفتري ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣]

وهذا اليوم دعت الرسل إلى الإيمان به، فهذا إبراهيم عليه السلام يقرره لقومه ويدعوهم إلى الإيمان به والتأهب له، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [العنكبوت: ١٧ – ١٨]

ولقد دلهم سبحانه وتعالى على إعمال عقولهم في ما حولهم من مخلوقات ليستدلوا بها على إثبات هذا اليوم، فقال ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢١]

كما بيّن لهم مغبة من ينكر ذلك اليوم فقرن إنكاره والكفر به بالكفر بالله لأن الذي لا يؤمن بهذا اليوم فهو لا يؤمن بالله، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٣]

كما بين حالهم في هذا اليوم، من إنكار بعضهم لبعض، وزوال المودة التي كانت بينهم في الدنيا، وأن مآلهم إلى النار التي يجب الإيمان بها، وأن الإيمان بها من لوازم الإيمان بهذا اليوم، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، وشعيباً عليه السلام

يدعو قومه للإيمان بهذا اليوم، فيقول الله تعالى مخبراً عنه: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

كما بين الله ﷻأن الحياة الحقيقية التي لا كدر فيها ولا انقطاع هي حياة الآخرة﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

والله سبحانه حينما يكرر هذه المعاني وغيرها في كتابه الكريم إنما هو رد على المكذبين، وحافزاً للمؤمنين على العمل والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وذلك أن الله سبحانه رد على المنكرين في السور المكية واستمر في الحديث عن اليوم الآخر، وأفاض فيه حتى في السور المدنية بعد أن قام المجتمع المسلم والدولة المسلمة، ووجد جيل من الناس تؤمن بالله واليوم الأخر، فهم في حاجة إلى التذكير والله هو العليم بخلقه فلو علم مجرد حدوث الإيمان باليوم الأخر يكفي، لما كرره في القرآن لتذكيرهم المرة بعد المرة، فلا بد من سبب دائم يدعوا للتذكير، فلا بد من ترسيخ هذه العقيدة حتى تستقيم الحياة في هذه الأرض.

وهذه الآيات إجمالاً لما ورد في السورة:

التأكيد على لقاء الله﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٥] ما دام أجل الله الذي وَقَّتَهُ وعَيَّنَهُ ليلقى كل إنسانٍ جزاءه آتياً، فإنه إذاً قريب.

فهذا اليوم الذي سمَّاه الله يوم الدين، يوم الجزاء، يوم الحساب، يوم الدينونة، هذا اليوم سيأتي، وما دام سيأتي والوعد من قِبَلِ الله عزَّ وجل إذاً في حكم أنه قد أتى.

أي أن تقف بين يدي الله عزَّ وجل ليس بينك وبينه حجاب، تُعْرَضُ عليه أعمالك، وعليك أن تدافع عن نفسك، وعليك أن تدلي بحجَّتك عن كل عمل، أو أن يأتي ذلك اليوم الذي تلقى فيه جزاء عملك؛ إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر، أو ذلك اليوم الذي تنال فيه الثواب أو العقاب، أو ذلك اليوم الذي يحكمُ الله فيه بين عباده.

❖ الرجوع إلى الله:

التأكيد على الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى في آية البر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٨]قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[العنكبوت: ١٧]قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٧]

فالأمر غداً جلياً واضحاً، إذاً عنده الحساب، فالبطولة أن تحسب حساباً لهذه الرجعة ولهذا العلم الإلهي الذي يعلم كل حركاتنا وسكناتنا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٨ – ٩]

ما ورد في محاسبة الكفار﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٣]

في معرض تأكيد قدرته سبحانه من خلال التفكر في مخلوقاته،قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠ – ٢١]

في بيان حال الكفار يوم القيامة، وأن المودة بينهم في الدنيا لا تنفعقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

❖ لا نسب يوم القيامة ولا خُلّة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]

فهذه العلاقات، علاقات الدنيا، علاقات القرابات، علاقات المودَّات، الشركاء في الدنيا، الجيران، الأصحاب، الأخِلاَّء، هذه العلاقات كلها تتلاشى، ويأتي الإنسانُ ربَّه فرداً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤]

في بيان قدر إبراهيم عليه السلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

في بيان طلب ثواب اليوم الآخر والخوف من العذاب، كما قال شعيب لقومه ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

❖ لا تستقيم عقيدة المرء في الدنيا إلا إذا آمن باليوم الآخر:

لا تستقيم عقيدة المرء في الدنيا إلا إذا آمن باليوم الأخر؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى خَلَقَ السماوات والأرض تعبيراً عن أسمائه الحسنى وصفاته الفُضلى، ولكن اليوم الأخر تجسيدٌ لاسم الحق، كل المظالم في الدنيا، كل الحظوظ، وزِّعت الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء، وسوف توزَّع في الآخرة توزيع جزاء، اليوم الأخر هو الأساس، فإذا أغفله الإنسان وقع في فراغٍ فكريٍ كبير، حياةٌ قصيرة مشحونةٌ بالمتاعب، أما إذا آمنا باليوم الأخر تحل جميع المشكلات، وتسوى فيها جميع الحسابات، إنها الحياة السرمدية الأبدية؛ لا نغص، ولا قلق، ولا خوف، ولا حزن لمن عرف ربه في الدنيا، واستقام على أمر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٦]

في بيان ان الحياة الدائمة هي حياة الآخرة كما قوله سبحانه: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] الحيوان مصدر الحياة، حياة لا موت بعدها، شباب لا هرم بعده، لذة لا شقاء بعدها، الحياة الخالصة من كل نغص، من كل شائبة، من كل شيء مقلق و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ الحيوان مصدر مبالغة للحياة، حياة لا نغص فيها، حياة لا هم فيها، حياة لا حزن فيها، حياة لا قلق فيها، حياة لا انقطاع لها، حياة لا خروج منها، حياة لا مزعجاً فيه.

❖ تبرؤ الأصحاب من بعضهم يوم القيامة إلا المتقين:

يخبر الله سبحانه وتعالى أن كل صداقة كانت في الدنيا لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوةً وبغضاً، إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه، ولقد قال إبراهيم عليه السلام لقومه ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] [1]

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 237/7).

وذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أثراً عن علي ﷺ، حيث قال: "خليلان مؤمنان، وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني ن الشر ويخبرني أني ملاقيك، يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول: ليثن أحدكما على صاحبه فيقول: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، فيقول: نعم الخليل، ونعم الأخ، ونعم الصاحب؛ قال: ويموت أحد الكافرين فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول: بئس الأخ، وبئس الخليل، وبئس الصاحب"[1] .

فالصاحب السيء قد يردي أصحابه في المهالك كما قال الله عز وجل: ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٥ – ٥٧]

ولخطورة هذه القضية نرى أن النبي ﷺ قد أرشد الشباب المسلم أن يختار الرفقة الصالحة، التي تنفعه في دينه ودنياه، ووضح أن كل إنسان مرهون بصاحبه الذي يلازمه.

❖ من لوازم اليوم الأخر: العذاب والرحمة:

أخطر ما في اليوم الآخر أنه كما قال تعالى: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢١] فو الذي نفس محمَّدٍ بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنَّة أو النار، إما في جنَّةٍ يدوم نعيمُها ؛ أو في نارٍ لا ينفد عذابها، ليس هناك حالة ثالثة، فالإنسان في الدنيا يكون إما في سعادة، أو في شقاء، أو في حالة وسط بينهما، دخله قد يغطي حاجاته الأساسيَّة، أما الثانويَّة فلا يستطيع، فهذا في الدنيا في حالةٌ ليس فيها تألُّق، وليس فيها هموم، أيْ حالة وسط، لكنَّ الآخرة إما عذابٌ لا يحتمل، وإما نعيمٌ لا يوصف.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ اللَّهُ: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) [2]

---

(1) البيهقي: شعب الإيمان، 47/12: رقم الحديث 8997

(2) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، 4/ 118: رقم الحديث 3244]

المطلب الرابع: الرد على منكري البعث من خلال السورة

أولاً: الإعادة أهون من البدء:

يذكر البيان الإلهي الإنسان في أيامه الأولى بأنه كان نطفة لكي يعود إلى رشده ويؤمن بالبعث الذي ينكره، فالله سبحانه وتعالى يبين أن القدرة على الإعادة أهون من البدء، فإن بدأ خلق الكون من العدم، فإعادتها أهون من باب أولى، قال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩]

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: (يَشْتِمُنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي وَيُكَذِّبُنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ إِنَّ لِي وَلَدًا وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ فَقَوْلُهُ لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي)(1)

ومن الخلق الذي يقدر الله على إعادته الإنسان، فليتأمل في عجيب صنع الله وخلقه؛ لأنّ دليل النفس أكمل، وإحاطته بها أشمل وأتم، فإذا ما أهمل الإنسان النظر في نفسه وجهلها، ولم يعلمها كان ذلك مما يدعوا إلى الإنكار عليه والعجب من إهماله، وهذا فيه إنكار على المشركين مجادلتهم في البعث وكفرهم به، والحال أن في أنفسهم دليلاً ناطقاً على قدرة الخالق المبدع سبحانه على البعث .

قال ابن تيمية– رحمه الله–: في قوله تعالى: ﴿ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦١ – ٦٢]

"أي خلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون، وذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات، وليست الأخرى كذلك، فعلم أن النشأتين نوعان تحت جنس، يتفقان، ويتماثلان ويتشابهان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه آخر، ولهذا جعل المعاد هو المبدأ وجعل مثله أيضاً، فاعتبار اتفاق المبدأ والمعاد، فهو هو، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله، وهكذا كل ما أعيد فلفظ الإعادة يقتضي المبدأ والمعاد سواء في ذلك إعادة الأجسام أو الأعراض كإعادة الصلاة وغيرها، كان يقال للرجل أعد كلامك، ويعيد الدرس، فالكلام هو الكلام وإن كان صوته الثاني غير

(1) [البخاري: صحيح البخاري، بدء الخلق/ ما جاء في قوله تعالى(وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، 160/4: رقم الحديث 3193]

صوته الأول وحركته بل قد قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] "[1] .

"والإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في هذا الخطاب وهي الإعادة التي فهمها المشركون والمسلمون عن رسول الله ﷺ، وهي التي يدل عليها لفظ الإعادة، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البدأة فرق فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول وليس الجسد والثاني مبايناً للأول من كل وجه، كما زعم بعضهم، أو أنّ النشأة الثانية كالأولى من كل وجه كما ظن بعضهم، وكما أنه سبحانه خلق الإنسان ولم يكن شيئاً كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئاً"[2] .

ويقول ابن تيمية– رحمه الله–: " فالإنسان الذي صار تراباً ونبت من ذلك التراب نباتاً آخر أكله إنسان آخر، والإنسان الذي أكل إنساناً او حيواناً، وأكل من ذلك الحيوان إنسان آخر، ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان وهذا الإنسان وصار كل منهما تراباً كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا ويعاد هذا من التراب وإنما يبقى عجب الذنب منه خلق ومنه يركب"[3] .

ثانياً: قدرة الله الباهرة المتجلية في خلقه الأعظم:

ومن الأمور المقررة للبعث في هذه السورة لفت نظر المنكرين إلى خلق الأكوان التي هي أكبر من خلق الناس– مثل السموات والأرض" وذلك أنه إذا كابر المنكر بعد إقامة الدليل بإظهار واقع التساوي بين الإعادة والبدء فقال: الإعادة أشد من البدء مصراً على هذا التوهم، أتاه الجواب القرآني ينقله إلى ما هو أكبر منه في تصوره من ابتداء خلق الإنسان وإعادته ألا وهو خلق السموات والأرض إذ من المعلوم بالبداهة الحسية أن خلق السموات والرض أكبر من خلق الناس في ابتدائهم أو في إعادتهم"[4] كما قال سبحانه: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[يس: ٨١].

ولذلك أمر الله بالسير في الأرض والنظر في مخلوقاته والاستدلال بها على قدرته سبحانه على البعث، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢٠].

---

(1) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج 352/17).
(2) المرجع السابق (ج 352/17).
(3) انظر: المرجع نفسه (ج 256/17).
(4) الميداني، صراع الملاحدة (ص201) .

فالمجادلون في أمر البعث والمنكرون له قد علموا أن الله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض واعترفوا بذلك كما حكى الله عنهم ذلك في كثير من كتابه الكريم حيث قال سبحانه﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ [العنكبوت: ٦١] والسموات والأرض ما هما في كبر أجرامهما وعظم أحكامهما وشدة اجزائهما، وسعة أرجائهما، وكثرة ما فيهما من عجائب الخلق أيستبعدون ما هو أدنى من ذلك، قال سبحانه:﴿ **لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [غافر: ٥٧].

المطلب الخامس: الترغيب بالجزاء للمؤمنين

تقرر السورة عقيدة الجزاء والعقاب، حيث الثواب والعقاب من لوازم الأوامر والنواهي، فلا يستوي من خالف الأمر وتجاهل النهي ممن استقام باتباع ما أمر به، واجتنب ما نهى الله عنه، قال تعالى في ذكر حكمة البعث وقيام الساعة: ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٤ – ٥].

أولاً: الجزاء في الدنيا:

ذكر الله سبحانه وتعالى أنّه يثيب عباده المؤمنين على طاعتهم وشكرهم وإيمانهم به وتوحيده، وذلك من باب كرمه تعالى ورحمته، وقد ورد في السورة ما يوضح أن الجزاء في الدنيا والآخرة.

الترغيب باتباع الأنبياء ، كما حصل لنوحعليه السلام، ومن آمن معه، قال تعالى:﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [العنكبوت: ١٥]

وكذلك ما حصل من نجاة إبراهيمعليه السلام، من النار، قال تعالى:﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]

وقوله سبحانه:﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧]

وهذا ما حصل لنبي الله إبراهيمعليه السلام، والله عز وجل وعد المؤمنين عموماً بالجزاء العاجل، كما قال سبحانه:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]

ومن الترغيب في الجزاء بالدنيا لمن سار على الطريق المستقيم ما حصل للوطعليه السلام، ومن آمن معه من النجاة كما قال تعالى:﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]

ثانياً: الترغيب بالجزاء في الآخرة:

كما رغب الله في عبادته وسلوك طريقه المستقيم بجزاء في الدنيا فإنه لا يساوي شيئاً بالنسبة لما عند الله من النعيم المقيم؛ لأنّ الأخرةِ هي الحياة الباقية، فيبقى نعيمها أو شقاؤها.

فمن الترغيب فيما عند الله بالدار الأخرة: الترغيب بالإيمان والعمل الصالح، وهذا يدل على فضل الإيمان وأنه لا إيمان إلا بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٧]

فالذين آمنوا بالله ورسوله، فصح إيمانهم عند ابتلاء الله إياهم وفتنته لهم، ولم يرتدوا عن دينهم بأذى المشركين لهم، وعملوا الصالحات التي أمروا بها يكفر الله عنهم ما سلف من شركهم وغيره، ويثيبهم على صالحات أعمالهم في إسلامهم أحسن ما كانوا يعملون في حال شركهم مع تكفيرنا سيئات أعمالهم [1].

وكذلك قوله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٩]، فدخولهم في الصالحين يترتب عليه دخولهم الجنة لأن مآل الصالحين إلى الجنة، وهذا نعمة عظيمة ومنة كبرى وترغيب أيما ترغيب لمن أراد أن يكون مع الصالحين، فما عليه إلا أن يعمل عملهم ويحبهم كما قال ﷺ: (الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ)[2].

أما الآية الثالثة، ففيها ترغيب للإيمان والصبر على تكاليفه، وهذا الجزاء الذي رغب الله فيه عباده إلى الإقبال إليه والعمل بطاعته هو جنته التي من أوصافها أنها تجري من تحتها الأنهار، وأيما انهار، إنها أنهار مختلفة الأصناف من ماء وخمر، وعسل، ولبن، وكما قال فيها صلى الله عليه وسلم: قال الله: (أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)[3]

وهذا النعيم مستمر دائم غير منقطع وغير زائل كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨] أي نعم الجزاء وجزاهم على ما قدموه من طاعة الله عز وجل.

---

(1) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن (مج 130/2).

(2) [البخاري: صحيح البخاري، الادب / علامة حب الله ﷺ ، 8 /39: رقم الحديث 6168]

(3) سبق تخريجه (ص202)

وكما رغب الله عز وجل في الإيمان والأعمال الصالحة على العموم رغب كذلك في أعمال وعبادات مخصوصة، ومما ورد في السورة قوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

المطلب السادس: الترهيب بالعذاب للكافرين

أولاً: العذاب في الدنيا:

الترهيب من عصيان الأنبياء عليهم السلام، فإن فيه الهلاك والعقوبة العاجلة كما حصل لقوم نوحعليه السلام، حين عصوه عاقبهم الله بالغرق في الدنيا، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٤]

وكذلك ما نزل بقوم لوطعليه السلام، من العذاب في الدنيا، قال تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٤]

والرجز هو العذاب، ومن زيادة الترهيب عن أفعالهم الشنيعة عبر بما حصل لهم من العذاب بالرجز وهذا أبلغ في الزجر.

فإن مما حصل لهم، أنّ جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم، وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضودة مسومة من عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة، وجعلهم عبرة إلى يوم التناد، وهم أشد الناس عذاباً يوم التناد[1].

"ومن الترهيب ما حصل لقوم شعيب عليه السلام فإن ما حصل لهم فيه تحذير لكل عاقل من أن يسلك مسلكهم من العبث في الأرض والسعي بالفساد والبغي على الناس بنقص المكيال والميزان، وقطع الطريق مع الكفر بالله ورسوله"[2].

قال تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٧]

"فكان عقاب الله لهم أن أهلكهم برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنّه كان عذاب يوم عظيم" [3]

---

(1) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 657/3).
(2) المصدر السابق (مج 658/3).
(3) المصدر نفسه (مج 658/3).

فالله سبحانه وتعالى أرسل العذاب في الدنيا على الأمم المكذبة، فمنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسف الله به الأرض، ومنهم من أغرقه الله.

وهذا ما حصل مع القوم الذين كذبوا رسل الله أن عاجلهم الله بالعقوبة في الدنيا فأهلكهم، وقضى على شوكتهم وجبروتهم، وكذلك مصيرهم الذي حذر الله منه وهو العذاب الأليم.

ثانياً: العذاب في الأخرة:

كما حذر لله من الكفر ببيان ما حصل لمن سلكه من عذاب في الحياة الدنيا كذلك حذر من الكفر ببيان حال أهله في الأخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤]

"فالسيئات هي الشرك وعبادة الله ومعه غيره"[1] ،فهذا الحسبان وهذا الظن سيء حيث أنهم حكموا على ربهم بالنقص من ظنهم أنهم يعجزونه، والله قادر على كل شيء، فهذا فيه تهديد ووعيد لمن ظن هذا الظن.

ومن الترهيب لمن دعا إلى الكفر قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٢ – ١٣]

فمن ادّعى أنّه يحمل ذنب غيره فإنّه لن يحمله، ولكن له الإثم مثله إذا كان هو المتسبب دون أن ينقص من إثم متبوعة شيئاً، ثم يوم القيامة يحاسب حساباً شديداً عما افترى وادّعى أنّه قادر عليه.

ومن الترهيب الوارد في السورة ما توعد الله به الذين حادوا عن الصراط المستقيم من العذاب المقيم في الأخرة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٣]

وقد توعد الله من كفر، لاسيما إذا كان الكافر معانداً مستهزئا متكبراً عن الحق، يصد عنه، ويدافع عنه، والله تعالى بين حال قريش في عنادهم واستكبارهم وما اعد الله لهم ولمن فعل مثل فعلهم، قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٣]

---

(1)ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (مج 130/20).

فالله ﷻ يخبر عن جهل المكذبين للرسول وما جاء به انهم يقولون استعجالاً للعذاب وزيادة تكذيب ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الملك: ٢٥]

فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، ونزل بهم وهم لا يشعرون، هذا وإن لم ينزل عليهم العذاب الدنيوي[1] فإذا قيل: إن الأجل المسمى هو الموت، أو النفخة الثانية، أو القيامة[2] .

فإن هذه لا بد حاصلة لكل إنسان فمن كفر وكذب فموعده هناك، فأمامه العذاب الأخروي الذي لا يخلص منه أحد من المكذبين سواء عوجل بعذاب الدنيا أو امهل.

ومن شدة الترهيب أن الله كرر استعجالهم العذاب، قال تعالى:﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٥٤]

وهذا التكرار يفيد تأكيداً في الوعيد، على تماديهم في غيهم، وتهكماً بهم، وتعجباً من أمرهم ولكن لا محيص لهم عن جهنم، ولا معدل ولا منصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب كما احاطت بهم ذنوبهم، وسيئاتهم، وكفرهم.

ومن شدة الترهيب والتخويف من الكفر، وصف الله حالهم في العذاب، وأنهم كما انغمسوا في الكفر والذنوب وعمتهم، بين أن أعمالهم وكفرهم يغشاهم عذاباً يشملهم من كل جانب، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥]

"والغشيان في العادة يكون من أعلى إلى أسفل وعبر عنه بالجميع هنا للمقاربة"[3]

فالنار تغشاهم من سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب الحسي، ومن شدة الترهيب أن الله عز وجل جمع بين العذاب الحسي والمعنوي فختم الآية به حيث قال:﴿ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٥]

ومن الترهيب من أعمال الكفار الخبيثة وأساليبهم المتعددة للصد عن دين الله قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]

---

(1) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (مج 101/6).

(2) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (مج 280/6).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (مج 357/13).

المطلب السابع: ثمرات الإيمان باليوم الأخر

إن للإيمان باليوم الأخر أثراً عظيما في حياة الناس أفرادا وجماعات، إذ تختلف حياة من يؤمن باليوم الأخر عن ذلك الذي لا يؤمن بأن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة، كما تختلف حالة المجتمعات التي يسود بين أفرادها الإيمان بالأخرة عن تلك المجتمعات التي يؤمن أفرادها بأن الدنيا هي نهاية المطاف، ويظهر هذا الأثر في حياة الإنسان الفكرية والنفسية والخلقية، فالذي يؤمن بالحياة الأخرى يجد من خلال هذه العقيدة تفسيراً لكثير من ظواهر الحياة الإنسانية وما ينبغي أن يسود حياة الإنسان من قيم وفضائل وأخلاق وتضحيات، إذ أن الذي يعتقد بأن الحياة الدنيا هي نهاية المطاف ستكون غايته الأولى وهمه الأكبر الحصول على أكبر قدر من متعها ولذائذها المادية .

يقول الشيخ السعدي موجهاً الأنظار إلى هذه الفوائد العظام: " إنّ الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفته بتفاصيله؛ ازداد إيمان العبد به، ثمّ إن في معرفة ذلك حقيقة المعرفة ما يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف والانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأهوال القبر وشدته، وأهوال الموقف، وصفات النار المُفظعة، وبمعرفة تفاصيل الجنة وما فيها من النعيم المقيم والحبرة والسرور، ونعيم القلب والروح والبدن، فيحدث بسبب ذلك الاشتياق الداعي للاجتهاد في السعي للمحبوب المطلوب بكل ما يقدر عليه"[1] .

1- إخلاص العمل لله ﷻ والمتابعة للرسول ﷺ:

"الإيمان بالبعث والجزاء، أصل صلاح القلوب وأصل الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، اللذان هما أساس الخيرات"[2].

إنّ الموقن بلقاء الله ﷻ يوم الفزع الأكبر، لا تلقاه إلا حريصاً على أعماله، خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر، حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال،

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص28- 29).

(2) المرجع السابق (ص37).

فتصير هباءً منثوراً، والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء، والعجب، والمن، وطلب الجاه والشرف في الدنيا، فكلما كان العبد موقناً بلقاء ربه كان منه الحرص الشديد على ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة، يوم أن يكون في أشد الأوقات حاجة إليها؛ ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله تعالى لعل الله ﷻ أن ينفعه بها.

2- الزهد في الدنيا والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب:

يوقن المؤمن بأن كل نعيم في الدنيا لا يقاس إلى نعيم الأخرة، ولا يساوي النعيم في الدنيا غمسة واحدة في العذاب، وكل عذاب في الدنيا في سبيل الله لا يقاس ولا يوازي غمسة واحدة في النعيم، لذلك فإن الحياة الدائمة هي الحياة الأخرة كما أخبر الله جل جلاله: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، وحياتنا هذه لا تساوي شيئاً بالنسبة للحياة في اليوم الأخر.

فإذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائماً على بال، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ولا يحزن على فواتها، ولا يمدن عينيه إلى ما متع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها، وهذه الثمرة يتولد عنها بدورها ثمار أخرى مباركة طيبة منها: القناعة، وسلامة القلب من الحرص، والحسد، والغل، والشحناء؛ لأن الذي يعيش بتفكيره في الأخرة، وأنبائها العظيمة لا تهمه الدنيا الضيقة المحدودة، مع ملاحظة أن إيمان المسلم باليوم الأخر وزهده في الدنيا لا يعني انقطاعه عنها وعدم ابتغاء الرزق في أكنافها؛ يقول تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]

كما يتولد أيضا من هذا الشعور، الراحة النفسية والسعادة القلبية وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات، ذلك للرجاء فيما عند الله ﷻ من الأجر والثواب، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ﴾[النساء: ١٠٤] وما إن يفقد القلب هذه المعاني حتى يخيم عليه الهم والتعاسة، ومن هنا ينشأ القلق والانزعاج والضيق والحزن، أما ذاك الذي عرف الدنيا على حقيقتها، وامتلأ قلبه بهمّ الآخرة وأنبائها، فإن نفسه لا تذهب

على الدنيا حسرات، ولا تنقطع نفسه لهثاً في طلبها، ولا يأكل قلبه الغل والحسد والتنافس فيها، ولا يقل صبره ولا يجزع قلبه عند المحن والشدائد، قال تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ١ – ٢]

وقد ذكر ابن عثيمين[1]– رحمه الله–: بعضاً من الثمرات فقال: "تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها"[2].

3– **توجيه الإنسان للعمل الصالح واجتناب المعاصي:**

إن الإيمان باليوم الأخر يجعل القلب يتعلق بالله، فيحرص كل الحرص على عمل الصالحات، واجتناب المعاصي .

يقول الإمام ابن القيم– رحمه الله–: "ومما ينبغي أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور: محبة ما يرجوه، وخوفه من فواته، سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات"[3]

ومن حديث أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: (مَنْ خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ[4] بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ) [5] وهو سبحانه كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل، حيث قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ

---

(1) ابن عثيمين هو: الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين، من بني تمميم ولد سنة 1347هـ في مدينة عنيزة بالقصيم، أمضى حياته في طلب العلم وتعلمه وكان يلقي الدروس في الحرمين المكي والمدني وله مؤلفات كثيرة منها: (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) و(وعقيدة أهل السنة والجماعة)، توفي اثر مرض عضال ألم به سنة 1421هـ وصلي عليه في المسجد الحرام. انظر: الشيخ محمد بن عثيمين من العلماء الربانيين، عبد المحسن البدر(ص5–19).

(2) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص105).

(3) ابن القيم، الجواب الكافي (ص54).

(4) أدلج: بالتخفيف إذا سار من أول الليل– ابن الأثير – غريب الحديث –(129/2).

(5) الترمذي: سنن الترمذي، صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ/ (18)، 4/ 214 ، رقم الحديث 2450، صححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ، 2/ 1069: رقم الحديث 6222]

﴿ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة ﵂ قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية، فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ قال: (لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) [1].

والله﷿ وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن[2]، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢١]

يقول ابن القيم :" فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات؟ وقال المغرورون: إن المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين المتجرئين على محارمه، أولئك يرجون رحمة الله" [3].

وقد ذكر ابن عثيمين بعضاً من الثمرات فقال:" وللإيمان باليوم الأخر ثمرات جليلة منها" الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاءً لثواب ذلك اليوم"[4].

4- اجتناب الظلم بشتى صوره:

نظراً لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر، وأنه لا شيء يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض: كاليقين بالرجوع إلى الله ﷻ، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، فإذا تذكر العبد هذا الموقف العصيب الرهيب، وأنه لا يضيع عند الله شيء، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ

---

(1)[الترمذي: سنن الترمذي، تفسير القرآن/ وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، 5/ 180 رقم الحديث 3175، صححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، 304/1: رقم الحديث162]

(2) ابن القيم، الجواب الكافي (ص57، 58).

(3) المرجع السابق (ص 56).

(4) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص105).

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله تعالى: ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١]، إذا تذكر هذه المواقف واتعظ بهذه الآيات، وأيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق، والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض، خاصة وأن حقوق العباد مبنية على المشاحة والحرص على استيفاء الحق من الخصم، وبالذات في يوم الهول الأعظم الذي يتمنى العبد فيه أن يكون له مظلمة عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فضلاً عن غيرهم من الأباعد، ومعلوم أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات.

5- حصول الأمن والاستقرار والألفة بين الناس بالحكم بشريعة الله:

إنّ مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله ﷻ واليقين بالأخرة والجزاء والحساب، لا شك أنّه مجتمع تسوده المحبة ويعمه السلام؛ لأن تعظيم الله ﷻ سيجعل هذه النفوس لا ترضى بغير شرع الله ﷻ بديلاً، ولا تقبل الاستسلام إلا لحكمه، وهذا بدوره سيضفي الأمن والأمان على مثل هذه المجتمعات، لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء، فلا تحاكم إلا لشرع الله، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة: فلا خيانة ولا غش ولا ظلم، ولا يعني هذا أنه لا يوجد في المجتمعات المسلمة من يظلم أو يخون أو يغش، فهذا لم يسلم منه عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة، لكن هذه المعاصي تبقى فردية، يؤدّب أفرادها بحكم الله ﷻ وحدوده، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله، والحالات الفردية تلك ليست عامة، أما عندما يقل الوازع الديني والخوف من الأخرة، ويكون التحاكم إلى أهواء البشر وحكمهم فهذا هو البلاء العظيم والفساد الكبير: حيث تداس القيم والحرمات، ويأكل القوي الضعيف، وبالتالي: لا يأمن الناس على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم، وكفى بذلك سبباً في عدم الأمن والاستقرار، وانتشار الخوف، واختلال حياة الناس.

6- تقصير الأمل وحفظ الوقت:

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد، طول الأمل، والأماني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الأخرة، واغترار بزينة الحياة الدنيا، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتى يأتي الأجل الذي يقطع هذه الآمال، وتذهب النفس حسرات على ما فرطت في عمرها، وأضاعت من أوقاتها، ولكن اليقين بالرجوع إلى ﷻ والتذكر الدائم لقصر الحياة وأبدية الآخرة وبقائها، هو العلاج الناجع لطول الأمل وضياع الأوقات.

يقول ابن قدامة: "واعلم أنّ السبب في طول الأمل شيئان: أحدهما: حب الدنيا، والثاني: الجهل." [(1)] .

7- **الفوز برضا الله ﷻ وجنته، والنجاة من سخطه والنار:**

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، ومسك الختام في مبحث الثمار، قال تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

يقول الشيخ السعدي عند قوله تعالى: ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥]: " أي: حصل له الفوز العظيم بالنجاة من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ ومفهوم الآية: أن من لم يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه" [(2)] .

وقد ذكر ابن عثيمين بعضاً من الثمرات فقال: " وللإيمان باليوم الأخر ثمرات جليلة منها: "الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم"[(3)].

8- **ذكر اليوم الأخر طمأنينة للقلب وراحة البال وسمو الأخلاق:**

لا يستوي من يؤمن بالله واليوم الأخر ويوقن بيوم الحساب والجزاء ولا يغفل عنه، ومن لا يؤمن بالأخرة، أو يؤمن بها ولكنه في لهو وغفلة عنها، لا يستويان أبداً في الدنيا ولا في الأخرة، أما في الأخرة فيوضحه قوله تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾ [الحشر: ٢٠] وأما في الحياة الدنيا فلا يلتقي أبداً من يعلم أن له غاية عظيمة في هذا الحياة، وأنّ مرده إلى الله ﷻ في يوم الجزاء والحساب والنشور، مع من لا يعلم من هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها، وأنها كل شيء عنده، وهو عن الآخرة من الغافلين.

---

(1) ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين (ص367- 368).

(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص467- 468).

(3) ابن عثيمين، شرح ثلاثة الأصول (ص105).

إنّهما لا يلتقيان في التفكير، ولا في الميزان الذي توزن بـه الأشـياء والأحداث، ولا في الأحكام، وبالتالي: فبقدر ما تسمو أخلاق الأول وتعلو همته لسمو منهجه وميزانه بقدر ما تسفل وترذل أخلاق الآخر لسفالة تصوره وفساد ميزانه. قال تعالى في وصف أهل الدنيا: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم: ٧]

يقول د. عائض القرني: "إن جعت في هذه الدار أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقاً أو ذقت ظلماً فذكر نفسك بالنعيم في جنات رب العالمين، إنك إن اعتقدت هذه العقيدة وعملت لهذا المصير، تحولت خسائرك إلى أرباح، وبلاياك إلى عطايا، إن أعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة لأنها خير وأبقى، وإن أحمق هذه الخليقة هم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ومنتهى أمانيهم"[1].

(1) القرني، لا تحزن (ص70).

المطلب الثامن: مسألة موت النفس

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[العنكبوت: ٥٧]

في هذه الآية إخبار من الله ﷻ بحصول الموت لكل نفس، وأنه بعد الموت يجازى كلٌّ بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والموت هو الفاصل بين الدنيا والآخرة

وكل من مات جاءت ساعته وقامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، ومن كان موجوداً في آخر الزمان يموت عند النفخ في الصور النفخة الأولى، وبذلك يكون الموت قد حصل للأولين والآخرين.

قال الشوكاني:" التوفي: استيفاء الشيء، وتوفيت الشيء واستوفيته: إذا أخذته أجمع"[(1)]

وقال المناوي[(2)]: "الوفاة: استخلاص الحق من حيث وضع أن الله نفخ الروح وأودع به النفس ليستوفيها بعد اجل من حيث أودعها، فكان ذلك توفياً(تفعلاً) من الوفاة، وهو أداء الحق"[(3)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " الأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان"[(4)] .

وقد تعرض شارح الطحاوية لهذه المسألة، فقال: "واختلف الناس هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة: تموت لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت... وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، والصواب ان يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم

---

(1) الشوكاني، فتح القدير (ج 124/2).

(2) المناوي هو: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من بار العلماء بالدين، انزو للبحث والتصنيف، له نحو ثمانين مصنفاً، منها الكبير والصغير، والتام والناقص، عاش في القاهرة، وتوفي بها، من كتبه(كنوز الحقائق) و (فيض القدير) و(التوقيف على مهمات التعاريف).انظر: الزركلي الأعلام(ج204/6).

(3) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف (ج 730/1).

(4) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (ج 279/4).

أو في عذاب، وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك هي الموتة، وهي مفارقة الروح للجسد" [1].

وقد ذكر القرطبي: أنّ شيخه أحمد بن عمرو قال:" إن الموت ليس بعدم محض، وإنّما هو انتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى"[2].

من خلال ما تقدم من آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأقوال العلماء، يتبين أنّ الموت للبدن والروح، وأن موت الروح خروجها من البدن وليس فناءها، أي أن موت النفس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، وليس الفناء بالكلية .

---

(1) الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية (ص 446).

(2) انظر: ابن القيم، الروح (ص45).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وما بنينهما وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على من أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيرا وداعياً إليه وسراجاً منيراً، وبعد:

فإنه وبعد دراسة قضايا العقيدة من خلال سورة العنكبوت تبين للباحث جملة من النتائج والتوصيات، وهي:

أولاً: النتائج:

1. أهمية العقيدة عند المسلمين، وبيان منزلتها، وضرورة الاعتناء بها علماً وعملاً وتعليماً.
2. الإيمان بالله تعالى حقيقة ليس كلمة باللسان، ويظهر الإيمان الحقيقي في المحن والابتلاءات، كما كان واضحاً مع أنبياء الله جميعاً حيث ابتلوا وصبروا.
3. ربط ذهاب النعم من أمن ورغد العيش، بعدم شكر الله حق شكره باتباع تعاليم هذا الدين العظيم.
4. بينت السورة أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل التوكل لا يتم إلا إذا اتخذ الإنسان لكل عمل يريده الأسباب التي توصله إلى تحقيقه.
5. اختصاص السور المكية بتأصيل العقيدة وترسيخها في قلوب المسلمين.
6. اشتمال سورة العنكبوت على آثار إيمانية عظيمة تتعلق بأمور العقيدة.
7. التوحيد الذي ركز عليه الأنبياء هو توحيد الألوهية، حيث إن أكثر الأمم أقرت بتوحيد الربوبية؛ وإنما ضلالها كان في باب الألوهية.
8. اشتمال السورة على آيات عظيمة وهي آيات الخلق التي تدعو الإنسان إلى التفكر في خلق الله وأن وراء هذا الخلق خالق عظيم.
9. أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل لعبادة الله وحده، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور وهذا التوحيد كان فاتحة جميع الرسل من نوح عيه السلام وحتى نبينا محمدﷺ<
10. وجوب الإيمان بالأنبياء والمرسلين من غير تفريق بينهم من ناحية الإيمان بهم.
11. إثبات الفرق بين النبي والرسول، وأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسول.
12. الإيمان بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى حقيقة وهو صفته، وأنه لم يبدل ولم يحرف.
13. وجوب الإيمان بكل ما أخبر الله عنه من أمور الغيب، كالإيمان بوجود الملائكة وبكل ما ورد من صفاتهم ووظائفهم، والإيمان باليوم الآخر وما ورد فيه من أهوال وشدائد.

14. الجزاء والثواب من علامات العدل والحكمة، ومن مستلزمات الألوهية، فكل عبد سيلقى ما قدم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ثانياً: التوصيات:

1. ضرورة توعية المسلمين بأهمية العقيدة ووجوب تعلمها وتعليمها.
2. الاهتمام بسور القرآن الكريم بالدراسة والبحث واستنباط المضامين العقدية منها إذ لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من المفاهيم العقدية التي جاءت لترسيخها في نفوس الناس.

وأخيراً أسأل الله العلي العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يكون صدقة جارية لي بعد مماتي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

المصادر والمراجع

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد.(142هـ/2003م).*الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة*. مراجعة وتقديم: د. عبد الرحمن بن صالح .(د. ط). الرياض: مدار الوطن للنشر.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي.(1403هـ/2006م). *عالم الملائكة الأبرار*. ط3. الكويت: مكتبة الفلاح.

الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله العتيبي.(1410هـ/1989م). *الرسل والرسالات*. ط4. الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع.

الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب.(1412هـ). *المفردات في غريب القرآن*. تحقيق: صفوان عدنان الداودي.ط1. دمشق: دار القلم.

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الحاج بن نوح بن نجاتي بن آدم. .(د. ت). *صحيح الجامع الصغير وزيادته*.(د. ط).

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني.(1415هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(تفسير الألوسي)* .تحقيق: علي عبد الباري عطيه.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

أيوب، حسن محمد.(1403هـ/1983م). *تبسيط العقائد الإسلامية*.(د. ط). بيروت: دار الندوة الجديدة.

البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.(1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*.(د. ط). بيروت: دار المعرفة.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي.(1422هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.ط1. دار طوق النجاة.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي.(1420هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن– تفسير البغو*. تحقيق: عبد الرازق المهدي. ط1. الناشر: بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر.(1995). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*.(د. ط). دار الكتب العلمية.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي.(1418هـ).*أنوار التنزيل وأسرار التأويل*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.(د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين.(1423هـ/2003م). *شعب الإيمان*. تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد. ط1. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.

البيهقي، للإمام أب بكر أحمد الحسين، الاعتقاد *على مذهب أهل السنة والجماعة*. تصحيح: أحمد محمد مرسي.(د. ط). باكستان: المطبعة العربية.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.(1395هـ). *سنن الترمذي*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر. ط.2. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

تقي الدين – ابن حجر – الشوكاني – الصنعاني وغيرهم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس.(1343هـ). *تحذير أهل الإيمان – ضمن مجموعة الرسائل المنيرية*. تحقيق: محمد منير الدمشقي.(د. ط). الناشر: المطبعة المنيرية.

التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي.(1996م). *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. تحقيق: د. علي دحروج. ط1. بيروت: مكتبة : د. لبنان ناشرون.

تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم.(1405هـ).*الحسنة والسيئة لشيخ الإسلام*. تحقيق: محمد عثمان الخشت.(د. ط). بيروت: دار الكتب العربي.

تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني.(1420هـ/2000م). *النبوات*. تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان.(د. ط). أضواء السلف. السعودية: الرياض.

تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني.(1398هـ). مجموع *الفتاوي*. تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. ط1. دار العربية.

تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم.(1417هـ/1997م). *درء تعارض لعقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول*. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الجامي، محمد أمان بن علي.(د. ت). *الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه*.(د. ط). دار المحسن.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف.(1403هـ/1983م).*التعريفات*. ضبطه وصححه جماعة العماء.(د. ط). بإشراف الناشر: لبنان: دار الكتب العلمية بيروت.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي.(1403هـ/1983م). *كتاب التعريفات*. ضبطه وصححه جماعة من العلماء. ط1. بإشراف الناشر: بيروت دار الكتب العلمية.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر.(د. ت). *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*.(د. ط). السعودية: مكتبة العلوم والحكم.

الجزائري، عبد الحميد بن باديس.(د. ت). *العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية*. رواية و تعليق : تلميذه محمد الصالح رمضان. ط1. دار الفتح للطباعة و النشر و التوزيع.

الجزي، لابن الأثير.(1394/ 1395هـ). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. المكتبة الإسلامية.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن الرازي المعروف بالجصاص.(د. ت). *أحكام القرآن*.(د. ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

الجنيد، الامام إبراهيم بن عبد الله.(1423 هـ). المحبة لله سبحانه. تحقيق: عبد الله بدران.(د. ط). دمشق: دار المكتبي.

الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي.(1412 هـ/ 1992). *صيد الخاطر*. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.(د. ط). دار الكتب العلمية.

الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد.(د. ت). *زاد المسير في علم التفسير*.(د. ط). المكتب الإسلامي.

حسن، محمد صديق.(د. ت). *الدين الخالص*. تحقيق: محمد النجار.(د. ط). القاهرة: دار التراث.

حطيبة، أحمد السيد أحمد. *تفسير القرآن العظيم*. سلسلة إلكترونية– موقع طريق الإسلام.

حطيبة، الشيخ أحمد. *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*. سلسلة محاضرات. .(د. ط). موقع طريق الإسلام.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي.(1415هـ /1995). *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول*. تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر. دار ابن القيم.

الحكمي، حافظ بن أحمد بن علي.(1422هـ).*أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة* . تحقيق: حازم القاضي– وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.ط2 المملكة العربية السعودية .

الحمد، محمد بن إبراهيم بن أحمد.(د. ت). *رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة*.

الحنفي، ابن ابي العز.(1426هـ / 2005م). *شرح العقيدة الطحاوية*. تحقيق: جماعة من العلماء .ط1. تخريج : ناصر الدين الألباني. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (عن مطبوعة الكتب الإسلامي).

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي.(د. ت). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي.(1351هـ/ 1932م). *معالم السنن(شرح سنن أبي داوود). ط1*.حلب: المطبعة العلمية.

الخطابي، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي.(1404هـ). *شأن الدعاء*. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق.(د. ط). بيروت: دار المأمون للتراث.

الخلف، سعود بن عبد العزيز.(1420هـ–1421هـ). *أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة*.

خليل، محمد أحمد محمد عبد القادر.(1405هـ / 1985م). عقيدة *التوحيد في القرآن الكريم* . ط1. دار الزمان.

الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني.(1424 هـ / 2004 م). *سنن الدار قطني*. سنن. حققه وضبط نصه وعلق عليه–

شعيب الارنؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم. ط1. الناشر: بيروت: مؤسسة الرسالة.

الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد.(1414هـ).*البيان في عد آي القرآن*. تحقيق: غانم قدوري الحمد.(د. ط). الكويت: مركز المخطوطات والتراث.

داوود، سليمان بن الأشعث السجستاني.(1371هـ). *سنن أبي داوود*.(د. ط).

الدمشقي، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني.(1412 هـ / 1992 م). *صراع مع الملاحدة حتى العظم*.(د. ط). دمشق: دار القلم.

الذهبي، شمس الدين.(1424هـ/2003م). *العرش*. تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي. ط2. الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. المملكة العربية السعودية: المدينة المنورة.

الراجحي، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله.(د. ت). *أجوبة مفيدة عن أسئلة عديدة*.(د. ط). دار المعرفة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري.(1420هـ).*مفاتيح الغيب. التفسير الكبير*. ط3. الناشر: دار إحياء التراث العربي.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني .(1399هـ/1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون.(د. ط). دار الفكر.

رضا، محمد رشيد.(د. ت). *تفسير القرآن الحكيم- الشهير بتفسير المنار*.(د. ط). بيروت: دار المعرفة.

الرضواني، محمود عبدالرزاق.(1426هـ). *أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة*. ط2.الناشر: القاهرة: مكتبة سلسبيل.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان.(د. ت). *دراسات في علوم القرآن*.(د. ط). الرياض.

الرياحي، محمد بكر محمد الرياحي. (2011). *عقوبات الأمم المكذبة في الدنيا والآخرة* (دراسة موضوعية) (رسالة ماجستير).

الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني.(د. ت). *تاج العروس من جواهر* القاموس. ط2. دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق.(د. ت). *شرح أسماء الله الحسنى*. تحقيق: أحمد يوسف الدقاق.(د. ط). الناشر: دار الثقافة العربية.

الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى. (1418هـ). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*.ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر.

الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى.(1422هـ). *التفسير الوسيط*.ط1. دمشق: دار الفكر.

الزرعي، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله.(1975).*إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان*. تحقيق: محمد حامد الفقي.(د. ط). بيروت دار المعرفة.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر.(1420هـ/2000م).*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط1. مؤسسة الرسالة.

السفاريني، شمس الدين- أبو العون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي.(1402هـ/1982). *لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية*.(د. ط). دمشق: مؤسسة الخافقين.

السقاف، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر.(1433هـ). *الموسوعة العقدية*. موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.

السلمان، الشيخ عبد العزيز المحمد.(1402هـ/1982م).*الكواشف الجلية عن معاني الواسطية*. (د. ط).

السلمي، سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام بن حسن.(د. ت). *شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال*. تحقيق: أحمد فريد المزيدي.(د. ط). الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

سيد قطب، حسين الشاربي.(د. ت). *في ظلال القرآن*. بيروت: دار الشروق.

الشحود، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف. *المفصل في أحكام الهجرة*.(د. ط).

الشحود، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف.(د. ت). *المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام*.(د. ط).

الشحود، علي بن نايف.(د. ت). *موسوعة فقه الابتلاء*.(د. ط).

الشرقاوي، أحمد محمد.(1428هـ / 2007 م). *التفسير الموضوعي لسورة سبأ* .(د. ط).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجنكي.(1415هـ/1995م). *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن* .(د. ط). بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الشوكاني، محمد بن علي.(د. ت). *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (تفسير الشوكاني)*. تحقيق: عبد الرحمن عميرة.(د. ط). دار الوفاء.

الشوكاني، محمد بن علي.(د. ت). *الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني*. تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق أبو مصعب.(د. ط).لبنان: مكتبة الجيل الجديد.

الصابوني، الشيخ محمد علي.(د. ت). *التبيان في علوم القرآن*.(د. ط). باكستان: مكتبة البشرى: كراتشي.

الصابوني، محمد علي.(1417 هـ/ 199 م). *صفوة التفاسير*. ط1. المؤلف :الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع.

الصابوني، محمد علي.(د. ت). *النبوة والأنبياء" دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام و أثرهم في تغيير مفاهيم البشر* .(د. ط).

ضميرية، عثمان جمعة.(د. ت). مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. تقديم: الدكتور عبد الله عبد الكريم العبادي.(د. ط).

الطبراني، *تفسير القرآن العظيم*. كتاب الكتروني .

الطبري، ابن جرير.(1420هـ/2000م). *قصص الأنبياء*. تحقيق: بدران. ط2. الدار المصرية اللبنانية.

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر.(د. ت). *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة.(د. ط).الناشر: دار هجر للطباعة.

الطبري، محمد بن جرير.(1420هـ/ 2000م). *جامع البيان في تأويل القرآن*. تحقيق: أحمد محمد شاكر.ط1. مؤسسة الرسالة.

طنطاوي، محمد سيد.(د. ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. ط1. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والتوزيع.

عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي.(1984هـ).*التحرير والتنوير" تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*.(د. ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

عبد الوهاب، الإمام محمد.(1421هـ). *القول السديد شرح كتاب التوحيد*. ط 2- وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. المملكة العربية السعودية.

عبد الوهاب، الشيخ محمد.(د. ت). *شرح الأصول الثلاثة*.(د. ط). المدينة المنورة: المكتبة السلفية.

عبد الوهاب، الشيخ محمد.(د. ت). مجموعة التوحيد لشيخ الإسلام شيخ محمد.(د. ط).

عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد.(1423هـ/2002م). *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب لتوحيد الذي هو حق على العبيد*. تحقيق: زهير الشاويش.(د. ط). بيروت: المكتب الإسلامي.

عبد الوهاب، للإمام المجدد محمد. *الشرح الميسر لكتاب التوحيد*. إعداد: عبد الملك القاسم.(د. ط).

العثيمين، محمد بن صالح بن محمد.(1422هـ). *عقيدة أهل اسنة والجماعة*.(د. ط). المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

عثيمين، محمد بن صالح بن محمد.(1423هـ). *رسائل في العقيدة*.(د. ط). دار الوطن.

عثيمين، محمد بن صالح بن محمد.(1424هـ/ 2004م). *شرح ثلاثة الأصول*.ط4. دار الثريا للنشر.

عثيمين، محمد بن صالح.(د. ت). *القول المفيد على كتاب التوحيد*.(د. ط). دار العاصمة.

عربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي.(د.ت). *أحكام القرآن*. (د. ط) لبنان: دار المعرفة.

العمار، حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمار. (1413هـ). *أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة "رسالة دكتوراة"* .الرياض.

فقيهي، علي محمد ناصر. *منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان*.(د. ط).

الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب.(1426هـ/2005م). *القاموس المحيط*. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.(د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب.(د. ت). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*.(د. ط). بيروت المكتبة العلمية.

قاسم، جمع الشيخ عبد الرحمن.(1385هـ). *الدرر السنية في الأجوبة النجدية*. ط2.الرياض: دار الإفتاء.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق.(د. ت). *قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث*.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

القحطاني، سعيد بن علي بن وهف.(د. ت). *الجهاد في سبيل الله مفهومه وحكمه، ومراتبه، وضوابطه، وأنواعه، وأهدافه، وفضله، وأسباب النصر على الأعداء في ضوء الكتاب والسنة*.(د. ط).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين.(1384هـ/1964م).*الجامع لأحكام القرآن*. تحقيق: أحمد البردونيو إبراهيم أطفيش- ط2. الناشر: القاهرة: دار الكتب المصرية.

القرني، عائض.(1424هـ/2002م). *لا تحزن*.(د. ط).

القشيرى، عبد الكريم بن هوازن.(د. ت). *لطائف* الإشارات.(د. ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، مناع بن خليل.(1421هـ/ 2000م). *مباحث في علوم القرآن*.ط3. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

قطب، الشيخ محمد.(د. ت). *ركائز الإيمان*.(د. ط). دار الشروق.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله. *بدائع الفوائد*.(د. ط). لبنان: دار الكتاب العربي.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله. *الروح*.(د.ت). تحقيق: محمد إسكندر يلدا. (د. ط) لبنان: دار الطيبة العلمية.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(139هـ). *طريق الهجرتين وباب السعادتين*. ط2. دار السلفية: القاهرة.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(1416هـ،1996). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(مدارج السالكين). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.(د. ط). دار الكتاب العربي.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(142هـ).*الداء والدواء (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)*. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي.(د. ط) زائد بن أحمد النشيري. الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(1398هـ/1978م). *شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل*.(د. ط). بيروت: دار المعرفة.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(1415هـ/1994م). *زاد المعاد في هدى خير العباد*. .(د. ط). بيروت: مؤسسة الرسالة.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(1992م). *روضة المحبين ونزهة المشتاقين*. (د. ط) دار الكتب العلمية.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(د.ت). *الفوائد*.(د. ط). مصر: المكتبة القيمة.

قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب الجوزية أبو عبد الله.(د.ت). *مفتاح دار السعادة ومنشور دار العلم والولاية*.(د. ط). الرياض: مكتبة الرياض.

كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري .(1424هـ/2003م).*البداية والنهاية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط 1. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري.(1420هـ/1999م). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: سامي بن محمد سلامة.(د. ط). دار طيبة للنشر.

كحاله، عمر رضا.(1388 هـ/ 1968 م).معجم *قبائل العرب*.(د. ط). بيروت: دار العلم للملايين.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي.(د. ت). *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*. تحقيق: عدنان درويش. محمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الكلبي، محمد بن أحمد بن جزي أبو القاسم.(1415هـ/1995).*التسهيل لعلوم التنزيل*– تحقيق: محمد سالم هاشم.(د. ط). دار الكتب العلمية.

اللالكائي، للإمام هبة الله بن الحسين بن منصور الطبري.(د. ت). *شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة*. تحقيق: د. أحمد سعد حمدن. شركة الكعيبان.(د. ط). الرياض: دار طيبة.

ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.(1390هـ). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.(د. ط). دار إحياء التراث العربي.

الماردي، أبو الحسن علي محمد.(د. ت). *أعلام النبوة*.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الماردي، أبو الحسن لي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. *النكت والعيون (تفسير الماردي)*. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.(د. ط). الناشر: بيروت: دار الكتب العلمية: بيروت.

مجموعة من العلماء، *التفسير الميسر*.(د. ت). .(د. ط). الناشر: وزارة الشئون الإسلامية. مطابع الملك فهد.

مصطفى، الزيات، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.(د. ت). *المعجم الوسيط*. مجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة.

المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد بن صالح.(د. ت). *محاسن التأويل، سلسلة محاسن التأويل*. – دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .

المغربي، القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي.(1423هـ/2002م). *الشفا بتعريف حقوق المصطفى*.(د. ط). دار الفكر.

المقدسي، أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة.(د. ت). *مختصر منهاج القاصدين*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط.(د. ط). مؤسسة علوم القرآن: دار البيان.

منده، محمد بن إسحاق أبو عبد الله.(د. ت). *كتاب التوحيد*. حققه وضبط نصه وعلق عليه: محمد بن عبد الله الوهيبي. موسى ببن عبد العزيز الغصن. .(د. ط).

منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي.(د. ت). *لسان العرب*.(د. ط). بيروت: دار صادر.

المودودي، أبو الأعلى.(1407 هـ/ 1987 م). *نحن والحضارة الغربية*.(د. ط). *الدار السعودية*.

الموصلي، أحمد بن إبراهيم بن خالد أبو على.(د. ت). *الفروق*.(د. ط).

النابلسي، *موسوعة النابلسي الإلكترونية*.

النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي.(د. ت). *شرح كتاب التوحيد*. الشارح :عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير .

نخبة من العلماء. (1421هـ). *أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*. ط1. المدينة: مجمع الملك فهد: المنورة.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري.(د. ت). *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل إلى رسول الله صلى عليه وسلم(صحيح مسلم)*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.(د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

هراس، محمد بن خليل حسن.(1415هـ). *شرح العقيدة الواسطية*. تحقيق: علوي عبد القادر السقاف.(د. ط). دار الهجرة للنشر والتوزيع.

هراس، محمد خليل.(د. ت). *دعوة التوحيد أصولها، الأدوار التي مرت بها، مشاهير دعاتها*.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري – أبو منصور.(2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب.(د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري. (د. ت). *السيرة النبوية لابن هشام*. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.(د. ط). شركة الطباعة الفنية المتحدة.

الواحدي، علي بن أحمد.(د. ت). *أسباب النزول*.(د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.

الودعان، وليد بن فهد. (1423هـ).*التعبد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية*.(د. ط). الرياض: دار كنوز إشبيليا.

الفهارس العامة

أولاً– فهرس الآيات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
14.	وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ . . .	130	108
15.	إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ	131	108 ، 46
16.	قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا . . .	136	152 ، 148
17.	فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ . . .	137	152
18.	ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ . . .	146	158
19.	وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ . . .	155	14 ، 20
20.	لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ . . .	177	170
21.	شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ . . .	185	164
22.	وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ . . .	193	100 ، 54
23.	كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .	213	150
24.	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ . . .	218	52 ، 41
25.	ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ	285	148 ،147 ، 142 ، 96 ،16
سورة آل عمران			
26.	﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا .. .. بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ	4-1	153

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
27.	نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا . . .	3	165
28.	إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ . . .	19	162
29.	وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ . . .	54	67
30.	قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ . . .	64	103
31.	وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ . . .	75	158
32.	وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم . . .	78	155 ، 158
33.	قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا . . .	84	152
34.	وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ . . .	85	162 ، 166
35.	قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ . . .	93	158
36.	وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ . . .	119	147
37.	قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ . . .	137	124
38.	إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ . . .	175	61
39.	فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ..	179	96
40.	كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ . .	185	191
41.	لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ . . .	186	14

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
42.	وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ . . .	187	94 ، 158، 159
43.	إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .	190	32
سورة النساء			
44.	ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ . . .	76	61
45.	إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ . . .	104	187
46.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . .	136	147، 148، 151، 167
47.	إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ . . .	142	67
48.	رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ . . .	165	98
49.	لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ . . .	172	145
سورة المائدة			
50.	فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ ...	13	155
51.	وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا . . .	14	157
52.	يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا . . .	15	156 ، 158
53.	وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ . . .	41	155
54.	إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ..	44	150
55.	وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ..	46	150

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
56.	وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . .	48	149، 155، 161، 165، 165
57.	وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ . . .	49	103
58.	قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ . . .	60	56
59.	وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ..	66	158
60.	قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ .	68	158 ، 161
61.	قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ . . .	76	45
سورة الأنعام			
62.	قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ . . .	19	101، 162
63.	وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ . . .	53	90
64.	قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ . . .	65	125
65.	وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ . . .	74	108
66.	قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ ..	91	156، 156، 158
67.	وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ . . .	94	174
68.	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ . . .	112	14
69.	وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا . . .	123	14

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف			
.70	وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ..	4	23
.71	فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ . . .	6	169
.72	لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ . . .	59	104، 107
.73	قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ . . .	60	107
.74	قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ . . .	66	119
.75	قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ . ..	67	119
.76	أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ . . .	69	132
.77	قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌ . . .	71	119، 132
.78	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۗ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ. . .	73	120
.79	وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ . . .	74	120، 134
.80	قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ . . .	75	134
.81	فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ . . .	78	135
.82	فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي . . .	79	148
.83	وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم . . .	82	111

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.84	وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ..	85	115
.85	وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ . . .	90	117، 131
.86	فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ . . .	91	131
.87	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ . . .	133	137
.88	ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ...	157	152، 165
.89	قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ . . .	158	161
.90	وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ . . .	180	26، 66، 74
	سورة الأنفال		
.91	وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ ..	39	54
	سورة التوبة		
.92	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ . .	16	14
.93	وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ	105	ج
	سورة يونس		
.94	فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً . . .	92	138
.95	قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ . . .	101	101

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة يوسف			
.96	وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ . . .	17	9
.97	ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ . . .	42	29
.98	قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ . . .	51	86
.99	قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ . . .	108	49
.100	حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ . . .	110	110
سورة الرعد			
.101	ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ . . .	2	32، 35
.102	قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ . . .	16	26
سورة إبراهيم			
.103	قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ . . .	10	30
.104	تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَا . . .	25	68
سورة الحجر			
.105	وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ	6	99
.106	إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	9	162
.107	وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ . . .	71	114

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
108.	فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ . . .	73 –75	129
109.	وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ . . .	82–83	136
110.	فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ	94	98
	سورة النحل		
111.	وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ . . .	36	153
112.	يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ	50	141
	سورة الإسراء		
113.	وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ...	55	150
114.	قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ...	88	178
	سورة الكهف		
115.	وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ . . .	29	169
	سورة مريم		
116.	وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا	51	94، 122
117.	وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا	81	64
118.	وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ ...	98	126

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه			
.119	وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ	97	29
.120	وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا	111	190
.121	وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ	132	154
سورة الأنبياء			
.122	وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا ...	11	23
.123	يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ	20	142
.124	وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ	26	145
.125	كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ...	35	11 ، 15 ، 15
.126	ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا . . .	47	168، 190
.127	وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ	70	110
.128	وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ . . .	73	154
.129	كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ...	104	168
.130	وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ . . .	105	154
سورة الحج			
.131	وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا ...	8	146

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.132	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ . . .	52	94
سورة المؤمنون			
.133	ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ	14	85
.134	ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ	15	168
.135	فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ	24	107
.136	فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا	27	106
.137	ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا تَتۡرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةٗ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۚ . . .	44	93
.138	إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ . . .	61-57	189
.139	أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ	115	15، 168
سورة النور			
.140	وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .	55	180
سورة الفرقان			
.141	قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ . . .	6	163
.142	وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ . . .	20	11
.143	وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ ..	31	14
.144	وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ . . .	37	128

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة الشعراء		
145.	لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ	**40**	**113**
146.	إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ	**67**	**138**
147.	قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ	**136**	**118**
148.	كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ	**141**	**121**
149.	وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	**145**	**120**
150.	أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ . . .	**150-146**	**134**
151.	كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ	**176**	**117**
152.	قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ	**185**	**117**
153.	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ	**189**	**131**
154.	وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . . .	**192**	**163**
	سورة النمل		
155.	ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ . . .	**3**	**171**
156.	وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا . . .	**14**	**123**
157.	وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا ...	**50-48**	**121**
158.	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ . . .	**56**	**113**

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص			
159.	إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ . . .	4	5
160.	فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ . . .	30-29	122
161.	فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ . . .	36	123
162.	مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي . . .	38	23، 122
163.	وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا . . .	58	23
164.	وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ . . .	77	187
165.	تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ . . .	83	5، 15
166.	إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ . . .	85	5، 168
167.	وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ . . .	88	144
سورة العنكبوت			
168.	الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ . . .	2-1	5، 99، 188
169.	الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا . . .	3-1	14
170.	أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ . . .	2	13
171.	وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ . . .	3	16
172.	أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ	4	13

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
188.	يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ	21	80، 82، 176
189.	وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ . . .	22	79
190.	وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ . . .	23	172، 184
191.	فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ . . .	24	13، 80، 109، 180، 183
192.	وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ . . .	25	109، 172، 174، 174، 175
193.	فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ	26	50، 52، 75، 87، 111
194.	وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ . . .	27	108، 110، 175، 180
195.	وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ. . .	28	114، 113
196.	أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ . . .	29	13، 113
197.	قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ	30	44، 75
198.	إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ . . .	31	112، 141
199.	قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ . . .	32	80، 141
200.	وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ . . .	33	112، 180
201.	وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ . . .	36	41، 115، 116، 131، 173، 175

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
202.	فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ...	37	135، 183
203.	وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ...	38	118، 120
204.	وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ...	39	122
205.	فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا. . .	40	3، 22، 122
206.	مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ . . .	41	2، 3، 60، 62، 80
207.	إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ . . .	42	77، 86، 87
208.	وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ...	43	11
209.	خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ . . .	44	31، 80، 84
210.	ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ . . .	45	45، 47، 48، 49، 50، 50، 77، 98، 149، 182
211.	وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. . .	46	100، 102، 102
212.	وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ...	48	13
213.	بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ . . .	49	101
214.	وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ . . .	50	12، 75، 149
215.	أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ	51	82، 101،152، 161
216.	قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا . . .	52	77، 101

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.217	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى . . .	53	101، 184
.218	يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ	54	185
.219	يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ . . .	55	185، 185
.220	يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ . . .	56	5، 14، 51، 51، 52، 100
.221	كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ	57	4، 144، 174، 193
.222	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ...	58	5، 42، 181
.223	الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	59	43، 75
.224	وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا . . .	60	4، 37، 76، 81، 82، 83
.225	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ . . .	61	4، 31، 33، 34، 84، 179
.226	اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ . . .	62	76، 83
.227	وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ...	63	4، 32
.228	وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ . . .	64	173، 175، 187
.229	فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . .	65	4، 27، 33
.230	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ . . .	68	185
.231	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	69	4، 6، 52، 89، 89

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة سبأ		
.245	لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .	5-4	180
.246	بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ	15	29
	سورة فاطر		
.247	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ...	3	84
.248	إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ	28	46، 70
.249	إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ . . .	29	45
	سورة يس		
.250	وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ...	75-74	64
.251	أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن ...	81	178
	سورة الصافات		
.252	فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ . . .	57-55	176
.253	وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ . . .	76-75	128
.254	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ	137	126
	سورة ص		
.255	بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ	2	86

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.256	إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ	87-88	163
سورة الزمر			
.257	أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ . . .	36-38	62
.258	وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ . . .	67	70
.259	وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ..	68	144
سورة غافر			
.260	لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ . . .	57	179
.261	وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ . . .	60	45
.262	قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ...	84	9
سورة فصلت			
.263	فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ . . .	15	119
.264	وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ . . .	33	48، 49
.265	لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ ..	42	162، 165
سورة الشورى			
.266	لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ	11	66
.267	شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ ...	13	165

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الواقعة			
.291	عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ	62-61	177
سورة الحديد			
.292	لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ	25	154
سورة الحشر			
.293	لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ . . .	20	191
سورة الممتحنة			
.294	قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ . . .	4	10
سورة الصف			
.295	يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ . . .	8	55
.296	هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ...	9	49
سورة الجمعة			
.297	مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا . . .	5	158
سورة المنافقون			
.298	يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ . . .	8	86

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	سورة القيامة		
310.	وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ	**15**	**15**
311.	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ	**17**	**160، 165**
312.	إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ . . .	**17-19**	**165**
	سورة الإنسان		
313.	إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا . . .	**9**	**73**
	سورة النبأ		
314.	عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ	**1-2**	**92**
	سورة النازعات		
315.	ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ . . .	**17-19**	**122**
316.	فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ	**24**	**23، 122**
	سورة الغاشية		
317.	ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم	**26**	**168**
	سورة الفجر		
318.	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . . .	**6-8**	**62، 133**
	سورة الضحى		
319.	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ	**6**	**18**

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القدر			
.320	إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ	1	164
سورة البينة			
.321	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ . . .	8-7	169
سورة العصر			
.322	وَٱلۡعَصۡرِ . . .	3-1	43
سورة قريش			
.323	وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ	4	9

ثانياً- فهرس الأحاديث

ثالثاً- فهرس الأعلام